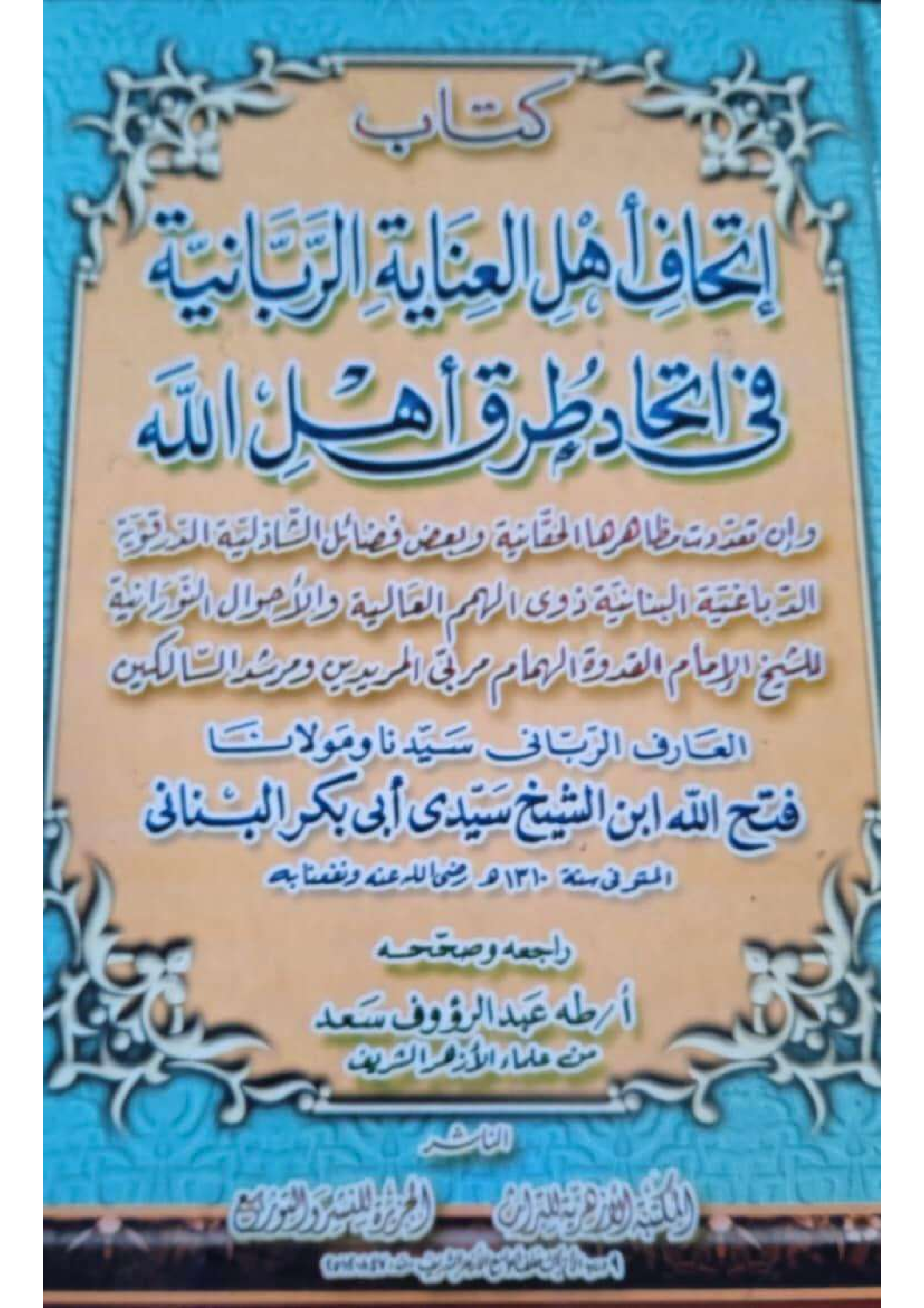

كتاب
إتحاف أهل العناية الربانية
في اتحاد طرق أهل الله
وإن تعددت مظاهرها الحقانية وبعض فضائل الشاذلية الدرقوية
الدباغية البنانية ذوي الهمم العالية والأحوال النورانية
للشيخ الإمام القدوة الهمام مربي المريدين ومرشد السالكين
العارف الرباني سيدنا ومولانا
فتح الله ابن الشيخ سيدي أبي بكر البناني
المتوفى سنة ١٣١٠ هـ رضي الله عنه ونفعنا به
راجعه وصححه
أ/ طه عبد الرؤوف سعد
من علماء الأزهر الشريف
الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
الجزيرة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي أرشد من أراد به خيرا إلى سلوك سبيل الهدى وملأ قلبه بنور التوفيق ولم يجعله مقابلا ولا معاندا وهيأ له أسباب الوصول إليه وأعظمها أن جعله معتقدا ونشر ذكره في الآفاق فأحبه كل ولي لله خفي أو بدا والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الحبيب المحبوب سيدنا وسندنا وعمدتنا في الوصول إلى الله الذي هو الغاية والمطلوب مولانا محمد بن عبد الله ذي الفضل الكامل والخير الموهوب وعلى آله وأصحابه وكل من والاه ما تلا تال ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب أما بعد فيقول العبد الضعيف الفقير الفاني خديم أهل الله جملة وتفصيلا ومحبهم وتراب نعالهم فتح الله بن أبي بكر البناني تولاه الله وكان له بما كان به لأخص أوليائه وأتحفه بما أتحف به أكابر أصفيائه أنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير آمين هذا تقييد فائق وموضوعه يعرف من اسمه اللائق وبسطه الرائق بفضل الله وعطفه زين الخلائق كنت جمعت جله قبل بأزمان قصدت به نفع نفسي وإخواني في الله بإذن الكريم المنان فطلب مني بعض الصادقين من الإخوان أصلح الله لي ولهم الشأن بجاه سيد ولد عدنان إكماله وتخريجه ونشره لينتفع به من سبقت له سابقة الفضل من حضرة الملك الديان الذي كل يوم هو في شأن فلم ينفعني سوى الامتثال جبر الخاطرة وتشبها بالسادات الرجال الباذلين جهدهم في نصح أمة سيد الإرسال عملا بالحديث الشائع والبرهان القاطع والنور الساطع وهو قول أفضل شافع صلى الله عليه وآله وسلم ما سجد لله قلب خاشع الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم رواه الإمام مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري ﷺ يعني أن مدار الدين على النصيحة وهي أعظم أركانه على حد قوله ﷺ الحج عرفة والنصيحة كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة وهي إخلاص الرأي وإرادة الخير للمنصوح له من نصحت العسل إذا خلصته وصفيته من الشمع فكذلك المنصوح فإن ناصحه لا يريد بنصيحته إلا تصفيته من الشوائب والأغيار المبعدة من حضرة الكريم النفار ولما كانت من الأمور الإضافية استفصلت لرفع الإبهام بالسؤال عنها والجواب بقوله ﷺ لله أب بالإيمان بوجوب وجوده وآثار كرمه وجوده وغير ذلك ولكتابه بمراعاة معانيه والعمل بما فيه فهي راجعة للعبد في نصحه نفسه ولرسوله بالانقياد لأوامره والامتثال لزواجره ابتغاء رضوان خالقه ومرسله ولأئمة المسلمين وفي حكمهم العلماء الأعيان بل هم أخص كما نبه عليه كبراء أهل هذا الشأن وذلك بالانقياد لطاعتهم في الظاهر والباطن وقبول ما رووه من الأحكام للفوز برضا الملك العلام وسكنى دار السلام وعامتهم بإرشادهم لبيان الفلاح وإعانتهم على ما فيه الخير والصلاح تقربا إلى حضرة الرشيد الفتاح وتخلقا بأخلاقه تعالى وأخلاق من هو لكل فضل مصباح صلى الله عليه وآله وسلم ما قال مؤذن حي على الفلاح وذكر بعض الأفاضل أن النصيحة خلق رحماني نوراني وعدمها خلق شيطاني ظلماني وأورد حكاية عجيبة وهي أن إبليس لعنه الله ظهر لبعض العباد المؤيدين بنور الله فرأى عليه معاليق من كل شيء

فسأله عنها فقال هذه الشهوات أصيب بها ابن آدم فقال له هل فيها من سيء لي قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة والذكر فقال لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبدا قال إبليس اللعين ولله عليّ أن لا أنصح أحد أبدا اللهم احفظنا من شره وشر كل من كان من فريقه من الجن والإنس وافعل ذلك بسائر أحبابنا بجاه سيد الأسياد صلى الله عليه وآله وسلم ما تلا تال وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد آمين ويرحم الله العارف الرباني الولي الصمداني أبا عبد الله سيدي محمد الصالح ابن مولانا المعطي نفعنا الله به إذ يقول

والنصح مطلوب لأمة النبي فاسمعه من عبد مسيء مذنب

وتقدم أن من أسباب إبراز هذا التقييد جبر الخواطر الذي هو من أعظم أسباب القرب من حضرة الملك المجيد وقد حدثني بعض الفضلاء عليه رحمة الملك القادر أنه ما عبد الله تعالى بعد أداء الفرائض بمثل جبر الخواطر وسمعت من بعض الثقات أيضا أنه حديث وارد عنه ﷺ ولله در القائل

احرص على جبر القلوب فإنها مثل الزجاجة كسرها لا ينجبر

ومن أعظم الأسباب الحاملة على جميع هذه الحسنة العظيمة المقدار التعرض لنفحة فخيمة من نفحات الله بنص حديث النبي المختار وذلك ما أخرجه شيخ الطريق وإمام أهل الحق والتحقيق أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر في رحلته الساطعة الأنوار عن الإمام المديوني في كتاب الأذكار جزاهما الله خيرا ونفعنا بهما بمنه إنه كريم غفار ونصه عقب ذكره بعض فوائد عظيمة النفع بادية الأسرار والحامل لي على جمع هذه الوظائف حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ما من رجل يترك ورقة من العلم إلا تقوم تلك الورقة سترا بينه وبين النار إلا بنى الله له بكل حرف في تلك الورقة مكتوب مدينة في الجنة أو سع من الدنيا سبع مرات انتهى اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك جزى الله عنا سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل ما هو أهله آمين والمؤمل من الواقفين عليه أن ينظروه بعين الرضا والتسليم وقصد العمل المقرب من حضرة السميع العليم لا يعين السخط والانتقاد فإن ذلك يبعد من حضرة أهل الوداد ويترك الإنسان في حيرة إلى أبد الآباد ومن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وكل بقدر وقضا ولكل حضرة رجال فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ومن المقرر عند الأحباب أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فافهموا يا أولي الألباب وقد ذكروا أن كل آية نزلت في حق الكفار فهي تجر ذيلها على عصاة أهل الإسلام اللهم وفقنا للإقتداء بمن أمرنا بالإقتداء بهم وأكرمنا بما أكرمت به أهل الوداد إنك كريم جواد آمين ورحم الله القائل

ولست براء عيب ذي الود كله		ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعـــين الرضـــا عـــن كـــل عيـــب كليلـــة		كمـــا أن عـــين الســـخط تبـــدي المســـاويا

وقد ذكروا أن الفائدة ما تمت إلا بقصد الدراية وما كان العلم حجابا إلا من حيث الوقوف مع الرواية إذ بالقصد المذكور وقع الانتفاع من حيث المطالعة وبضده ثارت نيران الفتن والمنازعة كما نص على ذلك شيخ الدنيا في العوارف وحجة الإسلام في إحياء العلوم والمعارف وقد حكى أن داود المحبر ﷺ لما ألف كتاب العقل جاءه الإمام أحمد ﷺ يطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ثم رده عليه فقال له مالك رددته فقال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرّجه على الأسانيد فانظر فيه بعين الخبر وإنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال أحمد فرده على أنظر إليه بالعين التي نظرت بها فأخذه ومكث عنده زمانا طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به انتهى فتأمل أيها الأخ الطالب للتحقق الهارب من التشدق ما بين النظرة الأولى من الإمام أحمد والثاني تعلم من أين دخل الخلل على الوجود واحمد الله على التوفيق بمحض الكرم والجود واعلم أنه قلما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات والجواد قد يكبو والصارم قد ينبو والكمال لله عالم الخفيات شعر

أن تجد عيبا فسدّ الخللا		جلّ من لا عيب فيه وعلا

تنبيه وإيقاظ قال الله العظيم خطابا للنبي الكريم ومن كان على قدمه من أهل حضرة السميع العليم الدالين على الله بالله ابتغاء رضا رب العالمين (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) ومن المقرر عند الكبير والصغير أن من علامة الإذن التيسير وقد رأى جامعه جمع الله قلبه عليه وأكرمه بما أكرم به كل نبيه بجاه مولانا محمد وذويه بعد طلب تخريج هذا التقييد وقبل الشروع في المقصود وذلك في عالم الأرواح الذي لا يتحلم فيه بما لم يراه إلا المتعرض لسخط واجب الوجود كأنني في مسجد وفيه جماعة متوجهة إلى الله وفق المطلوب وجهد الاستطاعة فإذا برجل واقف أمامي اسمه سيدي محمد ولقبه القطب فافهموا يا أقوامي فخاطبني بلسان فصيح وكلمني بكلام يطفئ لوعة القلب القريح وقال لي أحببت أن أخطب بالناس وأحببتك أن تروي لي الحديث الذي يتقدمها على عمل المالكية بالأقطار المغربية أجارها الله من كيد الأعداء وشر الوسواس الخناس فقلت له على السمع والطاعة ببركتك وعطفتك بأمر جوّ الشفاعة غير أني نحبك أن تأذن لي في كتابة ذلك في ورقه ليكون أنفع وأوفق في السكون والحركة فقال بها ونعمت وناولني ورقة لتقييد ما به الحضرة أذنت فلما عزمت على ذلك جذب ثوبي رجل من الجالسين هنالك وقال لي قدم بين يديك قبل الشروع في المطلوب قول إمام المادحين لحضرة النبي المحبوب ومن تكن برسول الله نصرته البيتين اللذين ما قرأهما قارئ إلا حفظ بأن الله من أسباب البين والحين ثم استيقظت عقب ذلك فرحا مسرورا ببركة هذه البشرى التي لا يمنّ بها إلا من ليس عن بابه براح في هذه وفي الأخرى اللهم أدّ عنا شكر النعم بجاه سيد من تأخر أو تقدم ووالله ثم والله ما أبديت هذا وغيره إلا رحمة بآلامه وعملا بقول كاشف الغمة الراحمون

يرحمهم الله فحسنوا الظن وقابلوا بوجه القبول ما أتحفكم به الكريم المنان لأنه ما هناك إلا فضله وكرمه إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك ﴿ **أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** ﴾ **[النحل: (٧٨)]** الآية ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً** ﴾ **[النساء: (١١٣)]** فمن أراد أن يناضل فلينظر فإن الناقد بصير ومن أراد أن يقابل بوصف النفس فليحذر فإن الله خبير أخرج البخاري ﷺ عن أبي هريرة ﷺ عن مولانا رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب أي أعلمته بأني محارب له فليختر لنفسه ما يحلو

نصحتك علما بالحقيقة يا فتى　　　فحسبك صدق القول في النظم والنثر

ولله در سيدي رضوان إذ يقول نحن إن شاء الله حراس الشريعة ومن الحافظين لها ما استطعنا على كل حال وأنشد

فنحن كلاب الدار طبعا ولم نزل　　　نحب مواليها ونحرس بابها

نسبنا لهم إذ كانوا أهل عناية　　　فإن كرام العرب تحمي كلابها

إذا فهم هذا آل الأمر حينئذ إلى الامتثال فأقول متحصنا بالحصن المانع بلا شك ولا خيال

ومن تكن برسول الله نصرته　　　إن تلقه الأسد في آجامها تجم

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا　　　فالله حافظه من كل منتقم

أخرج الإمام مالك بن أنس ﷺ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت ومن طريق آخر ومن لغا فلا جمعة له نسأله سبحانه أن يوفقنا لما يقر بنا من حضرته ويحفظنا من اللغو في الحس والمعنى بجاه سر أسمائه الحسنى آمين وسميته إتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل الله وإن تعددت مظاهرها الحقانية وبعض فضائل الشاذلية الدرقوية الدباغية البنانية ذوي الهمم العالية والأحوال النورانية جعله الله خالصا لوجهه الكريم ونفع به النفع العميم بجاه مولانا محمد ﷺ وذويه ما تلا تال قول مولانا الذي لا شك فيه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) آمين

مقدمة

في المحبة والأدب والتعظيم الذي هو روح الطرق بأسرها بإجماع أهل القلب السليم

اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن محبة الله ورسوله والصالحين من عباد الله المشايخ الدالين على الله بالله أصل جميع الخيرات وبها يقطع المريد سائر العقبات بل هي أصل في الإيمان كما يشهد له حديث ألا الإيمان لمن لا محبة له وحديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده الحديث وقول سيدنا عمر ﷺ له ﷺ ومراجعته إياه حتى قال له سيدنا عمر والذي أنزل عليك لأنت

أحب إليّ من نفسي التي بين جنبيّ فقال له النبي ﷺ الآن يا عمر تم إيمانك قال بعض العارفين حسبما نقله سيدنا الوالد قدس الله سره في الفتوحات القدسية تقدير كلامه ﷺ لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه الهلاك ثم قال مولانا الوالد في التأليف المذكور ولا شك أن المشايخ قد ثبتت لهم الخلافة من الله ﷻ فهم أصحاب الوراثة فطاعتهم طاعة الرسول وطاعة الرسول طاعة الله ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ **[النساء: (٨٠)]** ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ **[الفتح: (١٠)]** فمحبة المشايخ سفينة المريدين بها يعبرون بحور نفوسهم إذ السير بالمحبة كالسير بالخطوة يصل صاحبها إلى مقامات في الزمن اليسير ما لم يصله غيره في المدة الطويلة قال شيخ شيخنا مولانا العربي الدرقوي الشوق يوصل إلى الله بالطريق أو بغير طريق لأن ثمرات الأعمال كلها راجعة إلى المحبة والشوق ولا فرق بين المحبة والشوق إذ هما اسمان لشيء واحد والمتمسك بالمحبة لا يفوته شيء من الخير والسر وكان العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله به يقول في قوله تعالى ﴿ **وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا** ﴾ **[هود: (٤١)]** إلى قوله ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ** ﴾ **[هود: (٤٢)]** أنها المحبة على طريق الإشارة ويشير إليها أيضا بقوله تعالى ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾ **[الحاقة: (١١)]** فاعمل يا فقير على الإخلاص في ودك صادقا في محبتك واجتهد في الأحوال التي توجب لك ذلك من بذلك لمالك وروحك وترك المألوفات وخرق العادات فإن هذه الأمور جبلت النفوس على حب الأوّلين منها وبغض الآخرين والشيء المحبوب لا يبذل إلا فيما هو أحب منه كما يشهد لذلك الحس فافهم اهـ كلام مولانا الوالد قدس سره وفي مقدمة مولدنا المبارك ما نصه زين اللهم ظواهرنا وبواطننا بأنوار الصلاة والسلام على خير من طاب به الافتتاح وتعطر بطيب الثناء عليه المجلس ولذّ به الاختتام سيدنا وسندنا ومولانا محمد أفضل موجود أكمل مولود وتاج لرسل الكرام اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه صلاة تغرقنا بها في بحر مودته وحبه وتجعلنا بها من كمل طائفته الناجية وحزبه آمين

ومن علامات محبته ﷺ محبة سادتنا مشايخ الطريق الدالين على الله تعالى بوصفي الحق والتحقيق الصوفية الذين صفى الله قلوبهم من الأغيار وطهرها من سائر الشوائب والأكدار وملأها بأسرار شريعته وأنوار حقيقته بكمال محبته تعالى ومحبة النبي المختار وأتحفهم بحمل راية الولاية وتوّجهم بتاج العز والوقار والعناية وجعلهم مرهما يستشفى بهم من سائر الأمراض وحصنا منيعا وسببا قويا لقضاء جميع الأغراض وكذا محبة كل من انتمى إليهم وحسب عليهم لأن العبيد يشرفون بشرف ساداتهم ويكرمون بكرامة مواليهم

لي سادة من حبهم	أقدامهم فوق الجباة
إن لم أكن منهم فلي	في حبهم عز وجاه

وإنما خصوا بالذكر على سبيل الاستقلال وإن كانوا داخلين في فضل العلماء قبل بلا شك ولا خيال لما خصوا به من مزيد المزايا وحلوا به من الأنوار والأسرار في السر والإعلان بفضل رب البرايا وها أمر

ضروري عند الخصوص حسبما بسطوه في كتبهم واستدلوا عليه بنصوص اللهم أكرمنا بمحبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم وأمتنا على ذلك واحشرنا في زمرتهم ولا تحجبهم عنا بذنوبنا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا وافعل ذلك بسائر أحبابنا وكل من كان منا وإلينا بمنك وكرمك فإن محبتهم علامة محبتك ومحبة رسولك مولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعكس بالعكس عياذا بالله

أيها المعرض عنا	إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا	كل ما فيك بردنا

نسأل الله السلامة والعافية من أسباب الخسارة والرزية بجاه خير البرية ﷺ آمين وقد نص غير واحد من الأكابر على وجوب توقير المشايخ وبرهم وتوقير تلامذتهم ومريديهم وذكروا أنه ينال بمحبتهم وزيارتهم وخدمتهم والأدب معهم والإحسان إليهم من الفضل ما لا ينال بكثير من الطاعات وأنواع المجاهدات كما هو مشاهد في سائر الأقطار في جميع الأعصار وفي ذلك امتثال أمر الله وأمر رسوله وعليه وآله سلام الله قال الله العظيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: (٥٩)] ذكر صاحب روح البيان أن المراد أولي الأمر على الحقيقة المشايخ العارفون الدالون على الله تعالى الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر بالله لله في الله وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قال بجلوا المشايخ فإن تبجيلهم من تعظيم جلال الله وقال ﷺ من وقر عالما فقد وقر ربه وقال ﷺ النظر إلى الولي عبادة وقال ﷺ الخديم لأولياء الله في أمان الله ما دام في خدمة أخيه المؤمن وقال ﷺ خدمة الولي سنة خير من عبادة ستين سنة وقال الشيخ زروق ﷺ حاكيا عن شيخه الحضرمي ﷺ قال رأى بعض الأكابر النبي ﷺ في المنام فقال له يا رسول الله ما أدركناك حيا نسألك عن أفضل الأعمال فقال له ﷺ أفضل الأعمال وقوفك وفي رواية جلوسك بين يدي ولي من أولياء الله قدر حلب شاة قال السائل يا رسول الله حيا كان أو ميتا فقال ﷺ حيا كان أو ميتا وقال الشيخ سيدنا ومولانا العربي الدرقوي ﷺ ما نفع القلب شيء مثل الزهد في الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء وقال الشيخ سيدي محمد بن ناصر ﷺ من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه وقال الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي ﷺ ومن فضائل خدمة الأولياء أي التي هي ثمرة محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم اكتساب العلوم والآداب ومعرفة رب الأرباب والعصمة والحفظ من الذنوب والتباعد من العيوب والوصول إلى علام الغيوب وإحياء سنة النبي المحبوب فقد كان له ﷺ خادم يخدمه ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: (٢١)] وقال بعض الكبار من ظهرت ولايته وجبت خدمته وقال غيره خدمة المراد سلم المراد وقال غيره من استخدمناه قدمناه وذكر صاحب سلوة الأنفاس ﷺ ونفعنا به ما نصه اعلم أن من أعظم نعم الله علينا وأكبر أياديه لدينا وجود الأولياء وظهورهم وظهور أضرحتهم وفي ذلك من المنافع والفوائد ما لا يدخل تحت حصر فمن الفوائد في ذلك وجود البركة بالأرض وكثرة النفع وإدرار الرزق إذ لولاهم ما أرسلت السماء قطرها ولا

أبرزت الأرض نباتها ولصب البلاء على أهل الأرض صبا لحديث الطبراني في الأوسط عن أنس رفعه لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم تسبقون وبهم تنصرون الحديث وسنده حسن وفي لفظ آخر أخرجه ابن حبان في تاريخه عن أبي هريرة مرفوعا لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن فبهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون وأخرج الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت مرفوعا الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون وورد من طرق مرفوعا لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم البلاء صبا ثم لترصن رصا ومنها أنهم أحباء الله وأصفياؤه من خلقه ومظاهر أنواره وأسراره وهم أساس الدين والدنيا وورثة الأنبياء فإذا عرفوا وتعلق بهم أحد أو احتمى بجناحهم ورث مما ورثوا وظفر بشيء مما ظفروا لحديث الصحيحين وغيرهما هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ومنها أن من أحبهم وأوصلهم ووالاهم كان منهم واستوجب محبة الله ودخول الجنة للحديث المتواتر المرء مع من أحب وحديث أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت مرفوعا قال الله تعالى حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ وحقت محبتي للمتناصحين فيّ وحقت محبتي للمتزاورين فيّ وحقت محبتي للمتباذلين فيّ المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء وحديث البخاري في الأدب وابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب وغيرهم عن أبي هريرة رفعه إذا عاد الرجل أخاه وزاره في الله قال الله له طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة وفي كتاب بذل المناصحة قال الشيخ زرّوق ﵁ اعلم أن روح الإسلام حب الله تعالى وحب رسوله وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده اهـ وفي شرح النصيحة للعلامة ابن ذكرى ما نصه وعن سيدي عبد الرحمن الثعالبي بسنده إلى الإمام الطبري قال مات غريب عندنا بمكة فأخرجناه إلى باب المعلاة وجلسنا لإصلاح دفنه فاستوى جالسا فقلنا أليس قدمت قال بلى ولكن رجعت لأبشركم وأحدثكم أنفع ما عندنا محبة الصالحين وموالاتهم ثم رجع ميتا اهـ وفي وصية للشيخ أبي الحسن اليوسي وأكثروا من محبة الصالحين فإنها شفاء ودواء اهـ وفي الحديث عنه ﵇ أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقف بين يدي الله تعالى فيقول له عبدي هل أحببت لي وليا فأهبك له وقال الشيخ أبو طالب المكي إن لم تكن من الصالحين فتحبب إليهم فإن الله تعالى ينظر إلى قلوبهم فلعله يراك فيها فيلحقك بهم وفي رواية فلعله ينظر إلى اسمك فيها فيغفر لك ومما ينسب للإمام الشافعي ﵁

أحب الصالحين ولست منهم ... وأرجو أن أنال بهم الشفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي ... وإن كنا سواء في البضاعة

ومنها أن برؤيتهم والجلوس بين أيديهم تصفو القلوب وتمحى عنها الذنوب وتجد في طلب رضا المحبوب وهم سبب سعادة ابن آدم في الدنيا والآخرة وقد قال في المقصد الوريف ما نصه ولا يقع نظر إنسان على الولي من غير معرفة إلا غفر الله له لوالديه إن كانا مؤمنين ولسبعين من أهل بيته هذا لمن لم يعرفه فكيف بمن عرفه على وجه الميراث ولاقتباس وذلك على قدر قسم الله تعالى لعبده اهـ وفي جواهر المعاني

قلت للشيخ أبي العباس أحمد التجاني ﷺ يا سيدي ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك أم مجالسة الأشياخ فقال بل مجالسة الأشياخ أفضل لا يعادلها شيء وجلستك بين يدي ولي أفضل من الدنيا وما فيها اه وذكر في تحفة الإخوان أن الشيخ العارف بالله سيدي قاسما بن رحمون أخذه الحال مرة فقال إن نظرة واحدة في وجه مولاي الطيب يعني الوزاني خير من عبادة ثلاثين سنة وأقسم على ذلك ثلاث مرات وللشيخ العارف بالله سيدي الحسين بن عبد الشكور البكري الطائفي المدفون بالمدينة المنورة

فجالســـهم تجانســـهم وتضـــحى سـعيدا في الحيـــاة وفي الممـــات

وصـــاحبهم علـــى مـــا يرتضـــوه وكـــن عبـــدا علـــى قـــدم الثبـــات

ومنها أنه مفزع الخائفين ومستراح العاصين والمذنبين إليهم يلجأ كل مكروب وبهم يسلو كل محزون وكل من نزل به أمر أو شدة توجه إليهم وتوسل إلى الله بجاههم لأنهم أبواب الله في الأرض ومنها أنهم أمان البلاد والعباد ورحمة من الله الكريم الجواد وقد ورد في حديث قدسي أن الله ﷻ قال أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم ومنها أنهم يشفعون في الآخرة كل على قدر رتبته مع الله ﷻ وقد جاء أن الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء والشهداء والأولياء وآل البيت يشفعون يوم القيامة بل ورد أنه ما من مؤمن إلا وله شفاعة أخرج ابن النجار في تاريخه عن أنس مرفوعا استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة وقد حكي عن بعض الصالحين كما ذكره الإمام المرابي في التحفة وابن ذكري في شرح الصلاة المشيشية وغيرهما أنه رأى رجلا بعد وفاته في النوم فقال له ما فعل الله بك وماذا لقيت فقال له لما دخلت القبر جاءني زبانية العذاب وأرادوا الانصراف بي إلى جهنم فقلت لهم أما تعرفونني فقال لي واحد منهم ومن أنت فقلت أنا خديم أبي يزيد البسطامي فقال لأصحابه دعوه حتى نرى أبا يزيد فإن كان كما قال خلينا سبيله وإن كان غير ذلك أخذناه فأتوا أبا يزيد وقالوا له إن هذا الرجل ادعى صحبتك فقال لهم لم أعرفه وليس كما قال فقال له الرجل سبحان الله ما أسرع ما نسي الناس أما تذكر يوم كنت خارجا من المسجد الفلاني وتحت إبطك ثوب وأردت أن تنتعل نعلك فمنعك الثوب من ذلك فناولتنيه وانتعلت فقال لهم نعم فخلي وترك ومضوا عنه قال العلامة ابن زكري عقب هذه الحكاية فأدنى انتساب لهم وأقل قرب منهم نافع غاية النفع حتى مصافحتهم وملاقاتهم ولله در القائل

شـــابكتهم متبركـــا بأكفهـــم إذ شـــابكوا كفـــا علـــيّ كريمـــه

ولربمـــا يكفـــي المحـــب تعلـــلا آثارهـــم ويعـــدّ ذاك غنيمـــة

وذكر صاحب أثمد العينين في مناقب الأخوين وغير واحد أن الولي يوم القيامة يكون في موكبه ذاهبا إلى الجنة فينظر وإذا ببعض العصاة يساق إلى النار والعياذ بالله تعالى فيقف ويأتيه فيسأله هل رأيتني في دار الدنيا فيقول لا فيقول هل زرتني فيقول لا فيقول هل سمعت بذكري فيقول نعم كنت أسمع الناس يقولون

سيدي فلان فيقول ذلك الولي امض إلى الجنة حتى لا يمشي للنار من سمع اسمي في دار الدنيا فإذا النداء من قبل الباري جل جلاله خلوا سبيله فيمضي مع ذلك الولي إلى الجنة وفي المقصد الوريف أنه يروى أن رجلا من أصحاب أبي يزيد كان خياطا فمات فرأى في المنام بعد موته فقيل له ما كان من أمرك فقال لما دفنت وأتاني الملكان يسألاني قلت لهما كيف تسألاني وقد خطت فروا لأبي يزيد فانصرفا عني اهـ كلام السلوة وقال بعض أهل الإشارة في تفسير قوله تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ما نصه أجمعت الأمة أي أكابر علمائها ﷺ على أن الدنيا لا تخلو في وقت من الأوقات من دعاة يدعون الناس إلى الهداية وإتباع طريق الحق والاستقامة قال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ففي هذه الآية دليل على أن الرجل إذا دعا الناس إلى إتباع الحق وعبادة الله تعالى كان أفضل ممن اعتزل الناس واستغرق أوقاته بصالح الأعمال فالأولى صفة من صفات المشايخ ولا شك أنهم أفضل الناس بعد النبيين والصحابة المرضيين والتابعين المهديين بدعوتهم لطريق الحق ونصحهم لكافة الخلق وفي الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ من دعا إلى هذا الأمر كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا وقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لئن شئتم لأقسمت لكم أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون في الأرض بالنصيحة وقال عليه الصلاة والسلام ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى يا رسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولا يدع القرآن رغبة إلى فاعلم أن عبد هداه مولاه يسبق قدم الصدق وإذا رأيت الفقير متخليا عن شريعة الأدب دفعه الله عنا وأوقعه في صحبة البقر والحمير جزاء وفاقا لأن حضرتنا عالية بقدر علو صاحب الأدب فيها ينزل صاحب سوء الأدب معها وسمعته يقول عن شيخه مولاي العربي الدرقوي إذا حضر الأدب حضر الطريق وإذا غاب الأدب فلا أدب ولا طريق وقد قال الإمام الشافعي من تأدب مع الوقت فوقته وقت ولم لم يتأدب مع الوقت فوقته مقت وقال أيضا الوقت سيق إن لم تقطعه قطعك أي إن لم تقم بشريعة آدابه صرم عمرك وتركك وهو لا يعود ولله در السرقسطي إذ يقول في مباحثه

فالقوم بالأدب حقا سادوا ... منه استفاد القوم ما استفادوا

وقيل من يحرم سلطان الأدب ... فهو بعيد ما تدانى واقترب

وقيل من تحبسه الأنساب ... فإنما تطلقه الآداب

إلى غير ذلك وقد قال ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال سيدنا عبد الله بن مسعود في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا أعلموهم الأدب ليقيهم نار الحجاب وغلظة العذاب وقال بعض العارفين وهو البوزيدي في قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره المراد به الأدب مع الطريق وبالجملة فاعلم يا فقير أن هذا الطريق مبني أساسه على الأدب مع المشايخ والفقراء والنبي ﷺ والحق جل

جلاله وجميع المظاهر بداية ونهاية في البداية شريعة وفي النهاية حقيقة في البداية مجاهدة وفي الوسط مكابدة وفي النهاية مشاهدة وإن رأيت فقيرا تعطل فتحه ووصوله فاعلم أنه قد أخل بالآداب وقد رأيتم كم من فقير تجيح في هذا الطريق وافترسته ذئاب الشهوات وسباع الهوى ولا حول ولا قوة إلا بالله جعلنا الله ممن عرف الحق وعرف أهله فآمن وصدق آمين اهـ وقال أيضا ﷺ في الفتوحات القدسية إن أردت أيها المريد أن تحظى بمنيتك وتظفر بغاية رغبتك فاستغرق جميع أنفاسك في آداب صحبته أي الشيخ حتى يكون كل عضو منك معجوما بنقطة نتائجه وتستعد منك النفس لقبول درره وتحصيل يواقيته إذ بالأدب أفلح من أفلح وبضده خسر من خسر ولذلك قيل من حرم الأدب فقد وحرم جميع الخيرات ولا شك أن الأدب أعظم ركن عند القوم بل قالوا إنه نهاية الطريق قال سيدي عمر الحداد ﷺ التصوف كله آداب لكل وقت آداب ولكل حال آداب ولكل مقام آداب فمن لازم الأدب بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن الوصول ولذلك تواطأت عليه ألسنتهم وحثوا على إتيانه وجعله مطية قال أبو عثمان ﷺ الأدب عند الأكابر في مجالس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخير في الدنيا والعقبى ألا ترى إلى قوله تعالى ولو أنه صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم وقال ذو النون المصري ﷺ إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقيل من لم يتأدب للوقت فوقته مقت إلى غير ذلك مما لقوه ولقد أجاد ابن البناء إذ يقول في مباحثه وقيل من يحرم سلطان الأدب الأبيات الثلاثة وقد تقدمت في النقل الآخر قبل قال العارف بالله فرد الوجود سيدي محمد البوزيدي ﷺ في الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية ما نصه فصل اعلم يا أخي أرشدني الله وإياك أن بالأدب تطوي المسافة وبه يذهب عنك ما في الطريق من المخافة والصوفية ﷺ لا يعرفون ولا يتميزون إلا بالآداب إذ الشرائع كلها آداب مع الحقيقة ولولا الأدب ما ظهرت أسرارها ولا أشرقت أنوارها وليس في الوجود سوى الحقيقة وإليه الإشارة بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله تعالى إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وقوله تعالى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا وقوله من عمل صالحا فلنفسه إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأدب مع الجميع فضلا عن أوليائه تعالى فعلى المريد أن يلزم نفسه الأدب لينال من أسرار القرب العجب وبالأدب الظاهر يحصل الأدب الباطن أعني التعظيم إذ سوء الأدب ينشأ عن عدم التعظيم وعدم التعظيم من ضعف المحبة وضعف المحبة من التفات القلب إلى الغير فلو حصلت المحبة لحصل التعظيم ولو حصل التعظيم لحصل الأدب ولو حصل الأدب لحصل التحقيق اهـ وقال في موضع آخر ومن لم يكن له أدب مع طول الصحبة فالواجب على معلمه أن يدفعه إلى حضرة المخزن حتى يتربى ويتأدب وحينئذ يرده إليه فيسلك به الطريق ويكشف له عن حقيقة التحقيق فالطريق كلها أدب ومن لا أدب له لا طريق له وقد قال شيخنا مولانا العربي الدرقاوي ﷺ إذا حضر الأدب حضرت الطريق وإن غاب الأدب فلا أدب ولا طريق اهـ والأدب سفينة النجاة بمن ركبها نجا وإن كان مع جهل وقد رأيت

من الناس ما فيه أوصاف محمودة مع عدم علمه وقلة فهمه ورونقة تلك الأوصاف ظاهرة عليه ورأيت من له علم وفهم مع أوصاف مذمومة وقد ظهرت عليه ظلمة تلك الأوصاف والمؤمن لا يفوق أخاه إلا بحسن خلقه لقوله ﷺ إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم وهو غير عابد ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الناس قدرا كان أعظمهم خلقا قال الله العظيم وإنك لعلى خلق عظيم اهـ الحاصل أن حسن الأدب يثمر لك سنيّ الأحوال ويبلغ بك إلى مقام الرجال بقليل من الأعمال فإذا تمنطقت بمنطقته وتحليت بحليته فاعلم أن باطنك قد تهيأ لقبول ما تبديه فكرته من در بحار العلوم الإلهية وإلا فأنت بان على شفا جرف هار وضارب في حديد بارد ثم اعلم أن الأدب لا يتكامل للإنسان إلا بتكامل مكارم الأخلاق ومجموعها يرجع إلى تحسين الخلق فالخلق بالفتح صورة الإنسان والخلق بالضم وبضمتين معناه واختلفوا في الخلق بالضم هل يتبدل أم لا فقال بعضهم الخلق لا سبيل إلى تغييره وقد ورد فرغ ربك من أربع خلق وخلق ورزق وأجل وقد قال تعالى لا تبديل لخلق الله والأصح أن تبديل الأخلاق ممكن مقدور عليه بخلاق الخلق وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال أحسنوا أخلاقكم وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للأدب ومكارم الأخلاق ووجود الأهلية فيه كوجود النار في الزناد وجود النخل في النوى ثم إن الله تعالى بقدرته ألهم الإنسان ومكنه من إصلاحه بالتربية إلى أن يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج تخرج منه النار وكما جعل في نفس الآدمي صلاحية الخير والشر أحال الإصلاح والإفساد عليه فقال ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال سبحانه قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وإذا تركت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الأخلاق وتكونت الأدب فالأدب استخراج ما في القوة إلى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار في الزناد إذ هو فعل الله المحض واستخراجه يكسب الآدمي فهكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الإلهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة إلى استخراج ما هو في النفوس مركوز بخلق الله تعالى إلى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين فتأمل اهـ كلام مولانا الوالد قدس سره فبان لك من هذه المقدمة يا موفق أن باب السعادة هو محبة الله ورسوله والصالحين من عباده المشايخ الدالين على الله ومفتاحه الأدب وللأدب مع الله ورسوله وجوه ماعها امتثال الأوامر واجتناب النواهي كما أن الأدب مع أهل الله ﷺ وجعلنا منهم له وجوه أهمها اعتقاد أنهم في الله ذات واحدة أن أصل مددهم واحد وإن تعددت مظاهرهم وفروعهم وأن طرقهم كلها وإن تعددت وفي الظاهر ربما اختلفت شيء واحد وإخوة في الدين ولبعضهم على بعض حرمة الأخوة لا بغض إلا باعد دوي الجفوة ويرحم الله شيخ شيوخنا سيدنا ومولانا العربي الدرقوي إذ يقول من فرّقنا أو عددنا فالله حسيبه وكان ﷺ يقول الناس يقولون من نقص شيئًا حرم بركته وأنا أقول من نقص شيئًا حرم بركة الجميع إذ البعض عين الكل اهـ ويرحم الله بعض الفضلاء إذ يقول

ما أرى نفسي إلا أنتم	واعتقادي أنكم أنتم أنا
عنصر الأنفاس منا واحد	وكذا الأجسام جسم عمنا

ولسيدي محمد الشرقي نفعنا الله به

الفقراء إصبع أيدي مني وفي		يا أولاد سيدي ما فيكم تالي

وقال بعض إخواننا في الله رزقني الله والأحباب العمل بمقتضاه وثبتنا جميعا على ذلك حتى نلقاه بمنه وذلك من عمل الملحون

أهل الله جملا أحبابي	ما فيهم ما أنبعض
وافهم معنى أخطابي	إياك وقاطع الحظ

وللبعض من الحرمة ما للكل والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالعضو من الجسد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله والتجزئة عن حقيقة أصل الفطرة منبئة فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها سلمان منا أهل البيت ﷺ فافهم ويرحم الله العارف بالله سيدي أبا بكر ويتن الفاسي إذ يقول:

إنما الفرق اختبار	لمن يدعي الحقيقة
فهل يجمع في الفرق	أو يقول هذا غير الله
فهو يا خليّ أسرار	لمن حط فيه رأسه
وانتفت عنه الأوهام	وسجد دائما لله

وقد حدثني بعض الأكابر من أهل الله ﷺ بحضرة فاس صانها الله من كل باس وقال لي اعلم يا أخي أنهم ذكروا أن تنقيص بعض الأولياء تنقيص لجميعهم ومن كفر بولي لا ينتفع بالجميع كما أن من كفر بنبي لا ينتفع بالجميع قال الله العظيم لا نفرق بين أحد الآية وذلك في معرض تسليتي لما سمع بأن بعض المعاصرين المحجوبين عن رب العالمين ممن يدعي الانتساب بلسانه والحال أن دعواه خالية عن الجدوى في سره وإعلانه مشتغل بإذايتنا والوقوع في عرضنا طمعا في إطفاء نور ربنا الوارد من حضرة نبينا بواسطة مشايخنا لجهله بقدرهم وقدرنا وعدم درايته أن كرام العرب تحمي كلابها فأحرى أحبابها فأحرى أولادها فأحرى الحاملون راية الأمانة المشتهرون فيها وبها ولكن من جهل شيئًا عاداه ويفعل الجاهل بنفسه ما يفعله العدو بعدوه وخصوصا صاحب الجهل المركب ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره لأنه لا يسئل عما يفعل وربك يخلق ما يشاء ويختار أو ما درى الجهول أنه لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدها وقد قالوا لا تكرهوا الفتن فإن فيها حصاد رقاب المنافقين وإظهار إسرار الصادقين الذين لا قصد لهم سوى حضرة رب العالمين وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم الآية ويرحم الله القائل

عداتي لهم فضل عليّ ومنة	فلا أبعد الله عني الأعاديا

هموا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فارتكبت المعاليا

اللهم غيبنا فيك بك عن كل شيء سواك حتى لا نكون إلا بك ولك واملأ قلوبنا بمحبتك وتعظيمك ومحبة رسولك مولانا محمد ﷺ ومحبة ورثة أنواره وحملة أسراره وافعل ذلك بسائر أحبابنا وإخواننا في الله آمين أخرج الإمام الثعلبي في تفسيره في سورة التوبة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ ما نزل علي من القرآن نزل آية آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا عليّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة كل يقول يا محمد استوصوا بنسبة الله خيرا ومن المقرر أن من معاني الاستيصاء المذكور صون جانب حلتها عن أن يدنس بقول الزور وإطلاق لسان أهل الفسق والفجور عاملهم الله بما يستحقون بجاه السر الأعظم والكنز المطلسم المرموز له بق ون آمين ولو تحقق المشتغل المذكور بان البعض عين الكل وعلم أن للجزء من الحرمة ما للكل لما اشتغل إلا بما يقر به من حضرة النور ولكن إنها لا تعمى الأبصر ولكن تعمى القلوب التي في لصدور ومما يشهد لذلك ويحقق سره هنالك زيادة على الدليل المتقدم الذي لا يخالف العمل بمقتضاه إلا هالك ما رآه العبد الضعيف قبيل عالم الأرواح ومن كذب فعليه لعنة الله وذلك أنني رأيتني في الزاوية الدرقوية الكائنة قرب الزاوية التجانية بحضرتنا رباط الفتح عمرها الله بأهل النور آمين ورجل واقف أمامي سمي شيخ الشيوخ سيدنا ومولانا العربي ﷺ وهو يلاطفني ويخاطبني بتبجيل وإجلال وتوقير وتعظيم ومن جملة ما سمعته منه وقد ظهر عليه أثر الغضب الشديد أن قال لي أي شيء نعمل بمن يؤذيك وأي غرض لنابه فليهب عنا وليمض إلى حال سبيله فإنه لا يصلح لنا ولا غرض لنا به ولا بعشرة من أمثاله فرق باطني لذلك لما شاهدت من سر نور الجمع اللائح على وجه هذا المظهر السالك في طريق الله أحسن المسالك فالتفت في تلك الساعة إلى أخ لي في الله كان بجنبي وأمرته أن يجمع جماعة من إخواننا في الله ويأتي بهم إليّ في تلك الساعة لأني تحققت بأن هذا المظهر السامي لم يرض بفراغ تلك الحضرة منا وإخلائها من أصحابنا وإخواننا في الله لأننا أحفاده في المعنى وبركة السلف تعود على الخلف فمن آذاهم فقد تعرض لأسباب الخسران والتلف

سوف يرى إذا انجلى الغبار أفرس تحته أم حمار

ثم استيقظت عقب ذلك فرحا مسرورا ببركة عطفة أشياخنا الأكابر وحمدنا الله تعالى حيث لم يجعل سبيلا للتصرف بشهوة الأصاغر وإن ظهر شيء من ذلك صورة فإنما هو استدراج كما نص على لك كتاب الله تعالى القاهر وقد جمعني الحق تبارك وتعالى بمنه وكرمه بالشيخ المذكور ﷺ قبل في عالم الأرواح أيضا وجرى بيني وبينه أمر عظيم دل عل كمال عطفته علينا وسريان سره إلينا بواسطة أولاد قلبه وفضل ربنا وكنت إذا اختليت به فتح فيّ عينيه جدا وكلمني بما يشفي وإذا ورد الغير غمض عينيه ﷺ وهذه وحدها تكفي فافهموا يا أهل القلوب الصافية ومن كذب فعليه لعنة الله الذي لا تخفى عليه خافية وقد قال عليه السلام من يحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعرتين وليس بعاقدهما هذا ومما ينبغي اعتقاده على

رأي الأئمة الأعلام أن لشيطان لا يتمثل بكمل ورثته ﷺ في المنام وراثة محمدية ومنقبة مصطفوية لتكمل لهم بذلك المزية

والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الأولياء

ومن هذا القبيل ما كان رآه العبيد في عالم الأرواح أيضا وذلك أنني رأيتني والله دخلت إلى ضريح القطب الأكبر والغوث الأشهر أبي الفيض والفتح الرباني سيدنا ومولانا المكي بن سيدنا ومولانا محمد الشريف الوزاني دفين بلدنا رباط الفتح ﷺ ونفعنا به آمين بقصد أن نصلي فيه صلاة الصبح جماعة فإذا بجماعة وافرة فيه فأقام واحد منهم الصلاة واصطفوا مستقبلين القبلة فعمد رجل منهم إليّ وقال لي تقدم للإمامة فلم ينفعني سوى الامتثال وتقدمت منشدا بلسان الحال ما قاله بعض أهل الكمال

ما كنت أهلا فهم رأوني لذاك أهلا فصرت أهلا

وفي أولئك الأقوام إمام هذه الحضرة في عالم الحس منذ أعوام فلما عزمنا على الإحرام بالصلاة شرع في قراءة القرآن غير مبال بما نحن شارعون فيه من مناجاة الملك الديان ولا مستحضر أن التشويش على المصلين بمثل ذلك وخصوصا في مثل هذه الحضرة حرام بإجماع الأعيان فالتفت إنسان من الحضرة ونهره بقوة وشدة وأسكته بغير اختيار ثم شرعنا في الصلاة جعلها الله صلاة دائمة إلى لقائه تعالى إنه كريم غفار آمين ثم استيقظت عقب ذلك فرحا مسرورا بفضل الله منشدا قول بعض الأكابر من أهل الله

إذا أنظرتني نظرا صالحا يثمرا جناني والغرس أيطيب

يا أهل الله بالسر فالحا من قصدكم حاشا يخيب

ثم بعد ذلك عزل ذلك الإمام من هذه الحضرة وولي غيره والأمر لله كيف شاء فعل اللهم أكرمنا بالآداب مع مظاهر أنوار نبيك سيدنا محمد ﷺ حيثما كانوا وتعينوا آمين ومن هذا القبيل ما كان وقع للعبيد في عالم الأرواح أيضا وذلك أنني رأيتني والله في حضرة الشيخ الإمام المرابط الهمام العالم العلامة الدراكة الفهامة النجو الواضح الولي الصالح سيدنا العربي ابن سيدنا السائح جدد الله سحائب رحماته ونفعنا به وبأمثاله وبيني وبينه مائدة عليها طعم وأنا آكل معه وليس معنا أحد سوى امرأة جليلة تسمى بسيدتنا عائشة وهي تأكل معنا أيضا فالتفت إلي الشيخ المذكور وقالت له كن على بال من هذا الجليس ولا بد فإنه هو الذي أقر أبنتي فلما سمع الشيخ منها ذلك تجلى فيه حال عظيم وتوجه لي كل التوجه والله ثم رفعت المائدة من بيننا وغابت المرأة عنا وامتلأ البيت بالرجال والعبيد الضعيف جالس صدر البيت الذي كان يجلس فيه ﷺ حال حياته في روضه الذي دفن فيه ثم ناولني كتابا وقال لي أمله علينا فلما فتحته وجدته ديوان إمام أهل الحقيقة سيدنا الإمام الششتري ﷺ إلى آخر ما وقع لنا معه ﷺ ثم استيقظت عقب ذلك فرحا مسرورا بفضل من يقول للشيء كن فيكون (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وإشاراتها ظاهرة جلية ودلالتها على موضوع المذاكرة كالتي قبلها عن أهل الفتح

غير خفية والمرأة الأصل الجامع زوجوني بنت الدوالي وهي الدوالي والبنت الفرع المانع من الدخول للحضرة لمن لم يأت بقلب سليم خاضع خاشع شعر

خرجت عني وعن صفاتي جئتكم نجتني الورود

اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك شعر

ولو أنها تجلي بغير مظاهر لما لمعت أسرارها لذوي الفكر

وإقراؤها تشهيرها بنعت التعظيم والإجلال وحمل رايتها وتشييد منارها لينتفع بها من سبقت له سابقية السعادة من الكريم المفضال جعلنا الله منهم آمين وقد كنت قبل هذه الرؤيا دخلت عليه أزوره في صحبة أخينا وشيخنا الفقيه العلامة الدراكة الفهامة سيدنا زين العابدين جدد الله عليه سحائب الرحمات وأسكنه بمنه فسيح الجنات فوجدت معه المسن البركة سيدي أحمد حيمي رحمه الله فسلمنا عليه وجلسنا بجنبه ﷺ فالتفت بكليته إلينا وواجهنا بالإجلال والترحيب نفعنا الله به ونشط كل النشاط وتجلى فيه من السرور ما لا يكيف ثم شرع معنا في المذاكرة نفعنا الله بها وفي أثنائها التفت إليّ وصار يشير بيده المباركة ويقول شيخ في الطريق يقال له سيدي فتح الله وتجلى فيه حال عظيم ﷺ وغير خفي أن

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يرى للناظرين

رضي الله عنهم أجمعين وأخبرني أخي المذكور عليه رحمة الكريم الغفور بأنه ذات يوم كان عنده بقصد زيارته فلما عزم على فراقه قال له يا سيدي أوصني فقال له أبوك أباك أبيك ففهم المراد وحمد الله على نعمه العظيمة التي من أعظمها كونه من نسل أهل حضرة الوداد المشهود لهم بالخصوصية عند أهلها كهذا الإمام بفضل الرءوف بالعباد سبحانه شعر

هكذا هكذا أخي وإلا طرق الجد غير طرق المزاح

وكان لهذا الإمام ﷺ محبة عظيمة في سيدنا ومولانا الوالد قدس سره وكان إذا جرى ذكره في مجلسه ﷺ ينوّه بقدره جدا ويستغرق الوقت في نشر محاسنه وكر مآثره ﷺ حسبما شاهدت بعض ذلك منه بعيني بحيث كان من شدة اعتنائه بما ذكر وتشهيره لما سطر يضيق صدر القاصرين من ذلك ومع ذلك لا يبالي ولا تأخذه في الله لومة لائم وهذا شأن أمثاله ﷺ أجمعين فإنهم لما عرفوا الرجال بالحق أقروا به لأهله ومن المقر أنه لا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه ولا يعرف الولي إلا الولي والكامل إلا الكامل وأجر القياس والله يعصمك من الناس ومن هذا القبيل أيضا ما كان وقع للعبد الضعيف المنكسر الخاطر في جانب الخبير اللطيف وذلك أن بعض من يتظاهر بمحبتنا ويرغب في أن يكون من خاصة إخواننا والحالة أنه يزعم أن له اتصالا بحضرة الشيخ الكامل أبي عبد الله سيدي محمد الحراق نفعنا الله به وذلك بوسائط حقق الله وساطتهم فإن أهمّ شروطها تعظيم المظاهر وخصوصا الحاملين لراية الأمانة وكان قد ظهر منه في جانبنا ما يخالف دعواه في سره ونجواه ثم بعد بقريب رأيت الشيخ المذكور ومن كذب فعليه لعنة الله العليم بذات

الصدور وذلك في عالم الأرواح ولم أشك في تلك الحضرة في كونه الشيخ سيدي محمد الحراق كما أنني لا أشك في نور الصباح

إذ ليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وهو جالس أمامي بسكينة وتعظيم ووقار وخشوع وخضوع كالتلميذ بين يدي شيخه وهو نورانية محضة وواجهني بما لا يكاد يوصف فأفهمتني بركته وخاطبتني روحانيته بأن من ادعى الانتماء إلى طريقته وعاملنا بغير هذه الحالة وواجهنا بالإذاية وسوء الإنالة فإنه ليس منه ولا على طريقته وإن ادعى ذلك بمقاله فلسان الحال في كل وقت يناديه ويقول له:

وكل يدعي وصلا بليلي ... وليلي لا تقرّ لهم بذاك

غيره

الصدق في أقوالنا أقوى لنا ... والكذب في أفعالنا أفعى لنا

وهم يقولون هم أشياخنا ... فما لهم قد يفعلوا أشياخنا

لأننا أنت وأنت نحن وقد قال بعض الكبار لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر يا أنا والمجال في هذا واسع وما كل واقع يقال ثم استيقظت عقب الرؤيا فرحا مسرورا بفضل الله وبركة اعتناء الأكابر بنا بمدد مولانا رسول الله لأن اعتناءهم دليل اعتناء الله والحمد لله زادنا الله من فضله وأدى عنا شكر ذلك بمنه وما صدر هذا من هؤلاء الأكابر ﷺ إلا لكون البعض عين الكل وغصن الشجرة منها وللجزء من الحرمة ما للكل لأننا في ذات الله سواء وهكذا سائر الطرق بأسرها لأن أصلها واحد وإن اختلفت فروعها كما قيل الماء واحد والزهر ألوان فافهم وقد قال مولانا الوالد رحمه الله في بغيته اعلم أن الطرق وإن اختلفت في الفروع فهي ترجع في الحقيقة إلى الاتحاد وأصل واحد فهو اختلاف صوري قياسا على المذاهب المتعبد بها كمذهب مالك والشافعي والحنفي والحنبلي والبخاري ومسلم وداود الظاهري وغير ذلك من باقي المذاهب إلى آخر كلامه ﷺ وسيأتي بعد بحول الله وقال بعض العارفين إن كل ما يؤدي للإصلاح والائتلاف هو المطلوب وليس ذلك إلا في نظر أن الطرق إلى الله تعالى طريق واحدة وأما غير ذلك فإنه يؤدي إلا ما لا يعلم علمه إلا الله تعالى من التنافر والتشاجر كما يعلمه القائلون بذلك وقد نصوا على أن القرابة من رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام لأنها إما قرابة في الصورة أو في المعنى فقط أو في الصورة والمعنى فإما القرابة في الصورة فلا يخلو إما أن تكون بحسب طينته كالسادات الشرفاء أو بحسب دينه وعلمه كالعلماء والصالحين والعباد وسائر المؤمنين وكل منهما نسبة صورية وأما قرابته عليه السلام في المعنى فهم الأولياء لأن الولي هو ولده الروحي القائم بما تهيأ لقبوله من معناه ولذلك قال ﷺ سلمان منا أهل البيت إشارة إلى القرابة المعنوية وأما القرابة في الصورة والمعنى معا فهم الخلفاء والأئمة القائمون مقامه سواء كانوا قبله كأكابر الأنبياء الماضين أو بعده كالأولياء الكاملين وهذه أعلا مراتب

القرابة وتليها القرابة الروحية ثم القرابة الصورية الدينية ثم القرابة الطينية فإن جمعت ما قبلها فهي الغاية فبان من هذا أن هذه القرابات لا ينبغي التفريق لها كلا وأحرى ما هو منها كالشيء الواحد وهي قرابة الأولياء وإن نظر التفرقة لا يكون إلا من النفس الأمارة وأما الروح فلا تنظر في التفرقة أصلا وجند العقل يحاول دفع شر الإمارة عن الروح وأن المؤمنين كالنفس الواحدة من ذا الذي يفرّق بين نفس واحدة وقد بان من هذه المذاكرة أن طرق الأولياء كلهم وإن تعددت فهي ترجع إلى أصل واحد وهو طريقه ﷺ وحده وأما غير طريقه ﷺ فإنه ليس بطريق لنسخ طريقه لكل الطرق ولا يفرق بين الطرق لأنهم كلهم آخذون لطريقته ﷺ وهي طريقة واحدة كما يعلمه أغبى الأغبياء وأحرى أعلم العلماء وقد قال الإمام الجنيد ﷺ طريقنا هذا مشيدا بالكتاب والسنة والباب مسدود إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ ويرحم الله القائل

وأنـــت باب الله مـــا ثم وصـــول إلا مــــــــــن بابــــــــــك

غيره

وأنــــــت باب الله أي امـــــرئ وافـــاه مـــن غـــيرك لا يـــدخل

وقال الإمام الحراق ﷺ

ومـــن بكـــف الشـــرع أمـــرك كلـــه فـدونك إن لم تفعـل البـاب سـدت

وقال بعض الكبار من رام الدخول على الله من غير باب النبوة قطعه الله عنه ومن المقرر أن كل الأنوار من نوره ﷺ

أنت مصباح كل فضل فما تصدرإلا عن ضوئك الأضواء

وكل الأسرار من فيض بحر جوده ﷺ

وكلهـــم مـــن رســـول الله ملـــتمس غرفـــا مـــن البحـــر أو رشـــفا مـــن الـــديم

قال بعض الكبار كل من بدا له من الدالين على الله تعالى بعد وجود المصطفى ﷺ فهم نوّابه وخلفاؤه مقدمين كالأنبياء والرسل أو مؤخرين كالأولياء الكمل قال ﷺ أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري فهو الجنس العالي والمقدم وما عداه نائب عنه ﷺ وإذا كان الأمر بهذه المثابة فلا معنى للتفرقة بين طرق أهل الله لأن ذلك مما يتأذى به مولانا رسول الله والعياذ بالله وتغيير باطنه ﷺ بسبب تنقيص وارث من ورثته نسأل الله السلامة والعافية هو سبب حرمان المنقص والعياذ بالله بحيث لا ينتفع بولي أبدا ولو كانت يده في يد القطب دائما سرمدا لأن المادة من عين الجود وإن انقطعت والعياذ بالله أنهد الوجود وقبض اليد زيادة في الحبس عن حضرة أهل الشهود إلا أن يتوب ويرجع من حضرة الفرق إلى حضرة الجمع ويرد الفرع إلى أصله يعطيه ما يلق برتبته من الإجلال والتوقير كغيره من شكله وأبناء جنسه فإنه رجي له حينئذ الدخول إلى حضرة الأحباب بشفاعة النبي الأواب وإصلاح خاطر الوارث بفضل الكريم

الوهاب فتأمل هذه النبذة واستروح سرها من قول الله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون وقول الشيخ سيدنا ومولانا العربي المتقدم وأنا أقول من نقص شيئًا حرم بركة الجميع واعمل تفز فإن خير الدين النصيحة وشر الأمور ما أعقب ندامة أو فضيحة قال الشيخ الإمام المحقق الهمام العارف الرباني الولي الصمداني سيدي الحسن اليوسي ﷺ في وصية له لبعض أصحابه إخواني أكثروا من محبة الله سبحانه فإنها مدار جميع الخيرات ومحبة النبي ﷺ وجميع إخوانه من النبيين عليهم السلام لأنها السلم والوسيلة العظمى ومحبة الصالحين فإنها شفاء ودواء ومحبة الشيخ فإنها مفتاح لكل خير وصلاح ولا تخصوا أشياخكم بالمحبة وتنكروا على غيرهم كما يفعل بعض الجهال فإن الدين واحد والداعين إلى الله تعالى إخوان متعاونون على هداية الخلق إلى طريق الله ومحبة رسول الله ﷺ مثل ذلك كغنم ضلت في الغابة في ليلة مظلمة شاتية باردة ففزع إليها رجال الحي وتفرقوا عليها في الغابة فمن ظفر بها بشاة أو أكثر أراحها من التعب ونجاها من شدة البرد وخطر البر كالذئب والسبع وجميع الهوام وأي شاة لم تقع بيد أحد من الرجال وبقيت في الغابة فقد بقيت للهلاك إلا أن يعصمها الله سبحانه فكذلك عوام الخلق لأنهم في خطر الفتن والذنوب والمعاصي والشهوات واستحوذ عليهم الشيطان والنفس والهوى وغير ذلك فأي شخص وقع بيد شيخ من المشايخ الصوفية ﷺ أراحه من التعب الذي أصابه من علة النفس والهوى والشيطان ورده إلى طريق الله سبحانه وطاعة الرحمن فليحمد الله تعالى ويشكره على الهداية إلى طريق الله تعالى ويبشر بالنجاة بفضل الله سبحانه وأي شخص لم يقع بيد شيخ من المشايخ الصوفية ﷺ فقد بقي في خطر إلا أن يعصمه الله سبحانه ويحرسه بفضله وينجيه من عدوه اهـ فانظر رحمك الله لكلام هذا الشيخ ﷺ وتأمل نصيحته للمسلمين نفعنا الله به لأنه ضرب لهم المثل بالغنم الضالة في الغابة وهم عوامّ المسلمين ورجال الحي بمشايخ الصوفية ﷺ فينبغي لمن وفقه الله تعالى وهداه وألقاه بشيخ عارف صوفي أن يكثر من محبته ويتبع طريقته وليحمد الله سبحانه على ذلك فبان من هذا يا موفق أن سادتنا المشايخ ﷺ من حيث كونهم دالين على الله بشريعته مولانا رسول الله ﷺ شيء واحد وطريقهم متحدة باعتبار أصلها وإن اختلفت فروعها لاختلاف القوابل والاستعدادات بحيث ذكروا أن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق وبملاحظة سر هذه المذاكرة تفهم ما ذكره الأكابر الأعيان من أن أعظم أوصاف الدالين على حضرة الملك الديان هو القيام على ساق الجد في العبودية ومعانقة التكاليف الشرعية إلى لقائه تعالى الذي هو أعظم مطلب وبغية كما أنهم نصوا على أن الداعي إلى الله تعالى لا يلزمه أن يتحدى على صحة دعواه بكرامة لأنه لا فائدة فيها بخلاف الرسول فإنه لا بدّ له منها زيادة على كمال عبوديته ظاهرا وباطنا ولسر في ذلك أن الولي العارف المحقق إنما يدعو إلى الله بحكاية دعوة الرسول ولسانه لا بلسان من يحدثه كما يحدث لرسول آخر والشرع مقرر عند العلماء به فالرسول على بصيرة في الدعاء إلى الله بما علمه الله من الأحكام المشروعة والولي على بصيرة في الدعاء إلى الله بحكم الإتباع لا بحكم التشريع فلا يحتاج إلى آية أو بينة فإنه لو قال ما يخالف حكم الرسول لم يتبع في ذلك ولا كان على بصيرة فلا

فائدة في إظهار الآية بخلاف الرسول فإنه ينشئ التشريع وينسخ بعض شرع مقرر على يد غيره من الرسل فلا بد من آية تدل على صدقه وأنه مخبر عن الله في مدة ما قرره الله شرعا على لسان رسول آخر هكذا الأمر مجريّ في حكم العلم فالكرامة التي هي حقيقة باسم الكرامة هي استقامة الجوارح الحسية والمعنوية على منهاج العبودية ولا شك عند كل عاقل منصف أن من ألبس حلة الاستقامة كانت الكرامة الحسية هي تشتاق إليه بنعت الظهور على يديه تشريفا لها بالبروز منه ومن كانت الكرامة تشتاق إليه كيف يجد من نفسه ميلا عن الأعلى إلى الأدنى هذا لا يكون أبدا إذ ما رضي بسرح الدواب ما كانت رعيته كل ماش وداب ودليل اشتياق المقامات والأحوال إلى صاحب لاستقامة ما ورد في الخبر من قوله ﷺ اشتاقت الجنة إلى ثلاث إلى آخر الحديث فما اشتاقت الجنة إلى بلال ومن معه إلا لكونهم ريحان الحضرة الإلهية لما هم عليه من كمال المتابعة لرسول الله ﷺ فالجنة والأكوان كلها تشتاق إلى العارف وهو لا يشتاق إلى شيء ومن كمال اشتياقها وجود الطاعة منها عند أمرك امتثالا لأمر الله بذلك في قوله يا دنيا اخدمي من خدمني ولا خصوصية للدنيا بل وكذا الآخرة أفاد هذه المذاكرة سيدنا ومولانا الوالد قدس سره في الرسالة الحادية والأربعين من رسائله وستأتي مبسوطة بحول الله ثم قال ﷺ في الرسالة الثانية والأربعين بعدها ما نصه اعلموا إخواني وفقكم الله أن الله تبارك وتعالى قد أكمل ديننا والحمد لله لما بعث فينا رسول الله ﷺ إذ به كمل دين الهدى وختم بشريعته الغراء جميع الشرائع لأنها أم الشرائع وما قبلها فروع ممتدة منها فلذلك أقرت ما أقرت ونسخت ما نسخت وخصصت ما خصصت وذلك أعظم دليل على أنها أم الشرائع وأسها غير أنها نزلت مجملة على قلب رسول الله ﷺ ثم أخذ رسول الله ﷺ في تفصيل المجمل في كل نازلة بحسب الوقائع فلم يكن جبريل أعلم من رسول الله ﷺ فيما نزل به وأما قوله تعالى ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: (٣)] الخ فعندي أن الكمال هنا التفصيلي الذي كان كامنا في الكمال الإجمالي وذلك أن الأمة المحمدية لما لم يكن لها استعداد لتلقي الشريعة من المشرع لا إجمالا ولا تفصيلا بعث الله رسولا من أنفسهم مستعدا لقبول الشريعة من المشرع فلما بشر وأنذر وبين الأحكام وأراد الحق أن يفتح لهذه الأمة باب الأفهام لتتحقق لها معنى الأوسطية التي خصت بها بين الأنام خاطبهم سبحانه من أعلا سطح دير الأزل من باب الفضل والمنة بقوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا وكماله ظهور الأصل في عين الفرع والتفصيل في عين الإجمال إذ بذلك تمت النعمة علينا دون من قبلنا من الأمم من حيث أن من قبلنا مفتقر إلينا ومتشوف إلى مرتبتنا التي اندمجت فيها جميع المراتب ومرتبتنا هي الإسلام التي تسمى الدين بها لأن جميع الشرائع كلها أسلمت أمرها إليها وسجدت عند ظهورها بنعت المتابعة بحيث لو أدركت وجود مشرع جديد أدخلت حكمه تحت حكمها بدليل أنها نسخت كتابه وشاهد هذا قول صاحب الشرع المحيط لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباع سنتي ونزول عيسى رافع للنزاع وليس المراد بالكمال أن الوحي قد انقطع عند نزول هذه الآية لأن الخارج لا يساعد هذا التفسير لنزول آيات بعدها على أن الصحيح

في هذه الآية أنها مكية والمراد من هذه المقدمة كلها أن تعلموا أن من كمال ديننا الذي شرفنا به الله أن عرّفنا سبحانه أن باب النبوة والرسالة قد سدت خوخته ولم يبق مفتوحا إلا باب الولاية الذي يحصل لنا الكمال في العبودية حتى يكون وليا لله فليقتد بما شرعه خاتم النبيين وإمام المرسلين فإنه السبيل الموصل إلى الباب المفتوح وقد شرع الحق لجميع الموجودات الإقتداء به والاهتداء بهديه فقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني أي إن كنتم تريدون الوصول إلى الله من حيث العلم به ذاتا وصفة فاتبعوني في الطريق المشروع فإنه الموصل إلى الباب المفتوح الذي هو باب الولاية وهو طريق سهل قريب مختصر جامع لجميع الطرق الموصلة إلى الله سبحانه بحيث يعترف بذلك كل من له ذوق سليم من التعصب النفساني ويكفيك في هذا المعنى أن روح الله عيسى عليه السلام إذا نزل آخر الزمان لم يقدر على السير بالقانون الذي بعث به لقومه بل لا يسير إلا بسير الأصل الكبير الذي هو مادة الفرع الذي بعث به لسهولته وسرعة الوصول به مع كمال اختصاره وإفادته إذ لم يفده فرعه فشريعة سيدنا محمد ﷺ هي النجاة لكل طالب وراغب وهي معراج الترقي لكل قسيس وحبر وعالم وراهب ولو أن كل أمة أنصفت كإنصاف نبيها وأصحابه ما تركوا الأصل وتمسكوا بالفرع ولكنهم عموا وصموا عن إدراك مراتب التفصيل في عين الإجمال قياسا على ما هم فيه فحكموا بتصحيح الفرع وإبطال الأصل وهذا غاية الجهل بالله وأحكامه نعوذ بالله من الخذلان فتحافظوا إخواني على الشريعة المحمدية واعلموا أن رسمها قد اندثر وانمحق حتى صار الحق منكورا والباطل مقرورا بحيث إذا أخذ الإنسان ببعض معالم الشريعة التي فعلها المشرع أو أمر بها أو أقرّها أنكر الجاهلون ذلك ونسبوه إلى الحمق والبدعة وسفهوا رأيه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وموجب ذلك غلبة الحس على المعنى بحيث لم يبق للمعنى أثر ظاهر إلا وقد اندثر ولا أثر باطن إلا وقد انتشر ومراد الحق من ذلك تصديق قول رسول الله ﷺ بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا وقد جاء في الخبر أن الساعة لا تقوم حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله فإذا لم يوجد من يقول الله تهدم الوجود لصرافة الحس إذ ذاك لأن المعنى القائمة بالذاكر هي روح الكائنات فإذا لم يبق من يقوم به سر التوحيد الذي هو مدلول الاسم المفرد من حيث التحقيق اضمحل الكون وما فيه وانتقل إلى صرافة المعنى وهي الآخرة لأن الحس ما قام إلا بالمعنى فشدوا أيديكم على الصراط المستقيم واعلموا أنكم بخير ما دمتم على المنهاج القويم وإلا فلا سبيل لنا إلى ما نطلبه من ربنا ولله در العارف بالله العالم الرباني حامل لواء المذهبين أبي عبد الله سيدي محمد الحراق رضي الله عنه إذ يقول في تائيته

ومكن بكف الشرع أمرك كله ... فدونك إن لم تفعل الباب سدت

والمراد بالباب في كلامه باب الولاية التي تقدم ذكرها فجاهدوا في الله حق جهاده وحق الجهاد أن يكون الفقير آخذا بالعزائم دون الرخص إلا مع الضعف فإن الرخصة تصير عزيمة بالوصف العارض وقد علمتم أن من لا مجاهدة له لا مشاهدة له إذ المجاهدة شريعة والمشاهدة حقيقة وهما متداخلتان فأين هي المجاهدة

ثم هي المشاهدة وأين هي المشاهدة ثم هي المجاهدة لا غير وإن كنت ممن يقول بأن القوة لا تكون في الجهتين إلا لرجل واحد لكن نحن مرادنا ما يتعلق بأحوال السير والسلوك وقد قالت الحقيقة للشريعة انظر كمال سلطاني وعزة مكانتي ورفعة شأني إنني إذا ظهرت قتلت صاحب الظهور فقالت الشريعة نظرت إلى قوتك وغفلت عن سطوتي أما ترى فخامة ملكي ومنعة مملكتي إنني إذا بطنت قتلت صاحب البطون فالشريعة تطلب الظهور والحقيقة تطلب البطون والظاهر حاكم في الباطن كما أن الباطن حاكم في الظاهر والصولة تابعة لحكم الحضرة وهكذا أمرنا الحق سبحانه بتعليم الشارع لنا فالعارف يبطن ما حقه البطون ويظهر ما حقه الظهور فليكن الفرق في ظواهركم شمسه طالعة والجمع في بواطنكم شمسه لامعة ولا تميلوا إلى أحوال من لم يسلك طريق الرجال بأن تربى تربية سوقية فجعل يظهر ما حقه البطون ويبطن ما حقه الظهور فإنما ذلك من عدم صحبة الرجال وحط الرقبة لأهل الفن ولو حط الرقبة لأخذوا بيده وكل علم يمكن أن يؤخذ بعضه من الكتب وبعضه من صدور الرجال إلا علم هذا الفن فإنه لا يؤخذ إلا من صدور المرضعات عصمنا الله وإياكم من المضلات وسلك بنا جميعا طريق النجاة بجاه سيدنا محمد ﷺ وعلى آله آمين اهـ كلام سيدنا الوالد قدس سره هذا وقد قال ﷺ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فكل منهم ﷺ أخذ عنه ﷺ على قدر إرثه وإرثه على قدر فتحه وفتحه على قدر نوره ونوره على قدر صفائه وصفاؤه على قدر معرفته بربه ومعرفته بربه على قدر ما أوجد له من وجود حبه يحبهم ويحبونه واعلم أن أخص أوصاف أهل الإيمان الائتلاف والتعاون على طاعة الملك الديان عملا بقول السميع العليم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم قال العارف الأكبر الولي الأشهر سيدنا الشيخ إسماعيل حقي في روح البيان ما نصه ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: (١٠٥)] هم أهل الكتابين حين تفرقت اليهود فرقا وتفرقت النصارى فرقا ﴿ وَاخْتَلَفُوا ﴾ [آل عمران: (١٠٥)] باستخراج التآليف الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما أخلدوا إليه من حطام الدنيا الدنية قال الإمام تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأحبار رئيسا في بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعي أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل وأقول أنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة اهـ ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران: (١٠٥)] أي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة ﴿ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: (١٠٥)] في الآخرة بسبب تفرقهم فإنه يدوم لا ينقطع ولما أمر الله هذه الأمة بأن يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وذلك لا يتم إلا إذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ التكليف على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة إلا إذا حصلت الألفة والمحبة بين أهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله عن التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف فعلى المؤمنين أن لا يكونوا ناشئين بمقتضى طباعهم غير متابعين لإمام ولا متفقين على كلمة واحدة بإتباع مقدم يجمعهم على طريقة واحدة فإن لم يكن لهم

مقتدى وإمام تتحد عقائدهم وسيرهم وآراوهم بمتابعته وتتفق كلمتهم في الآخرة على محسوس أوضح من ظهوره في الدنيا ممن دعا إلى الله على بصيرة كالرسول وأتباعه الذين ألحقهم الله بدرجات الدنيا في الدعاء إليه على بصيرة كلماتهم وعاداتهم وأهوائهم لمحبته وطاعته كانوا مهملين متفرقين فرائس للشيطان كشريدة الغنم تكون للذئب ولهذا قال أمير المؤمنين علي ﷺ لابد للناس من إمام بار أو فاجر ولم يرسل نبي الله رجلين فصاعد الشأن إلا وأمر أحدهما على الآخر وأمر الآخر بمتابعته وطاعته ليتحد الأمر وينتظم وإلا وقع الهرج والمرج واضطرب أمر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال عليه الصلاة والسلام من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوحة الجنة وقال يد الله مع الجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد ألا يرى أن الجمعية الإنسانية إذا لم تنضبط برئاسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت إلى الفساد والتفرق الموجب لخسارة الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله ﷺ خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فعلى العاقل أن يسلك إلى صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه ويجتنب عن سبل الشيطان وأسباب الدخول فيها ثم قال فاجتهد أيها العبد الذليل في طريق المتابعة والموافقة للأنبياء والكاملين وتمسك بذيل شيخ واصل إلى اليقين لعله يجمع بإذن الله شملك بعدما تبدد وصلك وتفرق حالك فإن الطريق المجهول لا بدّ له من مرشد وإلا فالهلاك عصمنا الله وإياكم من الخلاف والاختلاف واسلكنا طريق الأخيار من الأسلاف وثبتنا فيه إلى آخر الآجال وحشرنا بأهل الفضل والكمال اهـ انتهى كلامه رحمه الله وقال من كل يوم هو في شان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان قال المفسر المذكور عليه رحمة العزيز الغفور ﴿ وَتَعَاوَنُوا ﴾ [المائدة: (٢)] أي ليعن بعضكم بعضا ﴿ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة: (٢)] أي على العفو والإغضاء ومتابعة الأمن ومجانبة الهوى ﴿ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: (٢)] أي لا يعن بعضكم بعضا على شيء من المعاصي والظلم للتشفي والانتقام وليس للناس أن يعين بعضهم بعضا على العدوان حتى إذا تعدّى واحد منهم على الآخر تعدّى ذلك الآخر عليه لكن الواجب أن يعين بعضهم بعضا على ما فيه البر والتقوى وأصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه إحدى التاءين تخفيفا وإنما أخر النهي عن الأمر مع تقدم التخلية مسارعة إلى إيجاب ما هو مقصود بالذات فإن المقصود من إيجاب ترك التعاون على الإثم والعدوان إنما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى وسئل رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [المائدة: (٢)] في جميع الأمور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الأوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ [المائدة: (٢)] فانتقامه أشد لمن لا يتقيه واعلم أن شعائر الله في الحقيقة هي مناسك الوصول إلى الله وهي معالم الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة بإشارة أرباب الحقيقة فإن حقيقة البر هو التفرد للحق وحقيقة التقوى هو الخروج عن ما سوى الله تعالى

فالوصول لا يمكن إلا بهما لكنهما خطوتان لا يمكن للمريد الصادق أن يتخطى بهما إلا بمعاونة شيخ كامل مكمل واصل موصل فإنه دليل هذا الطريق وفي الآية إشارة إلى تعظيم ما عظمه الله من الزمان والمكان والإخوان وقد فضل الأشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض لتتسارع القلوب إلى احترامها وتتشوق الأحياء إلى إحيائه بالتعبد فيها ويرغب الخلق في فضائلها وفضل الأمكنة بعضها على بعض ليعظم الأجر بالإقامة فيها وخلق الله الناس سعيدا وشقا والعبرة بالخاتمة وكل مخلوق من حيث أنه مخلوق لله حسن حتى إنه ينبغي أن يكون النظر إلى الكافر من حيث أنه مخلوق الله لا من حيث كفره وإن لم يرض بكفره فعلى الناظر بنظر التوحيد أن يحسن النظر ولا يحقر أحدا من خلق الله ولا يشتغل بالعداوة والبغضاء ومن كلمات أسد الله كرم الله وجهه العداوة شغل يعني من اشتغل بالعداوة ينقطع عن الاشتغال بالأمور المفيدة النافعة لأن القلب لا يسع الاشتغالين المتضادين وكان ﷺ موصوفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال فعليك أن تقتدي به ولما مدح الله الأنبياء عليهم السلام ووصف كل نبي بصفة قال له تعالى فبهداهم اقتده ففعل فصار مستجمعا لكمال خصال الخير وكان كل واحد منهم مخصوصا بخصلة مثل نوح الشكر وإبراهيم بالحلم وموسى بالإخلاص وإسماعيل بصدق الوعد ويعقوب وأيوب بالصبر وداود بالاعتذار وسليمان بالتواضع وعيسى بالزهد فلما اقتدى بهم اجتمع له الكل فأنت أيها المؤمن من أمة ذلك الرسول ﷺ فاتق الله واستحي من رسول الله كي تنجو من العقاب الشديد والعذاب المديد وتظفر بالخلد الباقي والنعيم المقيم وتنال ما ناله ذو القلب السليم انتهى وقال من نحن في رحمته طامعون ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: (١٠)] قال المفسر المذكور عليه رحمة الكريم الشكور وسئل الجنيد قدس سره عن الأخ فقال هو أنت في الحقيقة إلا أنه غيرك في الشخص قال بعض أهل اللغة الأخوة جمع الأخ من النسب والإخوان جمع الأخ من الصداقة ويقع أحدهما موقع الآخر وفي الحديث وكونوا عباد الله إخوانا والمعنى إنما المؤمنون منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية كما أن الأخوة من النسب منتسبون إلى أصل واحد هو الأب الموجب للحياة الفانية فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبتنى على تشبيه الإيمان بالأب في كونه سبب الحياة كالأب ثم قال وتخصيص الاثنين بالذكر أي في قوله تعالى بين أخويكم لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحجرات: (١٢)] في إخوتكم في الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم في المشهد والمغيب والحياة والممات كما في التأويلات النجمية ثم قال واعلم أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب بحيث لا تعتبر أخوة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام ثم قال وقال بعضهم إن الله خلق الأرواح من عالم الملكوت والأشباح من عالم الملك ونفخ فيها تلك الأرواح وجعل بينهما النفوس الأمارة التي ليست من قبيل الأرواح ولا من قبيل الأشباح وجعلها مخالفة للأرواح ومساكنها أي الأشباح فأرسل عليها جند العقول ليدفع بها شرها وهي العقول المجردة الأخروية وإلا فالعقول الغيزية والدنيوية لا تقدر

على الدفع بل هي معينة للنفس فإذا امتحن الله عباده المؤمنين هيج نفوسهم الأمارة ليظهر حقائق درجاتهم من الإيمان والأخوة وأمرهم أن يعينوا العقل والروح والقلب على النفس حتى تنهزم لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فهم كنفس واحدة لأن مصادرهم مصدر واحد وهو آدم عليه السلام ومصدر روح آدم نور الملكوت ومصدر جسمه تربة الجنة في بعض الأقوال ولذلك يصعد الروح إلى الملكوت والجسم إلى الجنة كما قال عليه السلام كل شيء يرجع إلى أصله وفي التأويلات النجمية اعلم أن أخوة النسب إنما تثبت إذا كان منشأ النطف صلبا واحدا فكذلك أخوة الدين منشأ نطفها صلب النبوة وحقيقة نطفها نور الله فإصلاح ذات بينهم برفع حجب أستار البشرية عن وجوه القلب ليتصل النور بالنور من روزنة القلب ليصيروا كنفس واحدة كما قال عليه السلام المؤمنون كنفس واحدة إن اشتكى عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ومن حق الأخوة في الدين أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ويسرك ما سره ويسوؤك ما ساءه وأن لا تحوجه إلى الاستعانة بك وإن استعان تعنه وتنصره ظالما أو مظلوما فمنعك إياه عن الظلم فذلك نصرك إياه وفي الحديث المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ومن حقه أن لا تقصر في تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مسألتك وأن لا تلجئه إلى الاعتذار بل تبسط عذره فإن أشكل عليك وجهه عدت باللائمة على نفسك في خفاء عذره وتتوب عنه إذا أذنب وتعوده إذا مرض وإذا أشار إليك بشيء فلا تطالبه بالدليل وإيراد الحجة كما قالوا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

وقالوا

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حرب أم بأي مكان

قيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم بلا مسمى وقال فضيل لسفيان دلني على من أركن إليه فقال ضالة لا توجد وقال أبو اسحق الشيرازي

سألت الناس عن خلّ وفيّ ... فقالوا ما إلى هذا سبيل

تمسك إن ظفرت بذيل حرّ ... فإن الحرّ في الدنيا قليل

قيل أبعد الناس سفرا من كان سفره في طلب أخ صالح قال أعرابي اللهم احفظني من الصديق فقيل له في ذلك قال الحذر منه أكثر من الحذر من العدو قال علي رضي الله عنه إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب وقد أحسن من قال الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والأخ لا يأمرك إلا بالخير وقيل الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين وشبر بشبر يسع متحابين واعلم أن المؤاخاة أمر مسنون من لدن النبي عليه الصلاة والسلام فإنه آخى بين المهاجرين والأنصار اهـ كلام روح البيان أخرج الإمام مسلم عن

سيدنا أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا تحاسدوا خطاب لكل من يتأتى توجيه الخطاب إليه أي لا يحسد بعضكم بعضا ولا يتمن بعضكم زوال نعمة بعض والإجماع على أن الحسد حرام ونصوص الشرع الواردة بذلك كثيرة في الكتاب والسنة روى أبو داود والحاكم وغيرهما عنه ﷺ قال إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات أي يحرقها ويذهب أثرها كما تأكل النار الحطب أو قال العشب وفي بعض الحكم الحسود لا يسود وقال بعضهم الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد وفي معناه قال منصور الفقيه ﷺ

ألا قـــل لمـــن بات لي حاســـدا	أتـــدري علـــى مـــن أســـأت الأدب
أســـأت علـــى الله في حكمـــه	لأنـــك لم تـــرض لي مـــا وهـــب
فكـــان جـــزاؤك أن خصـــني	وســـد عليـــك وجـــوه الطلـــب

وقال بعضهم في معرض التسلية لأهل فتح الله ومظاهر أنواره وأسراره عما يصيبهم ممن ابتلي بهذه البلية والعياذ بالله

دع الحســود ومــا يلقــاه مــن كمــده	كفــاك منــه لهيــب النــار في كبــده
إن لمــت ذا حســد فرجــت كربتــه	وإن ســكت فقــد عذبتــه بيــده

غيره

اصـــبر علـــى حســـد الحســو		د فـــــان صـــــبرك قاتلـــــه
فالنـــــار تأكـــــل بعضـــــها		إن لم تجـــــد مـــــا تأكلـــــه

قال الله العظيم أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الآية وقال الشيخ زروق ﷺ في رجزه

مـــن عيبهـــا الحـــرص وثم الحســـد		كلاهمـــا مـــن ربنـــا مبعـــد
أصـــلهما ضـــعف قـــوى الإيمـــان		والبعـــد عـــن منـــاهج الإحســـان
دواؤه العلـــــم بأن الحرصـــــا		مـــــؤثر في منتهـــــاه نقصـــــا
مـــع أنـــه لا يجلـــب الأرزاقـــا		ولـــيس يرضـــى فعلـــه الخلاقـــا
وجـــاء في الحـــديث كتـــب رزقنـــا		وأجـــــل وعمـــــل في خلقنـــــا
كـــذا الشـــقاوة مـــع الســـعادة		فمـــا يفيـــد الـــنقص والـــزيادة

ثم دواء الحسد المشوم		بكثرة الدعاء للمظلوم
والعلم أنه عدو النعمة		إذ قصد به حلول النقمة
وكونه يرد حكمه على		قسمة مولاه الكريم ذي العلا
وأنه من صفة اليهود		مع رتبة الحسود
هذا مع ابتلائه بالكمد		وغيره من تابعات الحسد
فلا وصول منه للمحبوب		إلا اجتماع الغم والذنوب

اللهم احفظ قلوبنا من الحقد والحسد ولا تجعل علينا تباعة لأحد آمين وقوله ﷺ ولا تناجشوا أي لا يزد بعضكم بعضا في السلعة ليغرّ غيره والحال أنه لا رغبة له فيها من نجشت الصيد إذا أثرته لأن الناجش يثير كثرة الثمن بنجشه وذلك حرام لأنه غش وخداع وقد ورد من غشنا وفي رواية من غش فليس منا أجاره الله من ذلك بمنه آمين وقال بعض المحققين إن النجش يكون بمعنى التنفير والإطراء فيحتمل أن يراد في الحديث أي لا تنافروا أي لا ينفر بعضكم بعضا ولا يعامله بما ينفره فيرجع لمعنى المقاطعة أو لا يطر بعضكم بعضا في الثناء أو لا يطر بعضكم سلعة بعض بأن يبالغ في مدحها على وجه الخديعة للمشتري وذكر صاحب القاموس أن من معاني النجش البحث عن الشيء والمنجش كمنبر الوقاع في الناس الكشاف عن عيوبهم وهذا معنى حسن فيكون المعنى لا يبحث بعضكم عيوب بعض ولا يكشف بعضكم ستر بعض وليشتغل كل واحد بعيوب نفسه عن عيوب غيره فهو نهي عن تتبع العورات المؤدي إلى القطيعة في جميع الأزمان والحالات المبعد من حضرة عالم الخفيات ويرحم الله إمامنا مالكا إذ يقول أدركنا أناسا لا عيوب لهم بحثوا عن عيوب الناس وتكلموا فيها فحدثت لهم عيوب وفضح عوراتهم علام الغيوب ولله در القائل

لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا		فيهتك الله سترا عن مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا		ولا تعب أحدا منهم بما فيك

وأشار بقوله ولا تعب الخ إلى ما ورد من أن الظلم تحت جناح كل أحد لقدرة تظهره والعجز يخفيه قال الشيخ زروق ﷺ في رجزه

من عيبها الشغل بعيب الناس		وترك ما بها من الأدناس
وذاك من كبر ومن إعجاب		وغفلة عن موجب العذاب
فقد أتى ويل لكل همزه		وبعده في ذاك كل لمزه
وفسروه أنه العياب		ويل له حلّ به العذاب
دواؤه إبصار عيب نفسه		وبحثه عن موجبات تعسه

وصحبة الأخيار والأبرار		بالإتباع وبالائتمار
من عالم ذي ورع وذي تقى		أو صالح في شأنه تحققا
ودون ذا السكوت عن أخيارهم		ونشر ما يظهر من أعذارهم
رجاء ستر ذنبه وعيبه		وخوفه افتضاحه بسببه
ففي الحديث سترة المرء أخيه		ستر له في كل عيب يقتفيه
وفيه أيضا من تتبع عورته		فضحه الله وأبدى زلته
وإن يكن في جوف بيت فعلا		جاء بمعناه الرسول ذو العلا
قالوا رأينا من خلا من عيب		فعاد عيبا شغله بالعيب
وأحدث الناس لهم عيوبا		كانت لديهم شأنها محجوبا
وآخرون بالعيوب اشتهروا		فسكتوا عن غيرهم فستروا
وزالت العيوب عند الناس		وطهروا من جملة الأدناس
فلتعن يا صاح بهذي الخصلة		فإنها مصيبة وذله
وتركها منقبة عظيمة		ووصف كل مهجة كريمه

اللهم احفظنا من كل قاطع عنك بمنك وكرمك وافعل ذلك بسائر أحبابنا يا الله وقوله عليه السلام ولا تباغضوا أي لا تتعاطوا أسباب التباغض إذ البغض والحب قهريان غير كسبيين فلا يتعلق التكليف بهما إذ لا تكليف إلا بفعل اختياري كما في جمع الجوامع وإنما يتعلق التكليف بأسبابهما الكسبية بدليل قوله ﷺ لما كان يقسم بين نسائه ويعدل اللهم هذا قسمي فيما أملك فاغفر لي فيما لا أملك أي لا أستطيع دفعه من البغض والحب القهريين ومن المقرر أنه إذا نهى عن التباغض فقد أمر بالتحاب لأن النهي عن الشيء أمر بضده قطعا على التحقيق عند أرباب الأصول وقد ورد في التحاب والمؤاخاة في الله ترغيب كثير وسيأتي إن شاء الله في الخاتمة بعض ذلك بحول الله هذا والحب في الله لا يكون إلا لمن أمر الشرع بحبه وكان جاريا على المنهج القويم حسب الإمكان ولو بوجه ما من التأويل وأما أهل البدع وخصوصا المحرمة بالإجماع وأهل الفسوق والمعاصي الذين لم يتوبوا ولم يرعوا ويجاهرون بها ولا يستقبحون حالهم فيها فيجب بغضهم في الله أيضا كما يجب حب المطيعين في الله فقوله عليه السلام ولا تباغضوا وكذا قوله الآتي ولا تدابروا عام مخصوص لأنه يستني منه البغض في الله المأمور به ففي حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا عند الإمام ابن شاهين تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وألقوهم بوجوه مكفهرّة والتمسوا رضا الله بسخطهم وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والمكفهرّ كمطمئن المتعبس كما في القاموس تنبيه مما يجب التفطن له حسبما نبه الأكابر من العلماء الأتقياء نفعنا الله بهم أن من ادعى أنه يبغض لله يجب عليه الاحتياط

في ذلك وأن لا يتصرف بشهوة نفسه والميل إلى ما فيه هواه ولو بمطلق وجه فإنه قد يعذر في نفس الأمر ولا يعذر لإتباعه لهواه وتقصيره في البحث عن معرفة ما يبغض عليه فإن كثيرا من البغض لذلك إنما يقع ممن يظن أنه لا يقول إلا الحق وهذا الظن خطأ قطعا فإن أراد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه فهذا الظن قد يخطئ وقد يصيب إذ قد يحمله على الميل إليه مجرد هوى أ إلف أو عادة فالواجب عليه أن يصحح نفسه ويحترز غاية التحرز وما أشكل منه فليتجنبه خشية أن يقع فيما نهي عنه من البغض المحرم قالوا وها هنا دسيسة أخرى ينبغي التفطن لها وهي أن المجتهد بحق قد يري رأيا مرجوحا أي في نفس الأمر والفرض أنه راجح في اعتقاده فهو وإن أثيب عليه قد لا يكون المنتصر لقوله كذلك أي مثابا عليه وهو ما إذا قصد بانتصاره له أنه من أقوال متبوعه ولو كان من أقوال غيره لم ينتصر له لأن انتصاره حينئذ مشوب بإرادة علو متبوعه وظهور كلمته وأن لا ينسب إلى الخطأ وها كله قادح في قصد الانتصار للحق فافهم ذلك فإنه مهم ويخفى على كثيرين اللهم احفظنا من التلبس والتدليس وأرنا الحق حقا ارزقنا إتباعه والباطل باطلا وارزقنا اجتنابه آمين هذا وأعظم أسباب التباغض والتقاطع محبة الدنيا الدنية ومتابعة الأهواء الشيطانية والتخلق بالأخلاق القبيحة المردية مثل الحقد والحسد والرياء والكبر والعجب وغير ذلك من نقائص النفس الأمارة التي لا تحد ولا تستقصي إذ للنفس من النقائص ما لله من الكمالات ورأس ذلك كله محبة الدنيا والعياذ بالله كما قال صاحب المرشد ﷺ رأس الخطايا هو حب العاجلة الخ وبذلك يتسع الخرق على الرّاقع ويجهد في المدافعة كل مدافع إلا أن تتدارك عناية الله بواسطة أفضل شافع صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الإمام الشعراني في العهود المحمدية عن شيخه سيدي علي الخواص رضي الله عنهما قال الدنيا كلها ابنة لإبليس وكل من أحبها زوّجها له ويصير إبليس يتردد إليه لأجل بنته بل الشيطان يتردد إلى من خطب ابنته ولو لم يدخل بها على عادة الأصهار فإن أردت يا أخي احفظ من ذلك فلا تصاهره ولا تخطب بنته انتهى وذكر الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين قدس سره في كتابه روح القدس قال والله ما يستوي فراغ عارف عنده درهمان أي زائدان على ضروريات وقته وفراغ عارف عنده درهم بل صاحب الدرهم أفرغ من صاحب الدرهمين اهـ وقال مولانا الوالد قدس سره في الرسالة الثامنة عشرة من رسائله ما نصه اعلموا إخواني وفقكم الله أني تأملت كتاب الله وسنة رسوله ومواجيد العارفين وعلومهم وأمعنت النظر في السبب الصارف للقلوب عن تحليها بحلية الصدق في طلب الحق فوجدت لهذا الأمر أصولا ولتلك الأصول فروعا لا تكاد تحصى كثرة فرأيت التنبيه عليها واجبا ولكن صادمني في التحصيل ما هي عليه من التطويل فلغزت للجميع بإشارة وجمعت الكل في عبارة وقلت في الاختصار ما قال رسول الله ﷺ تعس عبد الدنيا تعس عبد الدينار والدرهم فالخيبة والخسارة إنما حصلتا للقاصد بارق التوحيد بسبب وجود هذا الأصل الذميم الذي تفرعت منه جميع المفاسد وبيانه من حيث الإجمال أن محبة الدنيا توجب محبة الدينار وهو يوجب حب الشهوات وهي توجب تناولها وهو يوجب البطنة وهي تقوي أبخرة المعدة والأبخرة تجفف رطوبة الرأس وذلك يستدعي كثرة النوم وهي تميت القلب والموت يخرب

القلب من الهدى الذي هو صدق الطلب فوالله لا يتخلص عبد من هذه الداهية إلا إذا اتخذ الفقر حرفته والتوكل زاده والصبر مطيته والعلم عصاه ثم أسرج مطيته سرج الهمة وجعل ديرها حسن النية ومهما زها ذكر الله ثم صار وترك الجميع في دائرة تعزية الحق بقوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فعليكم إخواني بالتقليل من الدنيا وزهرتها فإنها الفتنة العظيمة واسمعوا سيرة أهل الصدق كيف كانوا في التخلي عنها وعن غرورها تعلموا حقيقة القصد قال ولي الله الدراج

فتشت كنف[1] أستاذي أريد مكملة فوجدت فيه قطعة فتحيرت فلما جاء قلت له أني قد وجدت في كنفك قطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال لي خذها واشتر بها شيئًا فقلت ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني الله صفراء ولا بيضاء غيرها فأردت أن أوصي أن تشد في كنفي فأردها إلى الله تعالى اه فبالله العظيم أقسم عليكم معشر الفقراء الصادقين تأملوا هذه القصة العظيمة وما كان عليه أمر هذا الشيخ من التخلي عن الدنيا المذمومة فمن وجد في نفسه محبة الفقر منها فأنا أبشره بأنه حل في أوّل مقامات التوحيد الخاص ومن وجد الميل في قلبه إلى الدنيا فلا يغتر بما هو عليه فإن أبواب الاستدراج متعددة وعلمها أوسع مما علمت فالله يحمينا بحمايته فإن الورع من ورعه الله ويحملنا في محامل رعايته فإن المستقيم من وفقه الله بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه اه حكاية عجيبة جاء رجل إلى سيدنا أبي مدين ﵁ فقال له يا سيدنا إن الشيطان يؤذيني فعسى أن تدفعه عني فقال له الشيخ قد شكى إليّ إبليس بك قبلك قال وما قال لك قال قال لي لتعلم يا شيخ أن الدنيا خلقها لي ربي وجعلها حبالتي وشركي وملكنيها فجاء فلان فتعدى علي فيها وأخذ لي منها فعدوت وراءه أطلب حقي منه والله ما قصدت منهم إنسانا ولا طلبت أحدا ولا برحت من مكاني احفظ علي بستاني ومالي فمن أخذ لي منه شيئًا تبعته اطلب حقي وقد عرفت أن فلانا يشكوني إليك فسبقته وقد أخبرتك بالقصة وأنا لا أترك منه حقي وأسلبه فيما أقدر عليه من دينه أو يرد إليّ متاعي كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: (٤٢)] فمالي عليهم حجة ولا حق فإنهم تركوا ما لي وهذا تعدّي ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾ **[البقرة آية: (١٩٤)]** فمن الظالم فقال الرجل أنا فقال له الشيخ رد إليه دنياه يرد إليك آخرتك قال بعض الكبار واعلم أن الشيطان وإن كان لك عدوا مبينا فإنه لا يظهر منك إلا ما هو فيك من السوء ولا تأثير له فيما يصدر منك أصلا كما لا تأثير لك أنت أيضا في ذلك وإنما ينسب الفعل إليك يا صاحب النفس الأمارة التي هي عون للشيطان

---

[1] قوله كنف بوزن حمل وعاء يكون فيه أداة الراعي وبتصغيره أطلق على الشخص للتعظيم في قوله كنيف ملئ علما اه مصباح.

على إضلالك وينسب سبب ذلك الفعل وهو الوسوسة إلى الشيطان العدو والله خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين وقال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه السيوطي في الجامع الصغير بعثت داعيا ومبلغا وليس إلي من الهدي شيء وخلق إبليس مزينا وليس له من الضلالة شيء قال الإمام المناوي في شرحه فالرسل إنما هم مستجلبون لأمر جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطر على خير وينذرون من جبل على شر والشيطان إنما ينشر حبائله لأمر جبلات الخلق كما تقرر فكلا الفريقين لا يستأنفون أمرا لم يكن بل يظهرون أمرا كان مغيبا وكذا حال كل إمام وعالم في زمنه ودجال وضلال في أوانه فإنما يميز كل منهما الخبيث من الطيب انتهى فتأمل هذا وإياك أن تعتقد أنه يجد سبيلا لمن كملت عبوديتهم لله تعالى وتحرر وتخلص باطنهم من سائر الأغيار المسماة الدنيا الحاجبة عن حضرة الواحد القهار وإنما سبيله بإذن الله على من كان من حزبه بمحبة الدنيا قال الله العظيم إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أي ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو ﴾ [فاطر: (٦)] أي الشيطان أي يقهر ويغلب ﴿ حِزْبَهُ ﴾ [فاطر: (٦)] أي أشياعه وأولياؤه وكل من أطاعه لا غير وهذا معنى ما سبق من أن كل داع إلى طاعة أو معصية يميز الله به بين الخبيث والطيب فقط ﴿ لِيَكُونُوا ﴾ [فاطر: (٦)] أي من دعاهم ﴿ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: (٦)] تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى إتباع الهوى والركون إلى الدنيا أجارنا الله من ذلك وقال الإمام السلمي ﷺ في قوله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قال الإمام الواسطي فاتخذوه عدوا بما ينصركم عليه أي وهو الاستغراق الكامل في محبة الله والتوجه إليه تعالى بالإعراض عن العدو اللعين واحذروا أن يعانيكم أي بمجادلته ومقابلته ومواجهته فإنما يدعو حزبه وحزبه هم الراكنون إلى الدنيا والمحبون لها والمفتخرون بها وقالت السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها أرجى آية في كتاب الله عندي قوله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قالت كأنه يخاطبنا ويقول أنا حبيبكم فاتخذوني حبيبا وقال سهل ﷺ حزبه أهل البدع والضلالات والأهواء الفاسدة والسامعون لذلك من قائلها وقال الإمام الواسطي ﷺ حذر وسمى حزبه ومتابعيه وأمر بطرده بضياء المبادرة في العهود وحفظ الحدود ورعاية الود بطرد الوساوس كما أن بضياء النهار تطرد الكلاب من المجالس وأنشد شعرا

ومـــن رعـــى غنمـــا في أرض مســـبعة		ونام عنهـــا تـــولى رعيهـــا الأســـد

وقال سيدنا ومولانا الوالد قدس سره في الرسالة الخامسة عشرة من رسائله ما نصه ومما نؤكد به عليكم دوام جمع همكم على الله سبحانه حتى تغيبوا فيه عن إذاية من يؤذيكم أي من شياطين الانس والجن فلا تشتغلوا به بل اشغلوا قلوبكم بالله سبحانه إذ ذلك وظيفة القلوب من حيث العبودية فإنكم إن اشتغلتم بالله فزتم بمعرفة الله والوقاية من إذاية المؤذي وإن أنتم اشتغلتم بإذاية المؤذي فاتتكم معرفة الله التي خلقتم لها ودام الأذى لكم من المؤذي فاشتغلوا بالحبيب يكفكم همّ العدو والصديق ولما نزل قول الله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا افترقت أذواق السامعين في عداوة العدو فقالت طائفة إن عداوة العدو

حقا هي الاشتغال بمحبة الحبيب فاشتغلوا بها فكفاهم الله همّ العدو إذ ما كان الله ليسلمهم إلى العدو مع وجود المحبة والاشتغال بلوازمها ونالوا محبة الله مع وجود الكفاية من الله وقالت طائفة إن عداوة العدو حقا هي الاشتغال بحقوق العداوة فاشتغلوا بها ففاتتهم محبة الحبيب ودامت إذاية العدو إذ موجب عداوته هو وجود مطلوبه فما دام الوجود ثابت الإحكام إلا والعداوة قائمة وفي هذا تعب المريد مع ما له من الحرمان فعليكم إخواني بدوام اللجأ إلى الله يكفكم الله كيد الكائدين تصديقا لقوله تعالى حقا علينا ننج المؤمنين وقوله تعالى ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ [آل عمران: (١٢٠)] وإياكم أن تفهموا أن المراد من النجاة في قوله ننج المؤمنين وعدم الضرر في قوله ﴿ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ [آل عمران: (١٢٠)] عدم وجود صورة ذلك فإن هذا محال إذ ما ثم إلا رب وعبد وكل واحد من عبيده يسأله النجاة مما يؤذيه ولا محالة أن الله أخبر بنجاة أهل الإيمان وعدم إضرار أهل التقوى بل المراد من النجاة حفظ أحكام التوحيد عند تجلي الجلال بحيث لا يفتنون بصورة ما يبدو من إذاية من آذاهم بل يشهدون الفعل من الله كما يقتضيه توحيد الأفعال فإذا أوذوا في الله رجعوا إلى الله وعلموا مراد الله من مقابلة الأسماء الإلهية حتى انقلبت حقيقة إحسان المحسن إلى الإساءة فيتأدبون مع الله بالأدب الواجب عليهم ويغيبون عن حال الحكمة في مقتضى الحقيقة فيفوزون بنعمة الحال ويكونون والله من الرجال فإن لم تفهم النجاة هكذا فقد حرفت الكلم عن مواضعه وجهلت أسرار الربوبية في العبيد وإلى هذا الفهم أشار أبو الحسن الشاذلي ﵁ بقوله لا تشتغل بإذاية من يؤذيك واشتغل بالله يرده عنك فهو الذي سلطه عليك ليختبر دعواك في الصدق فتدبروا إخواني سر ما أشرنا إليه تفوزوا بعناية الله ثم قال ويعجبني هنا قول العامة في مثلها السائر الذي تبغي تنكيه اسكت وخليه وهذا المثل من أعجوبة ما يسمع لمن فهم معناه والله على ما نقول وكيل اهـ ونقل الإمام الغزالي ﵁ عن جرير بن عبيد العدوي قال شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي من الدنيا والهوى لا يدخله الشيطان ولا يقدر أن يتسلط عليه بوسوسة أو غيرها لقول الله العظيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى وخالف أمر الله ورسوله ﷺ فهو عبد الهوى عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال قال رسول الله ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال في الحكم ما أحببت شيئًا إلا كنت له عبدا وهو لا يرضى أن تكون لغيره عبدا ومن هنا يتسلط الشيطان على الإنسان ويجد السبيل للوصول إلى إفساده وفي قوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه إشارة إلى أن من كان الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقد تقرر عند الفحول من علماء الطريق أنه لا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب إلا ذكر شيء ما يوسوس به لأنه إذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يجوز أن يكون أيضا فيه مجال للشيطان عدا ذكر الله تعالى فإنه هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع

وساوس الشيطان تطهير القلب من محبة الدنيا وعمارته بذكر الله ومشاهدة حضرته وهذا لا يقدر عليه إلا المتقون الذين وفقهم الله لاستعمال أسباب الجمعية عليه والتباعد من أسباب النفرة والتقاطع والتباغض وغير ذلك من الأوصاف القبيحة التي لا يرضى التخلق بها إلا السفيه فيجب على العبد أن يجتهد ما أمكنه في تطهير باطنه من الأغيار ما دام يمكنه ذلك وخصوصا في حال صغره قبل العجز والضعف وغير ذلك من العوارض الحادثة التي تحير الأفكار ذكر بعض الكبار أنه ورد إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح والعياذ بالله وكان أحمد ابن حرب يقول ينبغي للرجل أن يرتدع عن اللهو والمعاصي إذا بلغ الأربعين سنة وإذا طلع الشيب في رأسه وإذا حج إلى بيت الله الحرام وإذا تزوّج فإن الزنا بعد التزويج أقبح من كل قبيح قلت والمعنى أن ما ذكر يشتد قبحه على من تخلق بهذه الصفات لا إنها كانت مباحة لمن لم يبلغ الأربعين نظير ما قالوا يستحب للصائم ترك الغيبة وكان يحيى بن معاذ يقول ما أمر الإنسان في هذه الدار ولو طال إلا كنفس واحدة في جنب عيش الجنة ومن ضيع نفسا واحدا يعيش به عيش الأبد إنه والله من الخاسرين وكان كعب الأحبار يقول الشاب المتعبد أحب إلى الله من الشيخ المتعبد ومر رجل على حذيفة بن اليمان وحوله فتيان جلوس فقال ما لهؤلاء الأحداث حولك فقال وهل الخير إلا في الشباب أما سمعت قول الله تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقوله تعالى إنهم فتية آمنوا بربهم وقوله تعالى قال لفتاه آتنا غداءنا وأن الله لم يبعث نبيا إلا وهو شاب وفي الزبور ما بلغ أحد سبعين سنة إلا اشتكى من غير علة وكان محمد بن حسان يقول لا تطلب من نفسك العمل في هذه السنة مثل عملها في السنة التي قبلها لأن الإنسان كل يوم في نقص وقد قيل لشيخ كيف حالك فقال صار يسبقني من هو معي ويدركني من هو خلفي وصرت أنسى كل شيء سمعته من الخير وصرت إذا قمت دنت مني الأرض وإذا قعدت تباعدت وصرت أبصر الواحد اثنين واسود مني ما كنت أحب أنه يبيض وابيض مني ما كنت أحب أنه يسود واشتد مني ما كنت أحب أنه يلين ولان مني ما كنت أحب أنه يشتد انتهى أفاده الشعراني ﷺ في كتابه تنبيه المغترين ثم قال فتأمل يا أخي ما ذكرته لك واستغنم شبابك ورقع مشيبك بكثرة الاستغفار فلعلك تجبر ما انصدع من دينك والحمد لله رب العالمين انتهى ومن شعر الإمام البخاري ﷺ

اغتنم في الفراغ فضل ركوع		فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم		ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

وذكر عن سيدي حاتم الزاهد ﷺ قال أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء ولا قدر الصحة إلا المرضى ولا قدر الحياة إلا الموتى وهذا مأخوذ من قوله ﷺ اغتنم خمسا قبل خمس خذ من شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك فينبغي للإنسان أن يعرف قدر حياته ويغتنم كل ساعة تأتي

عليه ويقول لا أدري كيف يكون حالي في ساعة أخرى ويتفكر في ندامة الموتى أنهم يتمنون الحياة مقدار ركعتين أو مقدار قول لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وأنت قد نلتها فاجتهد في عبادة الله واسع في صلاح قلبك بطاعة الله واترك عنك الاشتغال بأسباب التقاطع والتباغض بين عباد الله تفز بفضل الله قال بعض العارفين قد بين الله تعالى من يوقع بيننا العداوة والبغضاء فقال عز من قائل إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وامتن تعالى على عباده إذ ألف بين قلوبهم فقال واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ومن هنا كانت النميمة من أفحش الكبائر لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء بين العباد حسب ما هو وصف كل شيطان والعياذ بالله واعلم أن الشيطان كما يكون من الجن الموصوف بالأوصاف الرديئة والعداوة لأهل الملة الإسلامية يكون من الإنس أيضا قال الإمام الواحدي في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يعني مردة الإنس والجن والشيطان كل عات متمرد من الإنس والجن قالوا إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه قالوا يدل على هذا ما روي عن النبي ﷺ قال لأبي ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن قال قلت وهل للإنس من شياطين قال نعم هي شر من شياطين الجن وذلك أني إذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا وقال الإمام الخازن في تفسيره لدى قوله تعالى من الجنة والناس إن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الإنس وكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الإنس قد يوسوس للإنسان كالناصح له فإن قبل زاد في الوسوسة وإن كره السامع ذلك انخنس وانقبض وذكر صاحب روح البيان ﷺ أن الشياطين إنما يتسلطون على ابن آدم بفضول النظر والكلام والطعام ومخالطة اللئام ومن اختلط فقد استمع إلى الأكاذيب وخصوصا إن كانت همته في بطنه وعلم أن استماعه للأراجيف يوصله فإنه لا يبالي والعياذ بالله بما يسمع ولا فيمن يسمع ولو تكلم اللئيم لدى من ابتلي بالبلاء المذكور في أبيه بأقبح القبائح لقال له كل ما تقوله حق وواقع والحالة أنه بريء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقد ورد حبك الشيء يعمي ويصم ويرحم الله القائل

يغمى على المرء في أيام محنته		حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

يقول جامعه عفا الله عنه والله ثم والله لا يرضى بهذه الحالة إلا السفيه الذي ألقى جلباب الحياء عن وجهه بسبب ما غمر قلبه من ظلمانية الجهل والهوى ومحبة الدنيا وقد قال بعض العارفين ﷺ إن دنيا الفقير هي بطنه فبقدر ما يملك من بطنه باستعمال رفع الهمة والرضا بالموجود ولو كسرة خبز وكوز ماء يملك الزهد في الدنيا وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وأهلها ويجعلونه مسخرة بين أيديهم وقنطرة لنيل

أغراضهم الفاسدة وقد حكى أن بعض الأكابر من أهل الشعور الذين أرادوا الله دون ما سواه استدعاه بعضهم لطعام صنعه فأجابه امتثالا للوارد في إجابة الداعي ظانا السلامة في الحس والمعنى فلما وصل واستقر به المجلس ووضع الطعام بين أيديهم شرعوا يتكلمون في بعض الناس ويغتابونه فتنغص قلبه وتكدر بسبب ذلك وقام بقوة عظيمة وحال عجيب وقال إنما صنع بي هذا وأوقعني في هذه البلية بطني ومحبة ملئه وخرج في حينه من ذلك المحل خوفا على قلبه أن يحجب عن حضرة الله بسبب هذه الأكلة ومن المقرر أن السلامة مقدمة على الغنيمة عند أهل العقول الكاملة المجردة وقليل ما هم اللهم ألطف بنا فيما جرت به المقادير واحفظنا وكذا سائر أحبابنا وإخواننا من الوقوع في هذه البلية الكبرى والمصيبة العظمى التي عمت الوجود إلا من عصمه الله بمنك وكرمك آمين وقد قال سيدي عبد الواحد بن زيد ﷺ من ضبط بطنه ضبط دينه وكانت بلية آدم أكلة وهي بليتكم إلى يوم القيامة وقال الإمام المحاسبي ﷺ أن العبد إذا ضبط بطنه ملك جوارحه وعرف قلبه وهانت عليه المحاسبة وصار مخالفا للنفس فيما تهوى بإذن الله تعالى وإن ضيع بطنه صعب عليه الأمر وشردت جوارحه وضاع قلبه ولم يعرف حاله ولم يقدر على المحاسبة ومن كان بهذه المثابة لا يجيء منه شيء والعياذ بالله ولا يرضى بهذه الحالة إلا الخسيس البليد البهيمي الطبع ولذا رضي بالذل والهوان وتعرض بسبب بطنه للمقت والخسران كما يشير إليه قول بعضهم

ولا يقيم على ضيم يراد به		إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته		وذا يشج فلا يرثى له أحد

نسأل الله السلامة والعافية لنا ولأحبابنا بمنه وكرمه ومن أجل هذه المصيبة العظمى عد الأكابر من أركان الولاية الجوع وعدم الاعتناء بالشهوات البطنية خصوصا وغيرها عموما لأنها تابعة لها حتى قال بعض مشايخنا ﷺ في حكمه له من صادق الله في تركه الشهوات خدمته الأكوان في الحياة والممات ولا شك أن الأكوان لا تخدم في الحياة والممات إلا من كان وليا لله عالم الخفيات وقد اتفق أرباب الطريق على أن الفقير إذا كان محبا للشهوات لا يجيء منه شيء لأن المريد الشهواني أبدا يركن إلى الفاني والراكن إلى الفاني لا يصل أبدا إلى الباقي ولازال السلف والخلف يحذرون المريد من الشهوات خشية الوقوع في البليات الموجبة للغفلات أوحى الله إلى داود عليه السلام وقال له حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عني محجوبة وقد قيل إن الشهوة زمام الشيطان من أخذها كان عبده ومن أراد صفوة قلبه فليؤثر الله على شهوته وقد تقرر عند الفضلاء من كبار الطريق أن ما زاد على الخبز فهو شهوة وقد قال عليه السلام إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا وأهلها السلام هذا لمن رام بلاد المجاهدة فأما حال المقتصد فهو ما قال ﷺ ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي الحديث من أكل

في زيادة الثلث إنما يأكل من حسناته وقد تقرر عند العلماء بالله إن القدر الذي يملأ ثلث البطن نصدف مد النبي ﷺ هذا وقد قال ﷺ أفضلكم عند الله تعالى أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم إلى الله تعالى كل أكول نوام شروب وورد الفكر نصف العبادة وقلة الطعام عبادة فبان من هذه المذاكرة أن أفضل القربات إلى حضرة الله ترك الشهوات البطنية ابتغاء رضوان رب البرية فإذا شيد الإنسان هذا الركن الأعظم صار وليا لله وتأهب لما يمنحه الله من مواهب ذكره وأما كون الإنسان يأكل أربع مرات أو خمسا في اليوم وفي كل واحدة يملأ بطنه ملأ لا يقدر معه على التنفس وفي كل واحدة يعدد ألوان الطعام بل ربما تجد بعضهم يتخذ معه ما يكون هاضما للطعام إعانة على تحصيل شهوته وبعد ذلك يشتكي فقدان قلبه هذا شيء عند العقلاء لا يلتفت إليه ولا يعبأ به لأن الحكم فرع التصور فمن تمسك بالأصول ظفر بالوصول وإلا فلا وقد قال سيدي أبو سليمان الداراني ﷺ إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول فمن تمسك بالأصول ظفر بالوصول ودخل منازل الرجال الفحول وإلا فلا كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد ومن لم يخرق العادة من نفسه فلا يطمعن في الدخول إلى حضرة قدسه أو تقول من لم يخرق العوائد كيف يشم رائحة الفوائد أو تقول من لم يخرق العادة كيف يذوق حلاوة العبادة أو تقول من لم يخرق عوائد نفسه حرم والله أسرار أنسه أو تقول من لم يخرق عوائد النفوس رد إلى الرأي المعكوس أو تقول من لم يسلك الجلال لا يشم رائحة الجمال وأجر القياس والله يعصمك من الناس وذلك لأن العادة والعبادة لا تجتمعان ومن أحب الله أعرض عما سواه ومن أحب ما سواه أعرض عنه كما ورد من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته ألا فآثروا ما يبقى على ما يفني والعقلاء أفعالهم دائما مقرونة بما تنتهي إليه إذ السر في العواقب والعاقبة للمتقين ومن عدم النظر في العواقب دخل الدخيل على العالم وهو لا يشعر وصار يخبط خبط عشوا والأمر لله عالم السر والنجوى وقد اتفق أهل الله قاطبة على أن الإنسان لا يصلح للحضرة الإلهية إذا لم تبق فيه من الكونين بقية وإلا فالعبد قنّ ما بقي عليه درهم وتجويع البطن مما زاد على ما تقوم به البنية هو من أعظم أركان السير والسلوك إلى الله تعالى لأنه السبب الأعظم في قطع البخارات النفسانية التي منشؤها وجود الطعام الزائد على القدر الواجب وقد قال بعض الكبار إذا رأيت الفقير مستغرق في الأوقات في الاعتناء ببطنه فلا تعبأ به ولو كان أعبد البرية ومن كانت همته في بطنه فقيمته ما يخرج منه والعياذ بالله وقد قال شيخ شيوخنا الشريف الحسني سيدنا ومولانا علي الجمل ﷺ أطعمها جهدها واكسها جهدها وأدخلها للحضرة على خنافرها أي رغما على أنفها فانظر قوله ﷺ أطعمها جهدها الخ فإنه يشير به إلى الحديث المتقدم إذا اشتد بك الجوع الخ وقوله ﷺ حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه إذ هذا هو الجهد الذي لا بد منه وأما الزائد على ذلك فإنما هو توسعة وتكثير للحساب فينبغي للإنسان أن لا يتعاطاها إلا بنية صالحة وغرض نوراني مستحضرا أن الله تعالى مطلع على باطنه وعالم بالسبب الباعث له على تعاطي هذه الزيادة والتوسعة ليكون إقدامك وإحجامك على بصيرة من الله حسبما وصف الأكابر من أهل الله

فلذا كان لهم حكم يخصهم في تعاطي ذلك بحيث لا يعترض عليهم في ذلك إلا المتعرض لسخط الله حسبما بيناه في غير هذا بحول الله ومرادنا حينه ما يتعلق بحال السير والسلوك إلى الله تعالى فافهم وإياك والتخليط فإنه فسق ولا يسلم منه في هذا الزمان إلا من حط رقبته وسلب الإرادة لله تعالى ولرسوله ولكبراء هذا الشأن المحفوفين بعناية الرحمن الرحيم جعلنا الله منهم بفضله وكرمه إنه كريم منان آمين فمن فتح الله بصيرته وذاق طعم هذه المذاكرة وحلاوة سرها ونتيجة ثمرتها عرف حقيقة وجه عداوة الدنيا للآخرة إذ لا محالة إنه ينكشف له قطعا أن لا سعادة في الآخرة إلا لمن قدم على الله عارفا به محبا له وإن المحبة لا تنال إلا بدوام الذكر والمعرفة لا تنال إلا بدوام الفكر ودوام الفكر لا ينال إلا بالإعراض عن زهرة الدنيا والقناعة بما يسره الله مما لابد منه من النصيب المشروع وهو يختلف باختلاف الناس بداية ووسطا ونهاية وما زاد على ذلك فهو دنيا مذمومة قاطعة عن الله وقد قال ﷺ من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عيني قلبه والعياذ بالله فبان من هذه المذاكرة يا إخوان الصدق والوفاء أن سير السير في عوالم النفس بنعت هدّ سمائها وأرضها لا يكون إلا بنعت المخالفة للهوى الذي هو مجموع في شهوة البطن وحسبك أن الجوع لو كان يباع ما كان لأهل الآخرة أن يشتروا سواه ومن أحب الله أبغض نفسه لا محالة ومن أبغض نفسه لم يكترث بالدنيا ولا بأربابها فالفقير الصديق قد جعل خدمته الخلوة وطعامه الجوع وحديثه المناجاة فإما أن يموت وإما أن يصل إلى الله تعالى فإذا ذاق الصادق هذه الحالة وتحقق بها بأن صارت لازمة له لا يعرف سواها أنعم الله عليه بذوق حقيقة التوكل عليه فيترك الأسباب شغلا بمسببها ويسلب الإرادة لله في جميع أموره وحتما إن من ترك التدبير فإن مولاه يدبر له ولا شك أن التدبير إنما هو من وجود الشهوة البطنية وأما من استراح منها وجعل قوته من الدنيا بلغته فإنه لا محالة يتفرغ إلى خدمة مولاه بنعت سلب الإرادة في نفسه وأهله وولده لأن ما سوى الله تعالى لا ينفع ولا يضر فالسبب لا ينفع بنفسه وتركه لا يضر لمن فتح الله بصيرته وفهم سر قول الله ﷻ فابتغوا عند الله الرزق قال سيدنا سهل بن عبد الله ﷺ في تفسيره أي اطلبوا الرزق في التوكل لا في الكسب فإن طلب الرزق من الكسب سبيل العوام أي وأما الخاصة وخاصة الخاصة فمن الصديقين فقتداهم الصديق الأكبر الوارد في مناقبه ﷺ ما ضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره وهو محبة الله ورسوله ﷺ وكمال الاعتماد على الله فلذا قال ﷺ تركت لهم الله ورسوله فافهم وقال بعض الكبار في قوله تعالى وتوكل عليه في إيصال ما فيه بلغته ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا يلزم من هذه المذاكرة القول بترك الأسباب رأسا لأنا نقول مصب الذم الاعتماد عليها والغيبة فيها عن مسببها وهذا أيضا مذهب الخاصة وخاصة الخاصة في تجل خاص وقد يتجلى الحق لمن ذكر بتعاطي الأسباب مع كمال فنائهم عنها وهم في عينها بل يعظم شهودهم عند تعاطيها وهذا مقام عظيم بالنسبة لبعض الخاصة وخاصة الخاصة يستشهد لهم عند تعاطيهم إياها بقولهم الرجل من يكون وحده ومع الناس وكم من هذا الشكل ممن جسدهم في الحانوت وقلبهم في الملكوت يخاطبون الحق ويناجونه والناس يتوهمون أنهم يكلمونهم

ويناجونهم وهذا كله بحسب التجلي وما يفهمه العارف عن الله فيه ومن المقرر أنه ما تجلى الله لولي بمثل ما تجلى به لآخر إلى غير ذلك ولهذا المبحث دلائل وكلام عظيم فكن على بال وإياك والتخليط والاعتراض فإن موضوع مذاكرتنا ما يتعلق بحال السير والسلوك وأما الكمل فلهم كلام يخصهم ﷺ ونفعنا بهم آمين هذا وقد حكي أن شيخ شيوخنا سيدنا ومولانا العربي الدرقوي ﷺ مر على بعض الأسجان فوجد ببابه بعض العال جالسا والحداد يضرب القيد على رجليه ثم أدخلوه السجن فالتفت الشيخ إلى من معه من الإخوان وقال لهم لو رضي هذا وقنع بكسرة خبز وكوز ماء لما وصل إلى هذا البلاء العظيم ولكن كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس إذا أراد الله أن ينزل قضاء سلب ذوي العقول عقولهم وإذا نزل القضاء عمي البصر والعياذ بالله وما ألطف قول بعضهم

إذا أرد الله أمـــــــرا بامـــــــرئ		وكـــــان ذا رأي وعقـــــل وبصـــــر
وحيلـــة يفعلهـــا في دفـــع مـــا		يأتي بـــــه محتـــــوم القـــــدر
غطـــى عليـــه عقلـــه وسمعـــه		وســـله مـــن ذهنـــه ســـل الشـــعر
حـــتى إذا أنفـــذ فيـــه حكمـــه		رد عليـــــه عقلـــــه ليعتـــــبر
لا تقـــل لمـــا جـــرى كيـــف جـــرى		كـــل شـــيء بقضـــاء وقـــدر

ويرحم الله الإمام ابن الوردي إذ يقول في لاميته

ملك كسرى تغني عنه كسرة		وعـــن البحـــر اجتـــزاء بالوشـــل

أي ملك كسرى تغني عنه كسرة من الخبز يأكلها الشخص ليقوى على العبادة وهي كافية ومغنية لمن أراد اللحوق بالسادة كما أنه يغني عن البحر الكثير الماء اجتزاء بالزاي المعجمة أي اكتفاء بالوشل أي ما ترشحه الأرض ويخرج منها الماء القليل فالظمآن يكتفي بشربة منه عن البحر الكبير وفي البيت إشارة إلى التحريض على سلوك الجادة المرضية التي عليها مدار جميع طرق الصوفية والتخلق بعظيم الأخلاق المحبوبة المطلوبة بإجماع أهل الملة الإسلامية وذلك الزهد والقناعة وعدم السؤال للغير والرضا بما هو مقسوم ورفع الهمة عن أن يجعل الموفق اللبيب بطنه قنطرة لأكل لحم الأحباب كما هو وصف اللئام المعرضين عن حضرة رب الأرباب ومن المعلوم أن القناعة كنز لا يفنى ومن قنع استغنى وهي نتيجة العمل الصالح لقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: (٩٧)] أي لنرزقنه القناعة كما قال بعض المفسرين وقد قيل في قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم هو القناعة في الدنيا وإن الفجار لفي جحيم هو الحرص في الدنيا وفي قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت البخل والطمع ويطهركم تطهيرا بالسخاء والإيثار وفي الحديث القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى رواه الطبراني في الأوسط عن سيدنا جابر مرفوعا وقال سيدنا ومولانا الوالد قدس سره في حكمه اغتنم العافية بالقناعة وارض بالمقدور فإنه نعم البضاعة إذ لا أفلح من طمع ولو مقدار ساعة كما أن الطمع

نتيجة العمل القبيح والعياذ بالله ويكفيك أن حروفه كلها مجوفة ومن طمع ذل في الدنيا والآخرة ولله در القائل

العبـــد حـــر مـــا قنـــع		والحـــر عبـــد مـــا قنـــع
فـــاقنع ولا تقنـــع فمـــا		شـــيء يشـــين ســـوى الطمـــع

غيره

وجـــدت القناعـــة ثـــوب الغـــنى		فصـــرت بأذيالهـــا أمتســـك
فألبســـني جاههـــا حلـــة		يمـــر الزمـــان ولم تنتهـــك
فصـــرت غنيـــا بـــلا درهـــم		أتيـــه علـــى النـــاس تيـــه الملـــك
هـــي القناعـــة لا أبغـــي بهـــا بـــدلا		فيهـــا النعـــيم وفيهـــا راحـــة البـــدن
انظـــر لمـــن ملـــك الـــدنيا بأجمعهـــا		مـــا فـــاز منهـــا ســـوى باللحـــد والكفـــن

وفي الحكم أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع وفيها أيضا ما بسقت أغصان ذل الأعلى بذر طمع وقال أبو بكر الوراق ﷺ لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان والعياذ بالله وقال سيدي إبراهيم بن أدهم ﷺ قلة الحرص وقلة الطمع يورثان الصدق والورع وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ ثلاثة من عمي البصيرة إرسال الجوارح في معاصي الله والتصنع بطاعة الله والطمع في خلق الله والعياذ بالله وفي معناه قيل شعر

إذا عـــوفي المـــرء في دينـــه		وملكـــه الله قلبـــا خشـــوعا
وألقـــى المطـــامع عـــن نفســـه		فـــذاك الغـــني وإن مـــات جوعـــا

وذلك لأن حب الغنى يورث الطمع والزهد في الدنيا يورث الورع والطمع أساس الشر والورع أساس الخير وكثرة الطمع دليل على قلة الورع سئل سيدنا الحسن البصري ﷺ عن صلاح الدين فقال الورع قيل له وما فساده قال الطمع فقيل له اجلس مثلك من يحدث الناس قيل إن السائل هو سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ ولله در القائل

كـن زاهـدا فيمـا حوتـه يـد الـورى		تضـــح إلى كـــل الأنام حبيبـــا
أو مـا تـرى الخطـاف حـرم زادهـم		فغـــدا مقيمـــا في البيـــوت ربيبـــا

وكان بعض الصالحين ﷺ يقول إن الطمع يأتي الإنسان من جهة الحرص والحرص يأتيه من حب الدنيا وحب الدنيا يأتيه من طول الأمل وطول الأمل يأتيه من الغفلة والغفلة تأتيه من قلة الذكر وقلة الذكر تأتيه من ظلمة القلب وظلمة القلب تأتيه من صحبة أهل الهوى وفي بعض الحكم من استغنى بالله عن

الناس أمن عوارض الإفلاس ومن اكتفى باليسير استغنى عن الكثير وأحلى النوال ما وصل قبل السؤال أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام يا ابن آدم ما كتب لك أن تمضغه لا بد لك أن تمضغه فامضغه ويحك بعز لا تمضغه بذل فامضغه ويحك حلالا لا تمضغه حراما فامضغه ويحك براحة لا تمضغه بتعب وفي الحديث ما طلعت شمس ولا غربت إلا وبجنبها ملكان يسمعان الخلق غير الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى اللهم وفقنا لما فيه رضاك وارزقنا العمل بما علمتنا إنك أرحم الراحمين آمين هذا وأصل المحبة فيما يدور بين العبد وربه وفيما بينه وبين الناس هو الزهد في الدنيا لقوله ﷺ لرجل قال له يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال له ﷺ ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقد زهد فيها ﷺ وأعرض عنها إلى أن مات ﷺ ودرعه مرهونة عند أبي الشحم اليهودي في شيء من الشعير وقد قالت مولاتنا عائشة رضي الله عنها لقد مات رسول الله ﷺ ولم يكن في بيتي شيء يأكله ذو كبد مع أنه قد عرض عليه ﷺ أن تجعل له بطحاء مكة ذهبا فأبى وقال لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما وإلى هذا يشير بعض المحبين في وصفه ﷺ بقوله

طـــوي الـــبطن خمـــيص زاهـــد		واثـــــق بالله إن جـــــاع شـــــكر

ثم قال

ولـــه جبريـــل حقـــا قـــد أتـــى		بالمفـــاتيح الـــتي كـــان ادخـــر
مـــن كنـــوز مـــن لجـــين فـــأبى		قـــال لا جـــاوزت قـــوتا بقـــدر

اللهم أكرمنا بكمال الإقتداء به والمتابعة لما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم واجعله مشهودا لنا في كل حركة وسكون وافعل ذلك بسائر إخواننا وأحبابنا يا من أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون واعلم أن أركان الولاية أربعة وهي الجوع والسهر والعزلة والصمت ولازال أكابر الأمة وساداتنا أهل الله الدالون على ما ينفع مع الله يحضون مريديهم خصوصا وغيرهم عموما ويحرضونهم على الاعتناء بتشييد هذه الأركان ليحصلوا على القرب من حضرة الرحيم الرحمن ويكونوا أولياء لله تعالى في السر والإعلان بمحض الفضل والكرم والامتنان وبركة الإقتداء بشريعة سيد ولد عدنان الذي قال ﷺ ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث وقال عليه الصلاة والسلام كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله تعالى وعينا سهرت في سبيل الله تعالى وعينا خرج منها مثل رأس الذباب أي من الدموع من خشية الله تعالى ففي هذا الحديث الشريف الحث على هذه الخصال والترغيب فيها لما ينشأ عنها من الأمن والسرور وقت اشتداد الكرب وليس الحصر مرادا وقوله باكية أي بكاء حزن وحسرة على ما فرطت من حقوق الله وقوله سهرت في سبيل الله المراد بالسهر في سبيل الله كل ما يقرب إلى الله تعالى من تهجد وذكر ومطالعة علم نافع وقراءته وإقرائه وحراسة المسلمين من الكفار وكل مؤذ وليقس ما لم يقل من أنواع

الطاعات وقال ﷺ في حديث شريف وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال ﷺ المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال ﷺ الصمت حكمه وقليل فاعله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا أي من سكت عن كل ما يخالف الشرع نجا من العذاب والحساب ولذا قال ﷺ كف عنك هذا وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولذا جعل للسان حبسان الأسنان والشفتان ليتأمل الإنسان في الكلام قبل خروجه إلى غير ذلك مما يدل على مطلوبية الاعتناء بهذه الأركان خصوصا وغيرها عموما وقد قال سيدنا ومولانا الوالد ﷺ ورحمه في الرسالة الخامسة من رسائله محرضا على الاعتناء بهذه الأركان ابتغاء رضوان الملك الديان ما نصه أوصيكم إخواني بالعزلة عن العالم من حيث هو إلا ما تدعو الضرورة إليه من أفراده النادرة فيصحب بقدر الحاجة لأن صحبة من لا تزيد به إلى الله حتما تزيدك بعد أمنه وقد رفع ﷺ همة الإنسان من حيث إنسانيته عن صحبة الأرزال الذين قطعتهم الدنيا عن الله بقوله المرء على دين خليله إذ حيث كانت الحالة المتدين بها هي عين حالة الخليل وجب على أهل الحق عزلة ما سوى أهله إذ خلطة الأرزال توجب الرذالة ولو كانت صافية على أن صفاء خلطتهم لا يتصور إلا من أهل التلوين في عين التمكين وأما من عداهم فلا يجد ذوق ذلك من حيث الحال وإن وجده في بعض الأوقات من حيث العلم فهو لا يفيد المراد لأن الغالب على صاحب الذوق العلمي الانقلاب على الأعقاب والسير بسير الخليل الردي ولله در العارف الكبير ولي الله تعالى سيدي أحمد بن عطاء الله إذ يقول في حكمه لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله والذي ينهض بالحال ويدل على الله من حيث المقال هو شيخك الذي شهدت له نفسك بالتقديم وسرك بالتعظيم فلا تجد عندك شمائله وأحواله إلا أحلى من العسل فعلى صحبته وخلته فاقتصر ولذلك قيل في المريد في بدايته لا يصلح له إلا ترك الوجود صالحه وطالحه ويكتفي بشيخه ويشتغل بذكر ربه حتى إذا أشرقت أنوار قلبه عند ذلك يقدر على تمييز المراتب والخوض فيها والاستفادة من جميع حضراتها وأوصيكم بالصمت عن الوجود وعدم الإنصات إلى ذمه ومدحه واشتغلوا بالله فإنه أشرف من الاشتغال بالخلق إذ مدار أهل الصدق على رضا الله لا رضا الناس والالتفات إلى العالم من حيث المدح والذم من قلة الخوف من الله تعالى ويكفي في عقوبته ما يجده الفقير من التطلع إلى ما يقال وهذه رتبة النفاق مع من لا تخفى عليه خافية وفي الصمت وعدم الإنصات إلى العالم وعدم العلم بحاله النجاة من هذه الخصلة الذميمة ولذلك ورد في الخبر أن الصمت حكمة ولا محالة أن من تحلى به حالا ومقاما يكون حكيما وشأن الحكيم توفية المناصب وإعطاء الحقوق لمستحقها وحق الخلق عند كل حكيم الغيبة عنه وحق الحق الإقبال عليه بكنه الهمة وما نال هذه الحالة إلا أهل الصدق مع الله في حالة الصمت وحالة النطق إذ ما كل من صمت كان صمته حكمة بالغة بحيث تبلغ صاحبها مرتبة التلقين للحكمة بل الصامتون كثيرون والمتصفون به على حسب علمه وحاله قليلون وما يعلم أهل هذه الحالة إلا القليل ولذلك جاء في الخبر وقليل فاعله يعني من حيث معناه لا من حيث صورته ثم قال قدس الله سره في الرسالة السابعة والعشرين

محرضا على الاعتناء بوصف الصمت أيضا بأبسط من هذا وأوصيكم بالمحافظة على الثعبان الذي جعله الله في فمكم فإنه بسببه يكب الله الناس في النار على مناخرهم وهو السبب المنجي أيضا إذ لا أطيب منه إذا طاب القلب ولا أخبث منه إذا خبث القلب وقد تقرر في علمكم ما ورد في مدح الصمت من الآيات والأحاديث ويكفي العاقل قول رسول الله ﷺ الصمت حكمة وقليل فاعله وقوله من صمت نجا إلى غير ذلك وقد عده أهل الله من أركان الولاية بل هو الركن الأعظم لمن تأمل فمتى رأيتم الفقير يؤثر الصمت على الكلام فاعلموا أن باطنه قد تعسل بنور الجذب الإلهي لأنه قد مال إلى التحقق بالوصف وهو الصمت وحقائق القرب من الحضرة الإلهية حاكمة على من قامت به بكمال آداب العبودية والصمت جماعها ولذلك كان حكمة فكلما تمكن العبد في بلاد الحكمة تحلى بأنوار القدرة ومن رام القدرة من غير الحكمة فقد هلك ولذلك إذا تكلم صاحب الحكمة وجدت كلامه مقبولا في البواطن سواء[1] وافقت الظواهر أو لم توافق بخلاف كلام صاحب القدرة المحضة فإنه يبرز وهو مكسوف الأنوار لأنه لم يتحقق بحقيقة ما تلبس به فلذلك تبرز الكلمة الواحدة من رجلين فتقبل من أحدهما وترد على الآخر كل ذلك باعتبار انضمام الحكمة إلى القدرة أو باعتبار الانفراد فإذا أراد الله أن يفتح على عبده بأن شاء أن يبدل وصفه بوصفه ونعته بنعته رزقه الحكمة التي هي ينبوع جميع الخيرات كما قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وإنما كثر خيرها لأنها تكفلت بجميع أطوار العبودية فلذلك كانت صفة الصمت ثقيلة على النفوس لا يتحقق بها إلا من أخذ الله بيده ولقلة من يتحقق بها قال ﷺ الصمت حكمة وقليل فاعله إلا لما قدمناه من ثقل العبودية والنفس لها شعور بوطن الحرية الذي جاءت منه فهي أبدا لا تميل إلا إليه كما هي مأمورة بذلك لكنها امتثلت الأمر في الميل الطبيعي ولم تمل الميل الشرعي الذي طريقه الشريعة الاعتدالية فلذلك حرمت ما طلبت بميلها وحصل أهل الصدق في الميل على ما مالوا إليه فنفوس الثقلين كلها لها شعور بالعهد القديم وكلها طالبة لذلك المعنى لكن ما صحت المعنى إلا لمن عانق العبودية وقال ربي الله ثم استقام ولأجل هذا الشعور الموجود في نفوس الموجودات حصلت المشاركة في الرتبة للعامة والخاصة ولم يهتد إلى التحقق بمعاني الرتبة إلا الخاصة وذلك أن العامة كلهم أهل حقائق تعشقوا للشرائع كما أن الخاصة كذلك غير أنه فرق كبير بين الفريقين العامة في عين الجمع ولا شعور لهم به لاستيلاء غلبة الفرق عليهم وأهل الشهود الذين هم الخاصة مجموعون مفروقون وفرق كبير بين من يطلب الأشياء في مظانها وبين من أعرض عنها وجعل يطلبها من حيث هي نافرة ولما كان الكلام صفة الربوبية كما قدمنا وقع التحذير منه طبعا وشرعا فأمسكوا إخواني لسانكم عما لا يعنيكم تبلغوا مبلغ الرجال ورضي الله عن الشيخ مولانا العربي إذ يقول في بعض حكمه من أراد أن

---

[1] قوله وافقت الظواهر أي ظواهر البشر بأن استسهلتها بتوفيق الله وقوله أو لو لم توافق بأن استصعبتها بعدل الله نسأل الله السلامة والعافية والتوفيق عنه اهـ مؤلف.

يتكلم باطنه فليصمت ظاهره فإن هذا هو الحق الذي لا غبار عليه وقد اتفقت الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والعقلاء على أن الصمت كله عندهم خير ومدح قديما وحديثا فاستعينوا به على أموركم تتيسر لكم لقوله ﷺ استعينوا على قضاء حوائجكم بالصمت وحاجة الفقير مولاه وهو لا يصل إليه إلا بمخالفته من حيث الوصف وبالجملة النجاة في الصمت عن علم فما بالك إذا كان عن غير علم وفوائد الصمت ونتائجه لا يسعنا سردها ولقد أفردت له تأليفا سميته حديقة الأزهار في نتائج الصمت وعلومه وما فيه من الأسرار جعلته على عشر منازل لكل منزلة احتوت على مائة وعشرين علما وجعلت له خاتمة كالتكملة جمعت فيها أسرار المنازل وعلومها وجعلتها تفسيرا لقوله تعالى قال رب اجعل ليآية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ونبهت فيه على أن علوم الصمت آية من آيات الله فلذلك جعله الله معجزة لبعض أنبيائه فمن أراد تحقيق ذلك فليراجعه فلقد فتح الله علينا فيه بعلوم لم تخطر على بال ولا علمت أن أحدا سبقني إليها من النساء والرجال كل ذلك ببركة رسول الله ﷺ وبركة شيخي وشيخه إذ بإذن من ذكرت فعلت وبإشارته كتبت وما شهدت إلا بما علمت ولا علمت إلا بما وجدت ولولا ورود الإذن عاريا عن التقييد ما أبديت علم ذلك في شواهد التقييد لأن ذلك من موانع المزيد والحمد لله على فضله وإحسانه اهـ رجع إلى كلام سيدنا الوالد أيضا في الرسالة الخامسة التي تقدم ذكرها في الحض على الاعتناء بالركنين الباقيين من أركان الولاية وهما الجوع والسهر فنقول قال رحمه الله وأوصيكم بتقليل الطعام إلا ما تدعو إليه الضرورة ولا تجعلوا همكم في عمارة بطونكم فإن صاحب هذه الحالة ثمنه عند الناس ما يخرج منه وحسب النهم قول صاحب الشرع المحيط ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وسره والله أعلم أن البطنة توجب نوم الفكرة ونومها يوجب قساوة القلب وقساوته تخدر الجوارح عن استعمال منافعها وإذا تعذرت المنفعة من القلب والجوارح كان الإنسان لحما على وضم فكما أن اللحم على الوضم معرّض لكل آفة كذلك من لا قلب له ولا جوارح فإنه هدف لكل سهم من أرباب الهوى والراحة من هول هذه الأحوال في تخلية لقمة من غدائك أو عشائك فإنه بقدر التخلي يكون التحلي ولذلك كان بعض العارفين يقول لأن أترك لقمة من عشائي خير لي من أن أقوم الليل كله وهذه المقالة في بادئ الرأي تكاد أن تنكر لعدم الموازنة بين ترك لقمة وإحياء ليلة ولكن من علم علم السياسة وعلم مخادع النفوس علم أن تخلية لقمة تعطي قيام ساعة ومن زاد كان له من إحياء الليل بقدر الزيادة ومن لم يترك شيئًا وأراد إحياء ساعة من الليل لم يقدر على ذلك فضلا عن إحيائه كله ومراد صاحب المقالة علم السياسة لا غير فالجوع مطية إحياء الليل وإحياؤه مظنة التخلق بالقيومية التي آيتها سيدة آي القرآن وهي آية الكرسي ولو لم يكن من فوائد الجوع وثمراته إلا هذا التخلق العجيب لكان كافيا سيما نهار العارفين والناظر في النهار لا يفوته علم المشاهدة والمحاضرة والمكالمة والقيام بما تطلبه حقيقته التي هي عين استعداده ولما فتح الله بصيرة العارف وذاق حلاوة هذه الخصلة قال من حيث التحري والتشحيذ لو كان الجوع يباع ما كان لأهل الآخرة أن يشتروا سواه ولقد صدق ﷺ ويرحم الله تعالى العارف بالله سيدي

محمدا البوزيدي إذ يقول في حكمه وفي تعرية الظهر وتجويع البطن من الفوائد خرق العوائد وأي خارق للعادة مثل افتراش خديك بين يدي مولاك تذللا وافتقارا في جنح من الليل ويكفي المنصف الطالب تحرير العلم شهادة الحق سبحانه لخاصة عبيده بهذه الحالة ومدحهم بها حيث كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وقال تبارك وتعالى لنبيه من حيث التربية والتعليم ومن الليل فتهجد به نافلة لك والتهجد السهر بالليل للعبادة وقد قيل من أراد أن يذوق ما عليه أهل الجنة من النعيم المقيم فليقم سويعة من الليل بين يدي مولاه ويرحم الله الإمام أبا القاسم الجنيد وقد رأى بعد موته وقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قيل له بماذا أبعلمك وإشارتك قال ذهبت والله تلك العلوم والعبارات وفنيت تلك الإشارات وما نفعني إلا ركيعات كنت أصليها في جوف السحر فهذه الأحوال الشريفة والمقامات الرفيعة المنيفة كلها أنتجتها تخلية المعدة من الطعام وهي معدودة من أركان الولاية المشار إليها بقول سهل بن عبد الله بيت الولاية قسمت أركانه ما بين صمت وجوع وعزلة وقد نظمها ابن العربي الحاتمي في كتابه حلية الأبدال فقال

يا مــــن يريـــــد منــــازل الأبــــدال		مـــن غـــير قصـــد منـــه للأعمـــال
لا تطمعــن فيهــا فلســت مــن أهلهــا		إن لم تـــــزاحمهم علـــــى الأحـــــوال
بيــــت الولايـــــة قســـمت أركانــــه		ســـاداتنا فيـــه مــــن الأبـــــدال
مـــا بـــين صـــمت واعتـــزال دائـــم		والجـــوع والســـهر النزيـــه العـــالي

فمن أتقن هذه الأربعة وجاهد نفسه فيها بالأدب الشرعي الذي هو إرادة بارق التوحيد منحه الله حمل راية الولاية الكبرى والخصوصية العظمى التي هي التحقق بالعبودية إن شاء الله إذ مطلب العارفين من ربهم وجود الصدق في العبودية والقيام بوظائف الربوبية اهـ كلامه رحمه الله اللهم وفقنا لامتثال أمرك والاهتداء بهدي نبيك مولانا محمد ﷺ والإقتداء به وبورثته ساداتنا المشايخ والعلماء الدالين على الله في كل حال قوّة وضعفا فإنه لا عذر في التخلف أصلا إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ويرحم الله العارف بالله سيدي عبد الواحد بن سودة الفاسي إذ يقول

هـــم القـــوم فأجهـــد في إتبـــاع ســـبيلهم		وإن لم تكـــن شـــبها لهـــم فتشـــبه

وقال تعالى وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي قال مولانا الوالد قدس سره في الفصل السادس والسبعين من البغية ما نصه لاشك عند من فتح الله بصيرته ونور بنور التوفيق سريرته أن الحق سبحانه ما أوجدنا عبثا بل أوجدنا لأمر عظيم وهو معرفته حسبما دلت عليه الأدلة القطعية العقلية والنقلية والذوقية وقد علمت أن كمال معرفته موقوف على كمال العبودية إذ العبودية جيب لأسرار الربوبية فكلما تمت العبودية ظهرت أسرار الربوبية وليس إتمام البودية إلا كونها خالصة لله كما قال الله

جل علاه وأتموا الحج والعمرة لله ففي الآية أقوى دليل على كون صاحب الحق أوجب على وفد الحقيقة إتمام مقاصدهم إلى بساط القربة بأن يتجردوا عن بساط الكائنات في توجههم إلى مزار القدم وأن يخرجوا من الحوادث بنعت التفريد والتجريد طالبين بفنائهم بقاءهم في تحقيق التوحيد وأن يغتسلوا من شوائب البشرية وأوساخ الطبيعة في أنهار المعرفة وأن يلبسوا إحرام العبودية لقصدهم عرفات الربوبية ويتموا إجابة الحق بأداء ما افترض عليهم من بذل النفوس في العبودية والأرواح في سلطنة الربوبية لتقترن إجابة الظاهر بإجابة الباطن لأنهم أجابوا الحق في بدء أمرهم إذ قالوا بلى فإتمام الحج البلوغ إلى رؤية الربوبية وإتمام العمرة البلوغ إلى حقيقة العبودية فالحج تمكين والعمرة تلوين فافهم فإذا لم يقدر العبد على فناء رسمه في هوية محبوبه فالأمر كما قال تعالى فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي فإن منعتكم أوصاف البشرية من السير والفناء جملة فاعملوا في قتل أنفسكم وذبحها ا قدرتم ليه ولا سبيل إلى الترك لأنك مخلوق العبودية

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر		وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

انتهى تنبيه وإعلام ذكر الشيخ جسوس قدس سره لدى قول المرشد رأس الخطايا هو حب العاجلة ما نصه أن شغل القلب بالدنيا يصد عن استغراق الأوقات في حقوق الله تعالى فهي شاغلة عن الله تعالى ولذلك يقولون أن الدنيا عدوة الدين فحبها مناف لحب الدين وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم الصلاة والسلام إن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب أبدا وذلك أن كل من يريد الحياة الدنيا وزينتها ويكون مشغوفا بها ومستغرقا في بحارها لا تتعدى همته ما يعود بالنفع عليها ويحوطها بحيث تبقى موفورة عليه والقلب ليس له إلا وجهة واحدة إن وجهته إليها انصرف عن غيرها قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أي ما جعل الله من وجهتين في وقت واحد وذلك لضعف البشرية عن التوجه إلى وجهتين قال في التنوير ولا يقع التوجه إلى وجهتين إلا ويقع الخلل في إحدى الوجهتين والقيام بالوجوه كلها في وقت واحد من غير أن يقع في شيء منها خلل إنما ذلك من شأن الإلهية ولذلك قال سبحانه وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله فأفاد بذلك أنه متوجه لأهل السماء ولأهل الأرض ولا يشغله توجهه لأهل السماء عن توجهه لأهل الأرض ولا توجهه لأهل الأرض عن توجهه لأهل السماء فلذلك كرر سبحانه ذكر الإلهية في الآية ولو لم يكررها لم يفد لك من هذا اللفظ بل مما يوجبه ما هو الحق سبحانه عليه اهـ فلا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى ولا يتم ذلك إلا بقطع علاقة القلب عن الدنيا والإعراض عن الجاه والمال والهروب عن الشواغل والعلائق والتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى وفي الإحياء حد أسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى إن المتفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأشجار ملتفت إلى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه بقدر ما أنس بالدنيا ينقص أنسه بالله تعالى ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئًا إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب إنسان من المشرق إلا

ويبعد من المغرب بقدره بالضرورة ولا يطلب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهن كالمشرق والمغرب اهـ ويقال البصيرة كالبصر وأدنى شيء يغير النظر واعلم أن مطلق محبة الله حاصل كل مؤمن ومحبة الدنيا الكاملة هي التي لا تجتمع مع محبة الله لحديث لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله ولما ذكرنا من أن الدنيا شاغلة عن الله تعالى ورد في ذمها والتحذير منها آيات وأحاديث كثيرة قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النازعات: (٣٧، ٣٨)] الآية وقال ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴾ [القيامة: (٢٠، ٢١)] وقال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ ﴾ [الإسراء: (١٨)] الآية وقال ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ ﴾ [الشورى: (٢٠)] الآية وقال ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: (٧٧)] وقال ﴿ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الزخرف: (٣٣)] الآية وقال ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النجم: (٢٩)] وقال ﷺ حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذيبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين المرء المسلم وقال ﷺ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما وقال الدنيا جيفة قذرة وقال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء قال سيدي زروق في شرح الوغليسية ذكر بعض الناس ما معناه أن الله ﷻ لما خلق الدنيا قال لبعوضة اشتريها مني قالت بماذا يا رب قال بإحدى جناحيك قالت وبماذا أطير قال اقعدي على الأرض بجناح واحد قالت لا خير فيما يعطل وجودي اهـ قال وهو مستأنس به ولبعض الشعراء رحمه الله في هذا المعنى

إذا كان شيء لا يساوي جميعه		جناح بعوض عند من أنت عبده
تملك جزأ منه كلك ما الذي		يكون من الأشياء قدرك عنده

وقال محمد بن علي الترمذي ﷺ لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء منهم وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين وما قام داع في أمة إلا وقد حذر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني أهدكم سبيل الرشاديا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي لن تصل إلى سبيل الرشاد وفي قلبك محبة الدنيا وطلب لها وقال وهب بن منبه ﷺ صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيئًا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير والتوفيق نجاح كل بر فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع إلى ربك أن يهب لك نجاح كل بر قال وكيف عرفت ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء وقد شبه الدنيا بسبعة أشياء شبهها بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنظرته ثم يصفر فتراه هشيما وبأحلام النائم يرى من السرور في منامه فإذا

استيقظ لم يجد في يده شيئًا إلا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الدعاق يغر ويقتل فتدبرت هذه الأحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدي في النوم فقال لي يا بني أنت مني وأنا منك قلت فبأي شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها ولا أراك خلفي إلا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به انتهى فأصل الرغبة في الدنيا وإيثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير وهو الآخرة الباقية ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهي لا شيء فلم تكن قيمته عند الله شيئًا وما يجده مؤثر الدنيا على الآخرة من التعب والشقاء والعناء وإشغال ظاهره بالطلب وباطنه بالحرص والاهتمام بما يكون وما لا يكون وتجرع الرزايا والمصائب شيء مدرك بالحس في أهل الدنيا وما يفرحون به يحزنون عليه ليقلّ ما تفرح به يقلّ ما تحزن عليه وما يجده مؤثر الآخرة على الدنيا من الراحة والهناء في الظاهر والباطن شيء معلوم أيضا فينبغي للعاقل أن ينظر إلى الدنيا ويتفكر فيما ضرب الله فيها من الأمثال لأن الأشياء تصير واضحة بالأمثال كقوله تعالى مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه الآية قال سيدي أبو عبد الله بن عباد والحكايات والآثار في أحوال الدنيا وغرورها وشروطها أكثر من أن تحصى ولا شيء أبين في ذلك من قول الله تعالى في صفتها اعلموا أنما الحياة الدنيا إلى قوله تعالى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ثم قال ﷺ لدى قول الناظم زهد وأما الزهد فينتظم أيضا من علم وحال وعمل فالعلم بحقارة الدنيا بالنسبة إلى ما عند الله تعالى وأنها كلا شيء كذرة بالنسبة إلى أنفس اليواقيت وبقرب زوالها وبسرعة تقضيها وفنائها ومفارقتها والانتقال عنا إذا تقرر في القلب وباشر سويداءه ويستعان على تقرره في القلب ورسوخه فيه وصيرورته لازما لا يفارق أو غالبا بكثرة المذاكرة اجلس بنا نؤمن ساعة وبمخالطة من حصل له ذلك وبالإكثار من ذكر الله تعالى الذي منه الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أثمر حالا وهي الرغبة عن الدنيا وبرودتها من القلب والإقبال على الله تعالى وشدة الحرص على رضاه وهذه الحال تثمر عملا وهو الاشتغال بما يرضي الله تعالى وتجنب ما لا يرضيه من أشغال الدنيا والخوض فيها والتعلق بها فالزهد طرح الدنيا من القلب رغبة في الآخرة وإلى خستها الإشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وإلى فنائها الإشارة بقوله تعالى ما عندكم ينفد فذكر نفسك بهما وما هو من قبيلهما عسى أن يحصل لك شيء من الزهد فبقدره تذكر انقلاب الدنيا بأهلها وانتقالها منهم إلى غيرهم وذهاب لذاتها والندم عليها في الهرم وعند الموت وصيرورة حلاوتها مرارة يحصل الإعراض عنها ويقل الحرص عليها وانظر قوله تعالى مثل الحياة الدنيا إلى قوله والله يدعو إلى دار السلام فإن هذه الآية مثل للحياة الدنيا العاجلة والنفس داعية إليها والله تعالى يدعو إلى دار السلام من هذه الدار الفانية لئلا يفتتنوا بزخرفها وغرورها وليصلوا إلى جواره ونعيم مشاهدته وذلك لأن أعلى اللذات التحقق بصفات الربوبية وهي محبوبة للقلب بالطبع لما فيه من المناسبة لها ولذلك جاء قل الروح من أمر ربي ثم المناسب إنما هو بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وغنى لا فقر

فيه وكمال لا نقص فيه وأمن لا خوف فيه وهذا كله من أوصاف الربوبية وحق على كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له ولا يكون ذلك في الدنيا لانصرامها وشوبها بآلام مكدرات وإنما ذلك في الآخرة ولكن الشيطان بتلبيسه وحسده يدعو إلى ما لا يدوم من العاجلة متوسلا بما في الطبع من العجلة والله تعالى يدعو إلى الملك الحقيقي وذلك بالزهد في العاجل والراحة منه عاجلا ليكون ملكا في الدنيا وبالقرب من الله والرغبة في التحقق به وبأوصافه ليكون ملكا في الآخرة والله أعلم قاله سيدي عبد الرحمن الفاسي في حواشيه على البخاري وانظر قول أبي نواس الذي نال من رياسة الدنيا واقتطاف زهرتها ما هو معروف

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم		وأسمت لحظ الطرف حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه		فإذا عصارة كل ذاك آثام

فقف على قوله فإذا عصارة الخ ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام الدنيا جيفة قذرة وقال الضحاك ما طعامك قال اللحم واللبن قال ثم يعود إلى ماذا قال لما علمت يا رسول الله قال فإن الله تعالى جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا فإن قلت فقد قال ﷺ الدنيا حلوة خضرة فاعلم أن الدنيا جيفة قذرة في مرائي البصائر وحلوة خضرة في مرائي الأبصار فإن قلت فما فائدة الإخبار بأنها حلوة خضرة فاعلم أن قوله ﷺ الدنيا جيفة قذرة للتنفير وقوله حلوة خضرة للتحذير أي فلا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها فإن حلاوتها في التحقيق مرارة وخضرتها يبس ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله قال هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها انظر لطائف المنن وقد قال بعض البلغاء في وصفها الدنيا كأحلام المنام وسرورها كظل الغمام وأحداثها كصوائب السهام وشهواتها كمشوب السمام وفتنتها كالأمواج الطمام وفي معنى ذلك قيل

أضغاث نوم أو كظل زائل		إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وقد قال تعالى في بيان فضيلة الزهد فخرج على قومه في زينته إلى قوله وقال الذين أوتوا العلم ويلكم الآية فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا أي على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير وقال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف: (٧)] قيل معناه أيهم أزهد فيها فجعل الزهد أحسن الأعمال وقال ولا تمدن عينيك الآية وقال في وصف الكفار الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا ولما قال حارثة لرسول الله ﷺ أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا أي انصرفت عنها مع تقزز وتحقر فاستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال ﷺ عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان فأبدى حقيقة إيمانه بعزوف نفسه عن الدنيا أولا ثك قرنه باليقين ثانيا فزكاه ﷺ بقوله

عبد نور الله قلبه بالإيمان وقد ذكر حديث حارثة في لطائف المنن وذكر أن فيه عشر فوائد فأنظرها فإنها جيدة وقد جعل ﷺ الزهد شرطا للإسلام حيث سئل عن شرح الصدر المشار إليه بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فقال إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد فيها والثناء على الثمرة ثناء على مثمرها وقد جاء في بعض الأخبار السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وجاء أيضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار وفي لطائف المنن أثناء الكلام على حديث حنظلة ينبغي أن يقلل الدخول في أسباب الدنيا ما أمكن فهذا الصحابي يقول فإذا خرجنا من عندك عافسنا والزوجات فنسينا كثيرا وقد قال عليه الصلاة والسلام إن قليل الدنيا يلهي عن كثير الآخرة وفي الحديث ما قل وكفى خير مما كثر وألهي انتهى وفي كتاب الأخبار للإمام الخفاف فإن طلب الدنيا ليطلب بها البر وفعل الصنائع واكتساب المعروف كان على خطر وتركه لها أبلغ في البر فقد قيل يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها أبر قال فقد تبين في هذه الأخبار أن الطلب لها من وجهها لضرورة لا غير وقوله يا طالب الدنيا الخ قيل قائله ابن مريم عليه السلام وهو عند صاحب الاتمد حديث نبوي والله أعلم وقد قالوا أن الزهد في الدنيا من قضايا العقل فإنها إن لم تؤخذ من الإنسان بغصب أو سرقة أو جائحة نازلة فلابد أن يؤخذ هو عنها بالموت الهادم للذات المنغص للشهوات فإن كان له ألف محبوب مثلا نزل به عند الموت ألف مصيبة في وقت واحد لأنه كان يحبها كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة ومن ثم قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا وقيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال إذا كان للأمور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي هو أولى ليعمل به ويؤثره على ما سواه فإذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما فرض عليه وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل بقاؤها وذلك أن الدين يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه وكذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله والأخذ منها بأوفره قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: (١٨)] بذلك وصفهم الله تعالى وأولوا الألباب هم ذووا العقول وإنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن

الأمور هو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعا في العاجل والآجل وإلى ذلك ندب الله تعالى من عقل في كتابه اهـ قال سيدي ابن عباد وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق اهـ وقد قال يحيى بن عاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فيما له عند موته قيل ما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله اهـ وعلامة الزهد في التنوير للزهد في الدنيا علامتان علامة في وجدها وعلامة في فقدها فالعلامة التي في وجدها الإيثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها فالإيثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان لأن الحق سبحانه كما ينعم بوجودها ينعم بصرفها بل نعمته بصرفها أتم وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ رأيت الصدّيق ﷺ في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج الدنيا من القلب قلت لا أدري قال بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد اهـ زاد في لطائف المنن فاختبر نفسك في الثانية فالأولى سهلة ثم قال وقال الشيخ أبو العباس ﷺ رأيت عمر بن الخطاب ﷺ في المنام فقلت له يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا قال خوف المذمة وحب الثناء وعلامة الزهد فيها وبغضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء اهـ بالمعنى فالعلامة التي ذكرها الصديق لأبي الحسن علامة الزهد في المال والتي ذكرها الفاروق لأبي العباس علامة الزهد في الجاه كما في الإحياء وقال الشيخ أبو يزيد البسطامي مر علينا شاب من بلخ حاجا فقال لي ما علامة الزهد عندكم فقلت له إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا شكرنا فقال لي هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت له ما الزهد عندكم قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا وقال الشيخ زروق ﷺ في شرح الوغليسية سئل الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ عن الدنيا فقال أخرجها من قلبك واجعلها في يدك فإنها لا تضرك وقال شيخنا أبو العباس بن عقبة الحضرمي ﷺ ليس الرجل الذي يعرف وجوه تفريق الدنيا فيفرقها إنما الرجل الذي يعرف كيفية إمساكها فيمسكها قلت وذلك لأنها كالحية وليس الشأن في قتل الحية وإنما الشأن في إمساكها حية فاعرف ذلك وقال الشيخ أبو محمد ﷺ الدنيا جرادة إذا قطع رأسها حلت ورأسها حبها اهـ والمراد منه فالزهد لا يتوقف على تجنب المال بالكلية بل على تساوي وجوده وفقده للثقة بالله وفي الحديث الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر وقال الترمذي غريب وقال غيره ضعيف قال شيخنا في شرح الحكم فإن قلت إن خلو القلب منها بالكلية وبرودته منها رأسا وعدم الاعتماد على ما في اليد منها أصلا وعدم الفرح بما يحصل منها والتحرز لأجل ذلك ووجدان الراحة لفقدها في غاية الصعوبة وبهذه الأمور يتحقق الزهد قلت نعم هو في غاية الصعوبة ولذلك عظم شأن صاحبه وقل المتصف به ولكن ذلك كمال الزهد وأما مطلقه فلا يتوقف على كمال ذلك بل كل من ترك من الدنيا شيئًا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه كما قال في الإحياء قال ولا يستدل بإمساك الشخص قليلا من المال على فقد زهده أصلا قال ابن أبي الحواري قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين دينارا فأنفقها في عشرين

سنة فكيف يكون زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليست له غاية لكثرة صفات النفس اهـ وفي الرسالة قال أحمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين اهـ والزهد في الدنيا والرغبة فيها ميزان ظاهر يزن المرء به نفسه وغيره وفيه يفتضح المدعون ويعرف المحققون وفضائل الزهد أكثر من أن تحصى منها أن القلب إذا فرغ من الدنيا خرج منه جند الشيطان فيتطهر من العوائق التي تتعوقه عن الإقبال على الله تعالى فيقبل عليه وإذا أقبل القلب ساعدته الجوارح لأنها تبع له فيتيسر لصاحب الزهد من الطاعات ويتهيأ له من العبادات ما لا يمكن لصاحب الرغبة ومنها أنه إذا ذهبت عنه العوائق أمكنته المواظبة على العمل ومداومته فيتحصل عنده ما لا يتحصل لذي الرغبة لتسلط القواطع عليه وهذا الوجه غير الأول كما لا يخفى ومنها أن الزهد انقطع طمعه في الخلق فلا يرجو منهم عطاء ولا جاها ولا رياسة فسلمت أعماله من الرياء والمداهنة وحب الظهور فتوفرت له ولم تبطل عليه ومن الأمطار تحمل الأنهار ومنها أنه لإقبال قلبه على الله يمكنه من حضور النيات وحصول المقاصد ما لا يمكن أهل الرغبة فيثاب على حسبها فالعمل الواحد منه يقوم مقام أعمال من غيره كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الأصل واحد والفرع شتى ومنها أن الزهد يمكنه من حضور القلب في العمل ما لا يمكن الراغب لكثرة الخواطر التي ترد على قلبه ولا شك أن الحضور هو روح العمل ولأجله شرع العمل فيعظم على حسبه ومنها أنه يتيسر للزاهد من الإخلاص ما لا يتيسر للراغب أي أن إخلاص الزاهد أعلى وأقوى فيعظم عمله على حسبه ومنها أن الزاهد يجد من حلاوة المناجاة ولذاذة المساررة حالة العمل ما لا يجده الراغب إذ الزهد مفتاح الأنس ولذا قيل لبعضهم إلى ماذا أفضى بهم الزهد فقال إلى الأنس بالله تعالى فيعظم العمل بحسب ذلك أيضا وقد قال الشيخ أبو عبد الله القرشي ﷺ شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل عمل البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لأن عندك بنت إبليس وهي الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله إلا فسادا اهـ ومنها أن مع الزاهد من العلم الذي يكمل به العمل وإن لم يتعاط الخوض في العلوم ما ليس مع الراغب وإن تعاطاه ففي الحديث عنه ﷺ من أراد أن يؤتيه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وروى ابن المسيب عن أبي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام وقد أشار في الحكم إلى هذه الفوائد التي تحصل للزاهد وتفوت الراغب فقال ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب ولها قال ابن مسعود ﷺ ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة للصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة تتبعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من

الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني ﷺ سألت معروفا الكرخي ﷺ عن الطائعين لله تعالى بأي شيء قدروا على الطاعة فقال بإخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شيء منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وكان أبو محمد سهل ﷺ يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله قال ولا يوافي القيامة أحد أفضل من ذي زهد عالم ورع وفي الشريشيه

ففـــي التـــوب والزهـــد مقامـــات كلهـــا		فروضـــهما مـــن طينـــه عبـــق النشـــر

وانظر ما كتبه سيدي ابن عباد ﷺ ونفعنا به على قوله في أوائل الحكم لا تستغرب وقوع الأقدار ما دمت في هذه الدار لأنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها وعلى قوله في أواسطها لأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفني الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجاز بهم في دار لا بقاء لها وعلى قوله في أواخرها إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا لوجود الأكدار تزهيدا لك فيها علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها واستعن بالله تعالى اهـ كلام الشيخ جسوس رحمه الله وقال سيدنا ومولانا الوالد قدس الله روحه في كتابه بلوغ الأمنية شرح حديث إنما الأعمال بالنية لدى قوله ﷺ ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها الخ ما نصه والدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبية كسرها وهي فعلى مقصورة غير منونة ممنوعة من الصرف للوصفية ولزوم ألف التأنيث وهنا بحث أنظره مع جوابه في مظانه وهل هي مشتقة من الدنو وهو القرب لقربها من الزوال والفناء من حيث إنها محفوفة به أولا وآخرا فإنه أليق بها أو مشتقة من الدناءة لخستها وشدة قبحها قولان والثاني أظهر وأولى بشهادة الحس والمعنى واختلف في حقيقتها فقيل ما أوجده الحق من المخلوقات قبل الآخرة وهذا القول ارتضاه العارف بالله القطب الكبير سيدي النووي ﷺ في شرحه لمتن البخاري وقيل الأرض مع الهواء والجو وهذا يعزي للكثير واقتصر الفشني على الأول قائلا هي الدار التي نحن فيها وهو أصوب وعندي والله أعلم أن الدنيا هي مادة الصور كما أن الآخرة هي مادة الحقائق ليتنزل على ذلك كل ما يقدح في الوصول إلى الله ويكون عائقا من علم وسر ومعرفة وغير ذلك من ضروب المعاني التي يظن جهلة أهل العلم والطريق أن الوصول بها وهي عين القطيعة وسيأتي بيان ذلك وقال بعض العارفين الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور وقد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك أما الأعيان التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة الخ الآية فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات أما النباتات فيطلبها الآدمي للاقتيات والتداوي وأما المعادن

فيطلبها الآدمي للآلات والأواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان وإلى البهائم فالبهائم تطلب لحومها للأكل وظهورها للركوب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم أو يستسخرهم كالغلمان أو يستمتع بهم كالجواري والنسوان أو يطلب قلوب الناس ليملكها أو يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الإنسان والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيره من الجواهر واليواقيت والخيل المسومة والأنعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهي النبات والزرع وهذه هي أعيان الدنيا غير أن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهي محبته لهذه الأعيان ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا من كبر وغل وحسد وغير ذلك من أمراض القلب التي هي الدنيا الباطنة والعلاقة الثانية علاقة البدن بالشغل وهي اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان ليصلح حظوظه وحظوظ غيره وتدخل في هذه العلاقة جميع الصناعات والحرف التي الخلق مشغول بها وما أضل الناس عن طريق ربهم إلا هاتان العلاقتان وهذه الأعيان وما يتعلق بها هي المراد في الحديث كما لا يخفى ولا نقول أن الأمر محصور في هذا الفهم بل نعلم أن مراد الشارع هو أو سع من ها وأنه أراد الترقية عما سوى الله الذي يصدق عليه اسم الدنيا باعتبار فرقه ولكن التحديث إنما يكون بحسب المقام إذ مراده ﷺ من الخطاب حصول الفهم والفهم إنما يكون بما تقبله القوابل والاستعدادات ولما قابل الهجرة إلى الله بذكر الدنيا والمرأة علمنا أنه يخاطبنا بقدر ما نفهم وأن مراده من الدنيا ما ذكر الله في قوله زين للناس حب الشهوات وفي هذا الصنيع من كمال السياسة النبوية التي لا تليق إلا بمنصبه ما لا يخفى على ذي عقل سليم من النزغات الشيطانية والرعونات النفسانية وسيأتي إن شاء الله بسط العبارة وتدقيق الإشارة بما يفيد لطافة أسرار الشرع الذي أعربت عنه كمال طلعته ﷺ ثم قال وقد أفاد ﷺ من حيث المعنى بهذا التركيب أن تسوية هذا الهيكل الجثماني والقالب الجسماني هي وإن كانت من حيث أصل التقدير والخلق متحدة فهي باعتبار الصفة متباينة لتباين القوابل والاستعدادات وذلك موجب لاختلاف الهمة الموجبة لاختلاف المقاصد وبيان ذلك أن الحق جل جلاله وعز سلطانه لما أوجد هذه العوالم الكيانية على وفق العلم والإرادة والقدرة الأزلية وأتقن ذلك بكمال الحكمة كل الإتقان حتى قيل ليس في الإمكان أبدع مما كان وكان مما سبقت به مشيئته أن هذا الفرد الإنساني جوهرة عقدها المنظم وإنسان عينها المكرم ولما هيأه بكمال الاستعدادات حمله أسرار الربوبية وجعله روح العوالم العلوية والسفلية وجعل ما عداه من العوالم خدما له ومنقادا لأمره من حيث أنه روحها وممدها في جميع عوالمها وكان من جملة الكمالات التي عليها الإنسان أنه لما استهل من عالم القدرة إلى عالم الحكمة أو نقول من عالم الغيب إلى عالم الشهادة استهل صارخا بلسان توحيد الربوبية ناطقا بأنوار صفة الأزلية والأبدية بجميع وجوداته حسبما يقتضيه صفاء الفطرة التي

ولد عليها إذ من مقتضياتها الوجوبية محو الذات والصفات ومحو الرسوم والنعوت بحيث يكون من قامت به متداخل الصفات متحد النعوت سامعا بما به مبصر مبصرا بما به سامع متكلما بما به مبصر مبصرا بما به متكلم إلى غير ذلك مما يقتضيه تجلي سر القدم في مظاهر الحكم الباهرة من كون المظهر يصير كله أعينا وألسنا ومسامع هذا هو توحيد الفطرة الذي شهدت به يوم المقادير وإليه الإشارة بقول الجيلي في العينية

إذا مــا بــدت ليلــى فكلــي أعــين		وإن هـــي ناجتـــني فكلـــي مســـامع

وما من مولود إلا وهو متحقق بأسراره سابح في بحر أنواره ولذلك لو تكلم المولود في إبان رضاعه جاء بما يبهر العقول من النطق بالحق المحض الذي يقطع كل سامع إن ما تكلم به حق لا مرية فيه عند كل عاقل لأن مثله لا يعرف الحس فيعدل إلى صفة الباطل كالكذب ليستعين به على نيل غرضه من الحس بل ليس عنده إلا إشراق المعاني ولمعان بارق التوحيد لفناء نفسه وبقائه بربه كحال سيدنا عيسى عليه السلام وغيره ممن تكلم في المهد فإنه لما كان في وقت فنيت فيه قوة البشرية باستيلاء أسرار الروحانية تكلم بلسان الربوبية فوجب السجود لها بل لأمر سطوات الألوهية ها حال كل مولود كما قال ﷺ كل مولود يولد على الفطرة أي السنة القديمة وهي طريق التوحيد الذاتي غير أن الإنسان لما خرج من عالم اللطافة الذي هو عالم المعاني إلى عالم الكثافة الذي هو عالم الحس صار يسرق بالطبع البشري صفة هذا العالم وهي الكدورة المنوطة بالحس ولك مراد الحق منه إذ بذلك يصلح لعمارة الدنيا فلا زال يتمكن فيما يسرق حتى كملت الأربعون حجابا التي هي حجاب الروح عن مطالعة سر القدم في حضرة الإطلاق ولما كبر وتعقل الوجود مال إلى الطبع وتطفيفه ورمي بميزان الشرع مع تشريفه لأنه لما عقل الوجود عقله من حيث ذاته لا من حيث معناه فصار المعنى تابعا والحس متبوعا والحكم للغالب والغالب على العالم الركون إلى الوصف الترابي الذي هو واجب نعتهم وحقيقة ذاتهم فبسبب ذلك صار محجوبا عن مطالعة أسرار الوجود وصار نفسانيا أرضيا ظلمانيا بعد أن كان روحانيا سماويا نورانيا وذلك هو معنى ما ورد في الخبر من قوله ﷺ ثم إن أبويه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه لأنه لما تنشبت بوارق الحس بسواد بصيرته انعكس شعاعها وصار تابعا للبصر والبصر لا يرى إلا الحس وما ذلك إلا للجهل بأسرار الوجود وعدم الاهتداء إلى مراد الحق منه حيث غلب الوصف البشري الذي هو الجهل بمعرفة نفسه ولو فتح الله بصيرة الإنسان علم أن هذا الوجود إنما هو معين على إدراك سر الربوبية وليس مقصودا لذاته بل إنما هو مطية ومرآة تبصر فيها ومنها أسرار حقيقته إذ الأكوان ما نصبت لك لتراها ولكن لترى فيها مولاها لكن لما كان الإنسان محجوبا بوجوده عن مطالعة سر وجوده وكان الحق به لطيفا كما قال جل علاه الله لطيف بعباده نعم عليه بوجود حقيقة الألطاف الخفية التي من جملتها أنه لما علم منه ما علم من وجود الجهل الذاتي الذي لا يهتدي معه إلى مراد الحق من إيجاده إلى صدفتي الأكوان أعني بين ملكه وملكوته وعلم ضعف قابليته من حيث هو بحيث لا يقدر على مكافحة الخطاب من غير واسطة بعث سبحانه رسول

الله من حيث الاصطفائية والمواجهة بالاجتبائية وفيض قدس الأسرار الأزلية فبين سبيل الوصول وكيفية التخلص مما دخل فيه الإنسان من الفضول وكان مما هواهم في شريعة الاتصال حسن البداية بإشراق شمس النية وبزوغ أقمار الهمة فقال ﷺ مبينا لذلك إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله أي فمن كان ارتحاله من كون نفسه الحاجب له عن شهود ربه أو تقول فمن كان ارتحاله من وجود صورته الحاجبة له عن أسرار حقيقته أو تقول فمن كان ارتحاله من كون وجوده الصلبي الحاجب له عن سر وجوده القلبي مشرقا بنور النية التي هي إخلاص الوجهة من شهود الغيرية وانفراد القربة برب البرية فجزاء هجرته الخروج من لوث الصلصال والزج في حضرة الكبير المتعال بنعت الانسلاخ من أوصاف البين وانطماس الأثر والرسم والعين فيكون إشراق نهايته بالفيوضات العرفانية والعلوم اللدنية على قدر إشراق بدايته بحسن النية وصدق التوجه في إخلاص المعاملة إذ ورود الإمداد بحسب الاستعداد فقوله ﷺ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله الخ هو تدريب وتعليم لنفوس البشر كيفية انقلاب أعيان حديث نفسها علوما إلهية وأسرارا ربانية فكأنه يقول من أراد الوصول إلى حضرة قدسه والورود من معين أنسه فليخلص هجرته لأوطان نفسه وليقبل بصدق النية على كعبة روحه ليتحقق بأسرار ناهوته الحاملة لأسرار لاهوته فإنه كلما تكامل صدق الطالب في الهجرة نال المودة والقربة لازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل التي هي صدق الطلب حتى أحبه فإذا أحببته كنته أي قلبت وجوده من حيث الشهود وبدلت صفاته ونعوته من حيث الوجود فيصير وصفه حقيا أزليا بعد أن كان وصفا بشريا وقد ورد في الخبر من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أي انقلب حديث نفسه علما لدنيا فيرويه القلب عن النفس باعتبار توجهه إلى عالم الشهادة فيترجم به اللسان عن القلب فمن أخلص لله في الهجرة إليه كان جزاؤه وجدان الحق والوصول إليه وقد علمت أن الوصول إلى الله وصول إلى العلم به فالتحقق بالعلوم اللدنية موقوف على صفاء النية وهي موقوفة على قطع البقية التي تتشوف إلى العطية فمن أسعده الله في سابق الأزل أجراه في لاحق الأبد على منهاج السياسة المحمدية وهيأه لاستعمال الأجنحة المؤذنة بالطيران من الحضرات النفسانية وليست الأجنحة سوى ما يمنحه الحق لعبده من علو الهمة وصفاء النية فيتوجه العبد إلى مولاه بنعت هجران حظوظه وقطع علائق أمنيته الحسية والمعنوية إذ بهذه النية والهمة يصير العبد محط نظر الحق في خلقه وتتوجه جميع الموجودات إليه بنعت الافتقار إلى ما لديه ومن أجل ذلك أدب الشيخ مولانا عبد السلام تلميذه الشاذلي بقوله يا ولدي عوض ما تقول يا رب سخر لي خلقك قل يا رب كن لي أرأيت إذا كان لك أيفوتك شيء أي عوض ما تجعل هجرتك وانصراف همتك إلى طلب ما سوى الحق اجعل هجرتك مصروفة إلى الحق فإنه إذا كان لك بأنوار الاجتباء والتخصيص وجعلك مرساة لتجلي أنوار صفاته الذاتية فإنه لا يفوتك شيء من الموجودات من حيث إن الكل مفتقر إليك ومستند إلى أسرار وجودك وإذا كان الكل بك فهو إليك لأن هذا المظهر الإنساني إذا انقلبت صفاته النفسانية إلى صفاته الروحانية بمعنى أنه

إذا تخلص من كزازته الطينية وتحرر من رق در صفاته الترابية مرساة للتجليات الربانية ومحلا للتنزلات الإلهية وقام به سر الفعل وبما عداه من الموجودات سر الانفعال لكونها صارت جزأ منه وهو كل والكل حاكم في الجزء لما له من الحيطة الكلية والاستيلاء بصفة القهرية فالمهاجر بهمته إلى الحق جميع الصور الكيانية والظلال الشاخصة كلها ساجدة له ملكا وملكوتا علويا وسفليا كل ذلك في قبضة يمينه مطوي وكلتا يديه يمين إن شاء أوجد الجميع وإن شاء أعدمه وقد تحقق عند كل من فتح الله بصيرته أن هذا الوجود محفوف بالعدم أولا وآخرا فهو عدم والعدم ظلمة وهذا الإنسان الممنوح سر الاصطفائية صار كله نورا والنور متصرف في الظلمة فافهم وهذا القدر كاف في البيان والزيادة فوق هذا موقعة في القول كما لا يخفى وأنت أيها الناظر بعين الحق إذا تأملت هذه الدلالة من نبينا ﷺ علمت أنه حصل لك فيها جميع الخيرات من حيث إنه دلك على الأصل الذي تستولي به على جميع الموجودات إذ من وجد الحق ما فقد شيئًا من الخلق بخلاف العكس فإن من فقد الحق لم يجد لا حقا ولا خلقا إذ الكون من حيث كونيته إنما هو منقاد لمن توجه إلى الحق بصفاء النية والقصد وعلو الهمة وأما من طلب الكون بالصفة الكونية فذلك هو المعتوه صاحب الرزية أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شاهدت المكون كانت الأكوان معك فالنبي ﷺ قد نصح الأمة غاية النصح ودلهم على ينبوع الربح وهكذا من سلك مسلكه واقتفى أثره فإنما إشارته ودلالته مقصورة على الله وهذا معنى التيسير في قوله ﷺ يسروا ولا تعسروا أي دلوهم على الله ولا تدلوهم على الدنيا لأن من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك كذا قال وليّ الله سيدي أبو العباس المرسي ؓ كما في لطائف المنن لتلميذه ابن عطاء الله ولا شك أن التيسير إنما هو في الدلالة على الله والتعسير إنما هو في الدلالة على النفوس لما في الأولى من كمال الراحة بوجدان الحق ولما في الثانية من كمال المشقة بوجدان الخلق القاطع عن شهود الحق فالعاقل من ألهمه الله رشده ورحل من الأكوان إلى المكون فكان منتهى هجرته إلى الله ورسوله وأن إلى ربك المنتهى من حيث التوحيد ولا منتهى من حيث المزيد والجاهل الأحمق من تسربل رداء جهله واستوطن في عش نفسه فكانت هجرته إلى هواه فكان راحلا من كون إلى كون وكان محجوبا بسحب الأثر الذي أمره الحق بشهود ما فيه ولم يأمره بشهوده من حيث ذاته إذ من قصر مشهده على صور الموجودات فاته شهود حقائقها ومن فاته شهود الحقائق حرم جميع الخبرات ولذلك حذر ﷺ من هذا المشهد بقوله ومن كانت هجرته إلى دنيا أي من كانت نيته في الارتحال إنما هو طلب الغرض الفاني والحظ الشهواني كانت هجرته منتجة لغاية الخسران والوقوع في دار البوار والهوان في الدنيا والآخرة في الدنيا بالتعب وفي الآخرة بسوء المنلقلب وهذا أيضا غاية النصيحة من نبينا ﷺ حيث حذر غاية التحذير مما فيه هلاك من أقبل عليه ويكفي العاقل في تبشيع هذا الأمر وجود الكناية عنه ففي ذلك ما يفيد غاية الشناعة وأنه مزلة أقدام الطالبين له ولازال ﷺ يحذر من الإقبال على الدنيا وزهرتها وقد علمت أن الدنيا بهذا الاعتبار كل ما يوجب التعويق في الوصول إلى التحقق بصرف العبودية وهو

شامل لضروب المحسوسات من الأعيان الوجودية والمعاني من ضروب العلوم والأسرار وكل شيء يوجب جاها أو رياسة فمن طلب بهجرته شيئًا مما ذكرته فهجرته لا محالة أنها دنيوية وإن ظفر بمطلوبه فذلك حظه الشهواني الذي كان يطلب بعبادته وهجرته ومما يدلك على أن ما ظفر به من الأسرار يعد من الدنيا أنه عند وجدانه لمطلوبه يضع آلة السير من يديه ويلقي عصا سفره وينيخ راحلته لوقوفه مع حظه وعرضه ولو كان سفره إلى الله ما وقف مع ما كوشف به من الأسرار لأن هواتف الحق لازالت تنادي من تحت سطح دير الأزل وتقول بلسان القدرة لا تقف المقصود أمامك إذ الحق لا يحاط به معنى والوقوف يقتضي أنه بلغ النهاية ووقف على ساحل بحر العناية وهذا نوع من الغرور الذي قال فيه سبحانه ولا يغرنكم بالله الغرور ولله در العارف بالله سيدي عمر بن الفارض ﷺ إذ يقول

إن كـــان منـــزلتي في الحـــب عنـــدكم		مــا قــد رأيــت فقــد ضــيعت أيامــي
أمنيـــة ظفـــرت روحـــي بهـــا زمنـــا		واليـــوم أحســـبها أضـــغاث أحـــلام

وهكذا كل من فتح الله بصيرته ونور سريرته لازال يعلم أن مراد الحق مما يواجهه به من التجليات العرفانية والأسرار اللدنية إنما ذلك كله بقصد الاختيار حتى تتبين هجرة المحق من المبطل ولا يعرف ذلك السر الإلهي إلا سماسرة العلماء وفرسان ميادين التحقيق وقد علمت أن الله سبحانه ما أرسل سيدنا محمدا ﷺ إلا رحمة للعالمين ومن شفقته ورحمته أنه أكثر في التحذير من الدنيا التي هي شرك الردى والهلكة ويكفي العاقل اللبيب إشارة هذا النبي الحبيب في محكم هذا الحديث العجيب سيما وهو قد أدى ما وجب من له أذن واعية وما يعقل نصيحته إلا العالمون بالله الذين تهيئوا بقلوبهم لفهم الخطاب الفهواني بترجمانية طلعة الحق المظهر النوراني ولما كان الغالب والسبب القوي في حبس هذه الأرواح النورانية في سجن الهياكل الترابية حتى لم تستطع السير إلى بلادها التي جاءت منها وهي وطن العز الإلهي إنما هو هذه الأعيان الوجودية كان مصب ذم الشارع عليها غالبا بحيث لا يتفطن لغيرها من المعاني أنه من الدنيا إلا من تحقق بالسنة المحمدية باطنا كما تحققنا وتمكن في ذلك ظاهرا وأما من لم يتبع مشارع الشريعة الغراء ولم يتغلغل فيها فإنه يموت مصرا على الكبائر وهو لا يشعر ولا كبيرة أكبر من حب مسمى الدنيا وقد علمت أن الشيء إذا كان أقوى ظهورا كان أجدر بانتباه العوالم له والأعيان الوجودية من المعادن والحيوان والنباتات هي أشد فتنة من لدن خلق الله الدنيا إذ بها وقع الحجاب أولا وبها عرفت الربوبية المتوصل إليها بالمعاني ومن أجل أنها هي أصل الصدود عن الله أكثر الحق من ذمها وصرف الناس عنها وكذلك الشارع صلوات الله عليه وسلف الأمة الذين مكنهم الحق في شريعة سيدنا محمد ﷺ وجعلهم أئمة في الأرض أما الآيات القرآنية فهي كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعواهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء والرسل إذ لم يبعثوا إلا لذلك وتأمل ذلك مما حكاه الحق عن فرعون لما رأى موسى يصرف الناس عن الدنيا ويقلب حالهم إلى الآخرة قال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه

إني أخاف أن يبدل دينكم لأنه رآه يخرق العادة في قومه وما بعثت الرسل إلا بخرق عوائد قومهم وأما أخبار الأنبياء الواردة عنهم فقد قال إمامهم الأكبر مولانا رسول الله ﷺ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها وهذا حديث عظيم بين فيه سقوطها من عين الحق وأنه غير ناظر إليها ولا إلى من ركن إليها لأن مصب اللعن إنما هو العدو فالدنيا عدوة لله والعدو لا ينظر الله إليه نظر قبول ورحمة وإلا فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ومن أحب العدو فهو عدو كذلك من أحب الدنيا وركن إليها فهو عدو الله وكما هي عدوة الله هي عدوة لأوليائه إذ أهل البصائر المنورة بنور الدراية لما كحلت أجفانهم بنور التوفيق صاروا يحبون بحب محبوبهم ويبغضون ببغضه سيما والحق تبارك وتعالى قد أطلعهم على ما فيها من ضروب البلاء الصادة عن الوصول إليه فعالجوا أمرها وكابدوا مشاقها حتى عبروا قنطرتها ونزلوا في ظل الرحمن كي يستريحوا من ثقل ما وجدوه من أهوال المجاهدة والمكابدة فهي عدوة لهم من حيث الذات ومن حيث الصفات أما من حيث الذات فبسبب ما أطلعهم الحق عليها عاملوها بمعاملة محبوبهم وأما من حيث الصفات فبسبب ما أطلعهم الحق عليه من ضروب البلاء الخادشة في إيمان من اغتربها واطمأن إليها وكما هي عدوة لأولياء الله هي عدوة لأعدائه أيضا من حيث أن محيتهم لها إنما هي صورية بدليل أنه عند انقلاب الأحوال وتبدل الأشكال يود العدو أنه ما سقى منها جرعة ماء والأعمال بالخواتم ولا شك أن العدو إذا قيل له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد تنكشف صبغة المحبة ويتحقق بصرف العداوة وأنه اغتر بتلبيسها في زيّ الصديق حتى غرته بالله وصدته عنه فتشتت عداوته لها ولا ينفعه ذلك فهي عدوة له حقيقة حبيبة صورة والأمور الصورية لا عبرة بها وإنما العبرة بالحقائق والحقيقة كشفت عن عداوتها فهي عدوة له أيضا من حيث أنها قطعته عن الله فهي ملعونة ومطرودة عند كل أحد علم ذلك من علمه بالفضل الإلهي وجهله بالعدل الرباني والسر في كون الإنسان يشعر بعداوة الدنيا وقطع من ركن إليها عن الله وإن الآخرة هي دار القرار وهي المقصودة بالذات ومع ذلك يزهد في الآخرة ويقبل على عمارة الدنيا وتخريب الآخرة هو والله أعلم أن هذا الإنسان لما أوجده الحق تبارك وتعالى وكان أراد منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الآخرة كوّنه من التراب تكوينا يناسب عالم الحكمة والشهادة الذي هو الدنيا لأنه لا يصلح لعمارة هذا العالم إلا من هو من أجزائه الذي هو التراب حسبما يقتضيه قانون الحكمة الإلهية فلما كونه من التراب خمر طينته بيده أربعين صباحا كما ورد في الخبر وكان السر في ذلك أن يبعد عن الحضرة بأربعين حجابا وينصرف عن مواطن القرب إذ لو لم يتعوق بهذه الحجب ما عمر الدنيا فتأهل للعمارة بوجود الحجاب وكان كل حجاب من الأربعين فيه معنى مودع به يصنيا فلما برز إلى الوجود برز نعت الحكمة التي صلح بها للوجود الدنيوي فكبر في الحجاب لا يعرف سوى ماهو فيه من السطوات النفسانية الترابية الطبيعية السفلية وكان أحب الأشيئاء إليه ما يلايم طبعه من جميع الموجودات لكانت محبته للدنيا التي هي الأرض وما عليها من أنواع الزينة جبلية لا تزول بمرور المنغصات التي هي كامنة في أنواع الزينة فإذا سمع المواعظ القرآنية والزواجر النبوية وكان مؤمنا فإنه يصدق

بما سمع من وراء الحجاب وذلك لا يصرفه عما ركب فيه فتراه يميل بالطبع إلى دنياه مع علمه أنه صادة له عن مولاه فإذا أراد الله به عمارة عالم القدرة جذبته بوارقه وغمرت قلبه شوارقه فيتوجه إلى مولاه بنعت الإخلاص في المعاملة فإذا أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع العلوم الغيبية من قلبه لأنه وطئ حضرتها التي هي عالم الغيب وبإخلاصه الأربعين صباحا يتخلص من الأربعين حجابا حسبما هو مقتضى قانون القدرة الأزلية هذا هو السر والله أعلم في أمر الحق لموسى بصيام الأربعين يوما في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الآية ولم يكن صيام موسى ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل بل كان طيا وبالجملة فعداوة الدنيا محققة عند كل واحد ما حالا باعتبار المؤمن وإما مآلا باعتبار الكافر وكيف لا تكون عدوة للمؤمن والآخرة لا تدرك إلا بالزهد فيها وقد روينا في الخبر عن سيدنا موسى بن يسار عن رسول الله ﷺ أنه قال إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها وورد في الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدرهم والدينار اهـ وقد قال تعالى إن اللذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا فالطالب للدنيا ذليل مقيد بقيود شهوته لا يميز بين الحق وأهله والأخبار في ذم الدنيا أكثر من أن تحصى وقد قال عمار بن سعد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق فقال يا معشر الحواريين إن هؤلاء ما ماتوا إلا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك تدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أننا علمنا خبرهم فسأل ربه فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبونك فلما كان الليل أشرف عليهم ونادى يا أهل القرية فأجابه موجب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في العافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف كان لك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزنا وبكينا قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لأنهم ملجمون بلجام من النار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال كيف أجبتني أنت من بينهم قال لأني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها قال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثيرة مع عافية الدنيا والآخرة اهـ فتأمل وفقك الله ما انطوت عليه هذه القصة من الأسرار العجيبة وتدبر ما أفادته من الأخبار الغريبة وحسب العاقل قول النبي ﷺ الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له وبهذا المعنى اللطيف لا تجد أهل العقول الكاملة إلا في الكفافة لأبناء الدنيا لأن العاقل أقبل على خدمة مولاه والأحمق أقبل على خدمة نفسه فلا جرم أنه يدفع صدقاته للضعفاء وذلك من عناية الله بأوليائه الذين هم أهل العقول الوافرة وقد ورد في الخبر أن نبي الله موسى قال يا رب جعلت رزقي على يد بني إسرائيل يغديني هذا ويعشيني آخر فأوحى الله إليه كذلك أفعل بأوليائي وحسبك في شدة فاقته قوله تعالى إني لما أنزلت إلي من خير فقير فما قالها إلا وهو محتاج إلى كسرة خبز وكذلك نبينا محمد ﷺ قد اتفق الوجود على وفور عقله وكمال علمه ومع ذلك مادت ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وقد ورد في الخبر أن الله

يحمي وليه من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام فأهل العقول الكاملة كلهم لا يلتفتون إلى الدنيا ولا يعبئون بها ولهذا ورد عن بعضهم أن الزهد فيها زهد في لا شيء لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء من العبث والغفلة وقد قال الإمام الشاذلي والله لقد عظمتها أن زهدت فيها لأن الزهد يقتضي مزهودا فيه ولا شيء بموجود من حيث البال والتعظيم فهم لما سمعوا قول الله تعالى قل متاع الدنيا قليل علموا أن الزهد لا يكون إلا في الشيء العظيم والدنيا برمتها شيء قليل حقير لا يصح مصب الزهد عليه لحقارته واحتقار من زهد فيه بل أهل الله لا يتنافسون إلا في الزهد في ما هو عظيم وذلك كالزهد في الآخرة بمعنى أنهم يعملون في إخلاص المعاملة لله لم يتركوا العمل لأجل الدنيا ولم يعملوا لأجل الآخرة بل عملوا لله مخلصين له الدين ولذلك قال أبو العباس المرسي العارف لا دنيا له ولا آخرة أما دنياه فقد تركها لآخرته وأما آخرته فقد تركها لله هذا نظر أهل العقول الكاملة التي وضعها الله في أحب الخلق إليه وأما نظر أهل العقول المعاشية فهو مقصور على تخريب الآخرة وعمارة الدنيا ولولا الحمق الذي قام بهم لخرب العالم سبحان الله وبحمده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وبالجملة فالدنيا أمرها حقير وأمدها قصير وإن الإنسان وإن نال ما نال لا يشفي غليله ولا يسكن أنينه مما جبلت عليه من الأكدار وعدم المساعدة فيما فيه المنى فإنها قاعدتها مع أربابها أنها إن أضحكتهم ساعة أبكتهم دهرا طويلا وإن أنستهم وقتا أوحشتهم زمانا مديدا ولله در القائل

هي الدنيا تقول بملء فيها		حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام		فقولي مضحك والفعل مبكي

ومما قيل في ذمها

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره		ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأتمه		فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقال آخر

هب الدنيا تساق إليك صفوا		أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا كمثل فيء		أظلك ثم آذن للزوال

إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على الزهد فيها وما قدمناه من أن أهل المعرفة بالله تركوا الزهد فيها لحقارتها لا يلزم منه أن الزهد فيها متروك بالكلية بل ذلك مقام في الزهد وهناك مقامات أخر يعرفها أربابها ومقام الزهد مقام عظيم وحسبك أن الله سمى المتصف به عالما في قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون أي ثواب الله يعوضه للمطيع من رفع المستور ودوام الحضور خير من طلب العوض الدنيوي وقد ورد في الخبر العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا الدنيا فإذا دخلوها فاحذروهم على دينكم فالعالم لا يكون إلا زاهدا ومن لا زهد له لا علم له ولا عبرة بصور الظاهر ولا بما

توسم به من الشبح الذي لا روح فيه وفي الخبر إذا رأيتم الرجل قد أوي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة فانظر كيف جعل ﷺ تلقين الحكمة منوطا بالزهد في الدنيا فالحكيم الذي هو العالم لا يكون إلا زاهدا والزهد هو كما قال إمام الأئمة سيدي أبو القاسم الجنيد ﵁ خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من التتبع ونحو هذا قول شيخ شيخنا مولانا العربي الدرقوي نفعنا الله به الزهد خلو الأيدي من الأملاك حسا ومعنى زاد شيخنا مولاي عبد الواحد الدباغ ﵁ وكنس الباطن مما سوى الله وهو كالتفسير لقول شيخه ومعناه وهذا المقام هو أعظم مقامات الزهد وأعلاها إذا علا المقامات ما كان عليه نبينا سيدنا محمد ﷺ وقد أقام الحق فيه خلقا كثير من العارفين وذلك أن سيدنا محمدا ﷺ مع سعة علمه وطهارة نفسه الشريفة ترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعيدت عليه وكان تركه اختيارا من اختيار الحق وقد ورد في الخبر إن الله خيرني بين أن نأخذ بالله وبين أن نترك لله فاخترت الترك لله وكذا ورثته لهم قسط من ذلك تأسيا به ويرون أن أخذها في مقام الزهد في الزهد رفق أدخل عليه لموضع ضعف صاحبه عن درك مقام الأقوياء وإن كان ما يأخذه من الرفق بالنفس مقرونا بصريح العلم ولكن صاحبه يفوته الشنب فافهم الحاصل أن الزهد في الدنيا من أجلّ مواهب الحق لعبده لأنه لا يمنحه إلا لمن أراد أن يجتبيه إلى حضرته وقد قال شيخنا مولاي عبد الواحد ﵁ تحديثا عن شيخه أنه كان يقول ما نفع القلب شيء مثل زهد في الدنيا وجلوس بين يدي الأولياء وحسبك أن الزهد في الدنيا موجب لمحبة الله إذ قد ورد في الخبر ازهد في الدنيا يحبك الله وإذا وجبت محبة الله فلا تعلم نفس ما أخفي لصاحبها والعكس بالعكس من أحب الدنيا أعرض عن الله فأعرض الله عنه ولا كبيرة عند الله أعظم من حب الدنيا وقد ورد في الخبر يا موسى لن تأتيني بكبيرة هي أعظم من حب العاجلة اللهم اهدنا الطريق وبصرنا أدلة التحقيق بجاه ينبوع التحقيق مولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين اهـ كلام مولانا الوالد رحمه الله ونفعنا به في كتابه بلوغ الأمنية وقال أيضا ﵁ في الفصل الثاني عشر من بغية السالك ما نصه اعلم أيها الفقير أن الله تبارك وتعالى قد جعل الدنيا ضد الآخرة وعداوة أحدهما للأخرى لا تخفى على من علم ما تقتضيه المباينة الكاملة فالدنيا تجذب بقوتها وتقاتل بجندها كل من أراد التوجه إلى عدوتها كما أن الآخرة تقاتل من أراد أن ينصرف عنها ويقبل على عدوتها وكما أن الدنيا عدوة الآخرة كذلك أبناء الدنيا أعداء لأبناء الآخرة وأبناء الآخرة أعداء لأبناء الدنيا فما وجد القوة أحدهما على الآخر إلا أخذه وجذبه إلى بلده فأبناء الدنيا يتحرزون من أبناء الآخرة خوف سلبهم ما هم عليه من الغنى وأبناء الآخرة يتحرزون من أبناء الدنيا خوف سلبهم ما هم فيه من نعيم الفقر فالكل أخذ حذره من الآخر وحدد شوكة سلاحه خوف الهزيمة فأبناء الدنيا غلب عليهم خوف الفقر فاهتموا بأرزاقهم وخاضوا بحر التدبير والاختيار فاحترقوا بنار البعد من الله وما نالوا من الدنيا سوى مجرد التعب والنصب وما قدره الله لا محيد لمخلوق عنه وأبناء الآخرة غلب عليهم شهود قيومية الحق بشئونهم وأنه سبحانه طلب منهم الآخرة وتكفل لهم بالدنيا فأقبلوا على خدمة مولاهم شوقا ومحبة إليه وقياما بواجب حقه سبحانه لما يرون من جزيل إحسانه

الذي لا يتناهى قد علم كل أناس مشربهم فإذا علمت أيها الفقير عداوة أبناء الدنيا لك وعداوة الدنيا للآخرة كيف يجمل بالفقير أن يركن إلى الدنيا وإلى أهلها وهو يعلم أنهم سم قاتل هذا غاية الخذلان فهل سمعت عاقلا ألقى السلاح لعدوه فالحذر الحذر يا فقير من الدنيا وأهلها فإن الدنيا غرور وكذلك من ركن إليها واطمأن بها وقد قالوا إذا رأيت الفقير يركن إلى الدنيا وأهلها فلا تعبأ به ولو كان أعبد البرية فإنه لا يجيء منه شيء واسمع يا فقير قول نبينا ﷺ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان من ذكر الله وما والاه فالدنيا كل ما يقطعك عن الله من مال وولد وأهل وأصحاب وعلوم ومعرفة وأسرار وكل قاطع ملعون وكذا من أخذ به ملعون أي مطرود عن حضرة الله وقد قال تعالى في ذم الدنيا والتحذير منها إنما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية وقد قال بعض الصحابة تتبعنا الأعمال كلها فما وجدنا أفضل من الزهد في الدنيا فخذ حذرك يا فقير من الدنيا وأهلها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا فافهم هذه النبذة والسلام اهـ كلام البغية إذا فهمتم هذا يا إخوان الصدق والوفا المحفوفين بعناية الله وأنوار النبي المصطفى تحقق لديكم أن أعظم أسباب التباغض والتفاقم بين أهل الطرق وأكبر القواطع التي أصل منشئها القول بتباينها حقيقة هو محبة الدنيا المعنوية من حب الرياسة التي أورثت التخلق بخلق الكبر والحسد والحقد والعجب والتطاول على أهل الصدق المتخلقين بوصف الحق وما ذاك إلا من شدة الغفلة عن الله وعدم النظر بعين الاعتبار فيما يؤول إليه أمر المتخلق بها الداء العضال كما قال في المرشد

واعلم بأن أصل ذي الآفات		حب الرياسة وطرح الآت

والعياذ بالله وإلا فوالله ثم والله لو نزل المدعون إلى أرض العبودية وتحققوا بها في البكرة والعشية لما وسعهم سوى أن يكونوا في الله ذاتا واحدة وعلى قلب واحد ينشط كلهم ما ينشط بعضهم ويحزن كلهم ما يحزن بعضهم حسبما يعطيه وصف مطلق الإيمان كما تقدم ولا شك أن الحق تعالى ما خلقنا إلا ليكون لنا ربا ونحن له عبيد لقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقد بين لنا تعالى أوصاف من تحررت عبوديتهم لله بقوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦] ومقاما فإنه تعالى لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرهم ذكر في هذه الآية أوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم بأوصاف

ثمانية بها تنال المراتب العالية أولها قوله تعالى الذين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا وكلها بين المبتدأ وهو قوله تعالى وعباد الرحمن والخبر وهو قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة الخ وإضافتهم إليه تعالى للتشريف وإلا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال إضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة وستختص بهم في الآخرة جعلنا الله منهم وأكرمنا بالتخلق بأخلاقهم آمين ولما تزحزح المدعون عن حضرة العبودية وحلوا حضرة الحرية وتخلقوا بمنازعة الربوبية والعياذ بالله وذلك لعدم فهمهم سر قول رب البرية قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وغيرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تاهوا في مهامه أنفسهم الغوية الموقعة لهم في كل خسارة وبلية ودام تباغضهم وتقاطعهم بين البرية وصار كل يضارب على أنانيته بما أمكن من وجوه الضلال ولو أدى ذلك إلى قتل خواص أمة من حاز كل فضل ومزية وإن لم يقدر على ذلك تمناه وبئست الأمنية على أنه كما قال بعضهم

تمنى رجال أن أموت وإن أمت		فتلك طريق لست فيها أوحد

ولما تمنى الكفار ذلك في حقه ﷺ أنزل الله تعالى عليه إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون والبلاء قديم وتأمل يا موفق قصة سيدنا موسى الكليم مع عدو الله فرعون اللئيم المذكورة في قول السميع العليم ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ [غافر: (٢٦)] الآية يتسل باطنك ويتحقق بأنه لكل أمة فرعون ولكل وارث أبو جهل ويسلم الأمر للملك العظيم وقد تفحش هذا البلاء بين أهل الطرق في جل الأقطار حتى صار البعض يفسق البعض ويزندقه بل يكفره بغير موجب شرعي نسأل الله السلامة والعافية والبعض الآخر كذلك والعياذ بالله وهذا وصف الكفار حسبما حكاه الله عنهم في قوله عز من قائل ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: (١١٣)] وإذا التقوا لا يسلم بعضهم على بعض وإذا سلم واحد منهم على الآخر لا يرد السَّلَام مع أن رده واجب ولو سرا وغير ذلك من البلايا التي ظهرت بين أهل الطرق بل صار الإخوان المنتسبون إلى شيخ واحد مثلا لا يرضى بعضهم ببعض والمقدمون كذلك يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا والعياذ بالله بحيث آل أمرهم إلى أن بعضهم ورد إلى حضرة شيخه فوجد جماعة من الفقراء يذكرون الله تعالى مستغرقين في الحضرة قائمين بين يديه تعالى على أكمل حال وأحسن هيئة وكان الذي افتتح الحلقة بعض المقدمين من غيره كان هناك فلم يرض الجائي بذلك ولم تطب نفسه بالذكر مع الجماعة في تلك الحلقة لكونه لم يفتحها بنفسه فعمد إلى وسط الحلقة وأبطلها وأقام فيها هرجا عظيما وأشار على الذاكرين بالسكوت فسكتوا وحصل لهم هول عظيم وروع كبير لكونهم لم يعرفوا سبب إبطال هذه العبودية فلما استفهموه في السبب لم يجدوا سببا سوى كونه لم يطق الجلوس معهم في حلقة لم

يفتحها بنفسه وأنانيته وحصل تفاقم كبير في حضرة الشيخ وتألم باطن كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان من هذا الفعل القبيح بإجماع أكابر أمة سيد ولد عدنان لما اشتمل عليه من أنواع الإساءة مع الله تعالى ورسوله وحضرة المشايخ ولكونه مصادما ومخالفا لما أمر الله ورسوله به في الكتاب والسنة ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا أعظم دليل على أن المتصف بهذا البلاء لم يحصل مثقال ذرة من الأسرار ولو تلون بكل لون في ليل أو نهار لقوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وكذا كل من جعل نسبة الله قنطرة لنيل أهوائه الفاسدة وأغراضه القبيحة وقد قال الشيخ سيدنا ومولانا العربي الدرقوي قدس سره من جعلنا وسيلة إلى الدنيا اللهم ارزقه بلية بجاه خير البرية وقد نصوا على أن من ترفع وتكبر في موضع ينبغي فيه التواضع أذله الله في محل ينبغي فيه الترفع والعياذ بالله وأوردوا هنا حكاية عجيبة وهي أن بعض الأفاضل كان في بيت الله الحرام فرأى جماعة يطردون الناس عن المطاف فلما سل عن ذلك أخبروه أن كبيرا من الكبراء عزم على الطواف ولم ترض نفسه بالطواف وغيره في المطاف فتعجب من ذلك وبقي متحيرا ينظر المصاب بذلك فحقق صورته وشاهد مصيبته ثم بعد أيام سافر من بيت الله الحرام ووصل إلى بعض البلدان فلما كان ببعض الطريق رأى رجلا مطروحا على مزبلة وقد ألمت به جميع الرزايا وأحاطت به كل البلايا فبقي متحيرا في أمره متعجبا من شدة ما رأى به فلما قوى تأمله وجد فيه بعض أمارات الرجل التي كان يطوف على الهيئة المذكورة فعمد إليه وسأله عن حاله وسبب ابتلائه وهل هو الرجل المتقدم أم لا فقال له هو الرجل الذي رأى في المطاف وهو الذي أفرغ لأجله فقال له لما تكبرت في محل ينبغي فيه التواضع أذلني الله في محل ينبغي فيه الترفع والعياذ بالله وهكذا شأن كل من أساء الأدب بالحضرة نسأل الله السلامة والعافية من أسباب الخسارة والرزية آمين وأصل هذا كله حب الرياسة التي هي أعلا أنواع الدنيا المعنوية فلو تطهرت البواطن منها لألف البعض البعض واطمأن به كل الاطمئنان وركن إليه في سائر الأزمان وشاهد أن وجوده رحمة من الله تعالى به وبسائر الإخوان لأن يد الله مع الجماعة والائتلاف فيها هو أعظم أركان الطرق بأسرها لكونه به تعرف الزيادة والنقصان في مقام القرب من حضرة الملك الديان كما قال ابن البنا إمام أهل هذا الشان

وافتقروا أيضا للائتلاف ليعلم المستوفي حال الوافي
لا خير فيمن لم يكن ألوفا ولم يكن لغيره مألوفا

وقد قال عليه الصلاة والسلام المؤمن يألف ولا خير فيمن يألف ولا يؤلف أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنهما وهو حديث صحيح وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس حديث صحيح أخرجه الدارقطني في الإفراد والضياء عن سيدنا جابر ﷺ ولا يقدر الإنسان على سلوك هذا المقام إلا إذا حرر قصده في طلب الوصول وطهر ظاهره وباطنه من التعلق بالفضول المؤدي إلى القطيعة عن حضرة الفحول وكان قصده في جميع التوجهات وجه الله تعالى وكملت نيته في ذلك وإلا بقي دائرا في المكونات كحمار الرحى المحل

الذي ينتقل منه يرجع إليه وقد قال في الحكم لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون وأن إلى ربك المنتهى ولا منتهى وانظر قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام فهجرته إلى ما هاجر إليه وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم والسلام اهـ كلام الحكم هذا وفي قوله ﷺ ولا تباغضوا إيذان بالبعد عن كل ما يوجب تنفير القلوب من حضرة الله ويشوشها ويروعها ويفتنها عن الله والقول بالتفرقة بين أهل الطرق جماعها والعياذ بالله وتأمل قوله ﷺ لسيدنا معاذ رضي الله عنه لما طول في صلاته وكان إماما حتى تضرر البعض من ذلك وشكا إليه ﷺ أفتان أنت يا معاذ فقد أفادنا بذلك عليه الصلاة والسلام أنه ينبغي للعقلاء وخصوصا الأئمة المقتدى بهم أن لا يسعوا فيما يورث فتنة القلوب عن الله ويجب عليهم أن يجتهدوا في تحصيل كل ما يكون سببا لاطمئنانها وسكونها في حضرة الله ومن أهم وجوه ذلك القول بأن الطرق شيء واحد باعتبار كون الجميع يدل على الله بما شرعه مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله وأما غير ذلك من رتب الولاية كالقطبانية والغوثية والفردانية فلا مدخل لها في أصل الدلالة ولا يشترط في الدال على الله سوى ما تقدم من معانقة التكاليف الشعرية في البكرة والعشية فراجعه وسيأتي بيان ذلك بحول الله زيادة على ما تقدم وأما الرتب المذكورة فهي التي تطلب العبد كما تقدم لأنها محض موهبة من الله تعالى لا تنال إلا بالاكتساب والاختيار كالنبوة فافهم وقد حكى أن بعض المريدين قال لشيخه نحبك يا سيدي أن تخبرني بمقامك هل أنت من الأقطاب أو الأفراد وغير ذلك فقال له يا ولدي نزه شيخك عن الوقوف مع حال أو مقام واختيار سوى الملك العلام فإن بحر التوحيد انطمست فيه جميع الأحوال والمقامات قال الله العظيم يا أهل يثرب لا مقام لكم فافهم واعمل وتخلق بوصف الرحمة ترحم إذ الراحمون يرحمهم الرحمن ومن لا يرحم لا يرحم وإياك وفتنة قلوب أمة سيد الأرسال فتحرم الخير بجميع وجوهه في كل الأحوال وتعوّق عن الوصول إلى منازل الرجال والعياذ بالله وتأمل قول الله العظيم إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق حكى أن بعض المشايخ كان يدرس بمسجد القرويين فأتى إليه بعض أرباب الأحوال وصار يفعل أمورا شوّشت التلاميذ فساعده حتى ذهب ثم بعد عاد ففعل مثل ما تقدم فالتفت إليه الشيخ بحال قوي وقال له قال الله العظيم إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق فذهب إلى حال سبيله ولم يرجع إلى مجلسه أبدا لما صادمه من سطوات أنوار جلاله هذه الآية العظيمة روى الإمام الطبراني عن سيدنا سليمان بن صرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروّعن مسلما قال بعض الكبار في شرح هذا الحديث العظيم المقدار فإن ترويع المسلم حرام شديد التحريم ومنه يؤخذ أنه كبيرة وروى الطبراني أيضا بإسناده عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من أخاف مؤمنا كان حقا على الله تعالى أن لا يؤمنه من أفزاع

يوم القيامة نسأل الله السلامة والعافية بجاه خير البرية ﷺ آمين الحاصل يا إخواني أن الائتلاف في أمور الدين وما يؤدي إليه خلق نوراني عظيم الفوائد والنتائج والاختلاف في أمور الدين خلق ظلماني كثير العوائق والمناكر والقبائح والعياذ بالله وقد تقدم عن بعض العارفين أن الله تعالى بين من يوقع بيننا العداوة والبغضاء في قوله عز من قائل إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأنه تعالى امتن علينا إذ ألف بين قلوبنا فأصبحنا بنعمته إخوانا كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فافهم واتئد وتخلق بالأوصاف الربانية النورانية واجتنب الأخلاق الشيطانية الظلمانية تربح بحول الله وقوته وفضله ومنته وتحرز المكانة العليا في تقوى الله تعالى والذكر الجميل بين خواص البرايا فإن الأمر كما قال تعالى وجعلناهم أحاديث ولله در القائل

وإنما المرء حديث بعده　　　فكن حديثا حسنا لمن وعى

جعلني الله والأحباب من أهل الوعي الذين قال الله تعالى فيهم وتعيها أذن واعية أي تحفظها أذن من شأنها تحفظ ما يجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به يقال الوعي فعل القلب ولكن الآذان تؤدي الحديث إلى القلوب الواعية فنعتت الآذان بنعت القلوب قال بعض الكبار الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالي بهم وإن ملئوا ما بين الخافقين وفي الحديث أفلح من جعل الله له قلبا واعيا وعن النبي ﷺ أنه قال علي ﷺ عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئًا بعد وما كان لي أن أنسى إذ هو الحافظ للأسرار الإلهية وفي رواية أخذ بإذن علي بن أبي طالب وقال هي هذه ذكره النقاش وقد قال سيدنا علي كرم الله وجهه ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة وقال بعضهم تلك آذان أسمعها الله في الأزل خطابه فهي واعية تعي من الحق كل خطاب جعلنا الله منهم آمين وقوله عليه الصلاة والسلام ولا تدابروا أي لا يدبر بعضكم عن بعض ولا يول أحدكم أخاه دبره إعراضا عنه واستثقالا وهجرانا ومعاداة ومقاطعة بل عليه أن يوفيه حقوق الإسلام كالسلام عليه ورده وإعانته ونصره وبسط الوجه له وإلانة القول وعدم هجرانه في الكلام أكثر من ثلاثة أيام إلا لعذر شرعي كرجاء صلاح أحدهما ففي حديث مسلم عن أبي أيوب رفعه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وفي سنن أبي داود فمن هجره فوق ثلاث فمات دخل النار والأحاديث في هذا الباب كثيرة والتقييد بالظرف يفيد بطريق مفهوم المخالفة أن الهجران ثلاث ليال مرخص فيه ووجهه أن المرء لا بدّ له من غضب وسوء خلق ومعنى يعرض هذا ويعرض هذا يولي كل منهما عرضه أي جانبه لصاحبه ويتعرض لملاقاته ويجوز هجر المبتدع والفاسق ونحوهما ومن رجي بهجره صلاح دين الهاجر والمهجور كما تقدم وعلى هذا يحمل هجره ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ ونهيه ﷺ الصحابة عن كلامهم وكذا هجر السلف بعضهم بعضا قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في

باب م ينهى عن التحاسد والتدابر من كتاب الأدب ما نصه قوله أي في الحديث الشريف ولا تدابروا قال الخطابي لا تتهاجروا فيهجر أحدكم أخاه مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره إذا أعرض عنه حين يراه وقال ابن عبد البرقيل للإعراض مدابرة لأن من أبغض أعرض ومن أعرض ولى دبره والمحب بالعكس وقيل معناه لا يستأثر أحدكم على الآخر وقيل للمستأثر مستدبر لأنه يولي دبره حين يستأثر بشيء دون الآخر وقال المازري معنى التدابر المعاداة يقول دابرته أي عاديته وحكى عياض أن معناه لا تجادلوا ولكن تعاونوا والأول أولى وقد فسره مالك في الموطأ بأخص منه فقال إذ ساق حديث الباب عن الزهري ﷺ ولا أحسب التدابر إلا الإعراض عن السلام يدبر عنه بوجهه وكأنه أخذه من بقية الحديث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام فإنه يفهم أن صدور السلام منهما أو من أحدهما يرفع ذلك الإعراض ثم قال ويؤيده ما أخرجه الحسين بن الحسن المروزي في زيادات كتاب البر والصلة لابن المبارك بسند صحيح عن أنس قال التدابر التصارم اهـ كلام ابن حجر ببعض تصرف وفي الجامع للشيخ الجليل وشرحه للشيخ التاودي بن سودة رضي الله عنهما ولا يهجر المسلم أخاه المسلم فوق ثلاثة روى البخاري عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام إلا أن يكون مبتدعا أو فاسقا فيهجر مادام على فسقه أو بدعته حيث لم يمكن زجره أو لم يقبل قال في الرسالة والهجران الجائز هجران ذي البدعة أو مجاهر بالكبائر لا يصل إلى عقوبته ولا يقدر على موعظته أو لا يقبلها ولا غيبة في هذين في ذكر حالهما ولا فيما يشاور فيه من نكاح أو مخالطة ولا في تجريح شاهد أو نحوه اهـ قال وهجران المجاهر بالكبائر واجب لما يلحق من الإثم بالسكوت عليها والموالاة معها ولأنه يقال سيدي فلانا عارف بما هو عليه فإما أنه مباح أو لا خير فيه كصاحبه ووقاية العرض والدين واجبة إجماعا والسلام يخرج من الهجران إذا كان المهجور متماديا على إذايته أي الهاجر وعلى السبب الذي هجره لأجله لا أن انقطع عن ذلك وتركه فلا يخرجه السلام حتى تجوز شهادته عليه قال ابن رشد والسلام يخرج من الهجران إذا كان متماديا على إذايته والسبب الذي هجره من أجله وإن كان أقلع عن ذلك فلا يخرج من ذلك حتى تجوز شهادته عليه ويعود إلى ما كان قبل ذلك قال وهو معنى قول مالك اهـ كلام الجامع وشرحه ونقل بعضهم عن الأبي ما نصه المراد بالهجرة المحدودة بالثلاث الهجرة فيما يقع بين الناس من عتب أو موجدة أو تقصير في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان في جانب الدين فإن هجرة أهل البدع دائمة ما لم تظهر التوبة فإنه ﷺ لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن تبوك أمر بهجرتهم خمسين يوما وهجر نساءه شهرا وهجرت عائشة ابن الزبير مدة ومات جماعة من الصحابة هاجرين الآخرين منهم اهـ قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في باب ما يجوز من الهجران لمن عصي ما نصه أراد بهذه الترجمة بيان الهجران الجائز لأن عموم النهي مخصوص بمن لم يكن لهجره سبب مشروع فبين هنا السبب المسوغ للهجر وهو لمن صدرت منه معصية فيسوغ لمن اطلع عليها منه هجره عليها ليكف عنها ثم قال قال

المهلب غرض البخاري في هذا الباب أن يبين صفة الهجران الجائز وأنه يتنوع بقدر الجرم فمن كان من أهل العصيان يستحق الهجران بترك المكالمة كما في قصة كعب وصاحبيه وما كان من المغاضبة بين الأهل والإخوان فيجوز الهجر فيه بترك التسمية مثلا أو بترك بسط الوجه مع عدم هجر السلام والكلام وقال الكرماني لعله أراد قياس هجران من يخالف الأمر الشرعي على هجران من يخالف الأمر الطبيعي وقال الطبري قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي وقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعا ولا يشرع هجران الكافر وهو أشد جرما منهما لكونهما من أهل التوحيد في الجملة وأجاب ابن بطال بأن لله أحكاما فيها مصالح للعباد وهو أعلم بشأنها وعليهم التسليم لأمره فيها فجنح إلى أنه تعبد لا يعقل معناه وأجاب غيره بأن الهجران على مرتبتين الهجران بالقلب والهجران باللسان فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر لاسيما إذا كان حربيا وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره بخلاف العاصي المسلم فإنه ينزجر بذلك غالبا ويشترك كل من الكافر والعاصي في مشروعية مكالمته بالدعاء إلى الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما المشروع ترك المكالمة بالموادة ونحوها اهـ كلام الحافظ ﷺ وجواز هجران صاحب البدعة والفاسق في غير الأبوين قال في الرسالة في باب جمل من الفرائض ومن الفرائض بر الوالدين وإن كانا فاسقين وإن كانا مشركين فليقل لهما قولا لينا وليعاشرهما بالمعروف ولا يطعهما في معصية اهـ وفي صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عنه تفتح أبواب الجنة يوم الخميس والاثنين فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول أنظروا هذين حتى يصطلحا ووجه مغايرة قوله عليه السلام ولا تدابروا لقوله قبل ولا تباغضوا أن التباغض لا يستلزم التدابر فإن المتباغضين قد لا يفترقان وكذلك التدابر لا يستلزم التباغض فإن المتدابرين لمصلحة قد يتحابان على حد قول بعضهم لا يكتم الحب إلا خشية التهم فلذلك فلم يكتف في الحديث بأحدهما وقيل في معنى قوله عليه السلام ولا تدابروا أي لا تتكلموا في أدبار إخوانكم بالغيبة بكسر الغين المعجمة وهي ذكرك أخاك بما يكره لقوله ﷺ أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإذا لم يكن فيه ما تقول فقد بهته اهـ وكما تكون الغيبة باللسان تكون بالكتابة والإشارة إليه بالعين أو اليد والضابط أن كلما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة بل قال بعضهم إن غيبة الكافر حرام ولا ريب في أن الغيبة مغضبة لعلام الغيوب مذهبة للحسنات مسودة للقلوب وهي من أقبح القبائح وأعظم الآثام كما يشهد بذلك قوله عليه السلام إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وعن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين

يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم وفي رواية لأبي سعيد قال قال ﷺ ليلة أسري بي مررت من السماء الدنيا بقوم يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه فيقال لهم كلوا ما كنتم تأكلون من لحم إخوانكم قلت يا جبريل من هؤلاء قال الهمازون من أمتك اللمازون يعني المغتابين وقال ﷺ الغيبة لها لذة في الدنيا وفي آخرة تورد صاحبها في النار وقال ﷺ ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروى أن رجلا قال للحسن بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي ولذلك قال بعضهم لو كنت مغتابا لغتبت أبوي فإنهما أحق بحسناتي وروى أن الحسن البصري بلغه أن رجلا اغتابه فبعث إليه طبقا من رطب وقال له بلغني أنك أهديث إليّ حسناتك فأردت أن أكافئك بهذا فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام وذكر أن أبا أمامة الباهلي قال إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها فيقول يا رب من أين لي هذا فيقول له هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر وعن جابر بن عبد الله قال هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله ﷺ فقال إن أناسا من المنافقين قد اغتابوا أناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح المنتنة قال بعض الحكماء وإنما لم يظهر لنا ريح الغيبة منتنا في زماننا هذا لكثرة الغيبة فيه حتى امتلأت منها الأنوف كمن دخل دار الدباغين فإنه لا يقدر على الفرار فيها من شدة الرائحة وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام والشراب ولا تتبين لهم تلك الرائحة لامتلاء أنوفهم منها وعن البراء ﷺ قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وعن أنس ﷺ قال خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وعن حاتم الزاهد قال ثلاثة إذا كن في مجلس فالرحمة عنهم مصروفة ذكر الدنيا والضحك والوقيعة في الناس وذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه دعي إلى طعام فلما جلس قالوا إن فلانا لم يجيء فقال بعضهم إنه رجل ثقيل فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وقال إنما فعل بي هذا بطني حيث شهدت طعاما اغتيب فيه المؤمن وقال سلمان بن جابر ﷺ أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحتقرن من المعروف شيئًا ولو أن تصب من دلوك في إناء المستسقي وإن تلقى أخاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تغتابنه وقال جابر وأبو سعيد رضي الله عنهما مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا يرم به حسناته شرقا وغربا وقال الحسن والله لا الغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد وعن أبي وهيب المكي قال لأن أدع الغيبة أحب إلي من أن تكون لي الدنيا بأسرها وما فيها منذ خلقت إلى أن تفنى فأجعلها في سبيل الله ثم تلا ﴿ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: (١٢)] فما رضي بأن جعله أكل لحم أخيه حتى جعله ميتا وروى عن أبي هريرة ﷺ قال من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل

له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضج ويكلح وعن خالد الربعي قال كنت في المسجد الجامع فاغتابوا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا وأخذوا في غيره ثم عادوا إليه فدخلت معهم في شيء من أمره فرأيت تلك الليلة رجلا أسود طويلا ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فال لي كل فقلت والله لا آكل لحم الخنزير فانتهرني انتهارا شديدا وقال لي أكلت ما هو شر منه فجعل يدسه في فمي حتى استيقظت فوالله قد مكثت أربعين يوما ما أكلت طعاما إلا وجدت طعم ذلك اللحم ونتنه في فمي وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما إياك والغيبة فإنها أدام كلاب النار وعن أنس ﷺ من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم إلى السلطان جيء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادى بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه تنبيه روي أن عيسى عليه السلام رأى إبليس في إحدى يديه عسل وفي الأخرى رماد فسأله عن ذلك قال اجعل العسل في أفواه المغتابين والرماد في وجوه الأيتام حتى يرمدوا فيستقذرهم الناس فلا يفعلوا بهم خيرا[1] فائدة ذكر العلماء أن الغيبة تباح في ستة مواضع نظمها الجوهري في قوله

لست غيبة جوّز وخذها منظمة كأمثال الجواهر

تظلم واستعن واستفت حذر وعرف واذكرن فسق المجاهر

فالموضع الأول التظلم وهو أن يقول المظلوم لمن له قدرة على إنصافه ممن ظلمه ظلمني فلان بكذا وكذا ولا يزيد على الحاجة والثاني الاستعانة على تغيير المنكر فتقول لمن له قدرة على إزالته فلان يفعل المنكر كشرب الخمر وتقصد بذلك أن يعينك على إزالته فإن لم تقصد ذلك كان حراما والثالث الاستفتاء فنقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو نحوهما بكذا فهل له ذلك أو لا والرابع التحذير أي تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بل واجب للحاجة ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته ويجب على المستشار أن لا يخفي شيئًا من العيوب التي فيه بل يذكرها بنية النصيحة ومنها أن يكون الشخص في ولاية لا يقوم بها لعدم صلاحه لها أو لفسقه أو لتغفله فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولي من يصلح لها أو ليحثه على الاستقامة والخامس التعريف فإذا كان الإنسان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج جاز التعريف بذلك ويحرم ذكره على وجه التنقيص والسادس أن يكون متجاهرا بالفسق كالمتجاهر بشرب الخمر وأخذ المكوس وأكل أموال الناس بالباطل وترك الصلاة وفي الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذر الناس منه تتمة اعلم أن سامع الغيبة في الإثم كالناطق بها وقد روي أن الإمام الشافعي ﷺ سمع رجلا يتكلم في رجل من أهل العلم فقال لأصحابه نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به

---

[1] انظر شراح صحيح الإمام البخاري لدى قوله ﷺ في كتاب الأدب باب ما يجوز اغتياب أهل الفساد والريب وكذا ما للمفسرين ﷺ لدى قوله تعالى في سورة النساء لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم تستفد اهـ مؤلف.

فإن المستمع شريك القائل فإن السفيه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص على أن يفرغه في أوعيتكم ونظم بعضهم هذا المعنى فقال

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع الخنا ... شريك لقائله فانتبه

وفي الخطيب عن ميمون بن سنان قال بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل هذا فقلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال لأنك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا فقال لكنك سمعت ورضيت وقال الفضيل الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار وهو الذي يستمد بذلك الغيبة فالموفق من احترز من مكايد الشيطان وكف لسانه وسمعه عن غيبة الإخوان وليصده عن الناس ما يراه من نفسه وليشتغل بما يعنيه قبل حلول رمسه قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا أردت أن تذكر عيوبك وفي الحديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ولله در القائل

معيب على الإنسان ينسى عيوبه ... ويذكر عيبا في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره ... وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

وللإمام الشافعي ﷺ

إذا شئت أن تحيا سليما من الردى ... ودينك موفور وعرضك صين

فلا ينطقن منك اللسان بسوأة ... فكلك سوأة وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساويا ... لقوم فقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... ودافع ولكن بالتي هي أحسن

ولبعضهم

لا تكشفن من مساوي الناس ما ستروا ... فيكشف الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب أحدا فقال لست عن نفسي راضيا فأفرغ لذم الناس وأنشد

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها ... لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال مجاهد أن لابن آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر أحدهم أخاه بخبر قالت الملائكة له ولك مثله وإذا ذكره بسوء قالت يا ابن آدم كشفت المستور عليه عورته ارجع إلى نفسك واحمد الله الذي ستر عليك عورتك وقال بشر بن الحارث من أراد العز والسلامة فليلتزم ثلاثا لا يسأل أحدا حاجة ولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحدا بسوء ونظم بعضهم هذا المعنى فقال

يا مبتغي العز والسلامة ... الزم ثلاثا تلق الكرامة

لا تسأل المرء ما لديه ... ولا ترى آكلا طعامه

ولا تـــــــرى ذاكــــــرا بســـــوء   مــا عشــت خلقــا إلى القيامــة

وزد لهـــذي الــثلاث تقــوى الإلـــه   تكمـــــل لـــــك الســـــلامة

وقالت رابعة العدوية إن الإنسان إذا نصح لله في نفسه أطلعه الله على مساوي عمله فيتشاغل بها عن خلقه فعليك أيها العاقل بتقوى الله المجيد فإنها جامعة لكل أمر حميد وحاذر مما يغضب مولاك ويرضي شيطانك وهواك ورد الغيبة عن عرض أخيك المرة بعد المرة ليرد الله عنك يوم الزحام شدائد ما تكره وفي الحديث من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وعنه ﷺ قال من اغتب عنده أخوه فاستطاع نصرته فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة ومن لم ينصره أذله الله في الدنيا والآخرة في هذا المعنى قلت أي قال الشيخ المحال عليه بعد ولاء

إن رمــــت في الحشـــر تنجـــو   مــــن حــــر نار الجحـــيم

وتســــــــتعز بنصـــــــــر   مــــن العزيـــــز الـــــرحيم

فصــــــــن لســــــانك واردد   عــــن عــــرض خــل كـــريم

فــــالله يوفيــــــك أجـــــرا   مــــن النعـــــيم المقـــــيم

وذا لعمـــــــــرك كــــــاف   طـــوبى لقلـــب ســـليم

أفاده الإمام الشرنوبي ﷺ في تحفة العصر الجديد ونخبة النصح المفيد وقد تقدم بعض ما يتعلق بهذا المبحث لدى قوله عليه السلام ولا تناجشوا وفقنا الله للعمل بما نعلم بجاه من أنزل عليه وعلمك ما لم تكن تعلم صلى الله عليه وآله وسلم وقوله السلام ولا يبع بعضكم على بيع بعض أي بأن يقول للمشتري زمن الخيار أفسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص منه ومثله الشراء على الشراء بأن يقول للبائع زمن الخيار افسخه وأنا أشتريه بأغلى وقد روى الإمام البخاري ﷺ في صحيحه هذه الجملة حديثا مستقلا عن ابن عمر رضي الله عنهما في باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يترك من كتاب البيوع بلفظ لا يبيع بعضكم على بيع أخيه قال الحافظ ابن حجر قوله لا يبيع كذا للأكثر بإثبات الياء في بيع على أن لا نافية ويحتمل أن تكون ناهية وأشبعت الكسرة كقراءة من قرأ أنه من يتقي ويصبر ويؤيده رواية الكثميهني بلفظ لا يبع بصيغة النهي ثم قال قال العلماء البيع على البيع حرام وكذلك الشراء على الشراء وهو أن يقول لمن اشترى سلعة في زمن الخيار افسخ لأبيعك بأنقص أو يقول للبائع افسخ لأشتري منك بأزيد وهو مجمع عليه اهـ وفي باب الشروط في الطلاق من كتاب الشروط من صحيح الإمام البخاري أيضا من حديث عن أبي هريرة أيضا وأن يستام الرجل على سوم أخيه قال المحقق ابن حجر عقب الكلام المتقدم في الباب المذكور قبله ما نصه وأما السوم فصورته أن يأخذ شيئا ليشتريه فيقول له رده لأبيعك خيرا منه بثمنه أو مثله بأرخص أو يقول للمالك استرده لأشتريه منك بأكثر ومحله بعد استقرار الثمن وركون أحدهما إلى الآخر فإن كان ذلك صريحا فلا خلاف في التحريم

وإن كان ظاهرا ففيه وجهان للشافعية ونقل ابن حزم اشتراط الركون عن مالك وقال إن لفظ الحديث لا يدل عليه وتعقب بأنه لا بد من أمر مبين لموضع التحريم في السوم لأن السوم في السلعة التي تباع فيمن يزيد لا يحرم اتفاقا كما نقله ابن عبد البر فتعين أن السوم المحرم ما وقع فيه قدر زائد على ذلك وقد استثنى بعض الشافعية من تحريم البيع والسوم على الآخر ما إذا لم يكن المشتري مغبونا غبنا فاحشا وبه قال ابن حزم واحتج بحديث الدين النصيحة لكن لم تنحصر النصيحة في البيع والسوم فله أن يعرّفه أن قيمتها كذا وإنك إن بعتها بكذا مغبون من غير أن يزيد فيها فيجمع بذلك بين المصلحتين وذهب الجمهور إلى صحة البيع المذكور مع تأثيم فاعله وعند المالكية والحنابلة في فساده روايتان وبه جزم أهل الظاهر والله أعلم اهـ كلام الحافظ وقوله ﷺ وكونوا عباد الله إخوانا أي اكتسبوا ما تصيرون به كذلك من حسن المعاشرة وفعل المؤلفات وترك المنفرات وهو شبيه بالتعليل لما سبق فكأنه ﷺ قال إذا تركتم ذلك كنتم إخوانا أي وبهذا أمرتم وإذا لم تتركوه كنتم أعداء أي وعن هذا نهيتم فلا ينبغي لكم ارتكابه وهو أعظم قادح في إيمانكم والعياذ بالله فتعاملوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرتهم في المودة والملاطفة والتعاون على الخير مع صفاء القلوب والنصح على كل حال إذا الإخوان في الدين ولو لم يكونوا متصلي النسب فهو كالإخوان من النسب بل أعظم وأجل وأنفع وأصون وأجمل وأكمل ويحتمل كما قال بعض الكبار أن يكون عباد الله إخوانا خبرين لكونوا أي اتصفوا بما يليق بوصف العبودية لله وكونوا قائمين بمقتضياتها على ما ينبغي أن يكون عليه من العبيد من القيام بحقوق الخالق وترك التكبر على المخلوق حتى تكونوا إخوانا لا يتكبر ولا يفخر بعض على بعض ويحتمل وهو الظاهر أن الخبر هو إخوانا وعباد الله منادى حذف منه حرف النداء والجملة اعتراضية فائدتها التنبيه على علة الأمر بالمؤاخاة وتقوية داعي المأمور إلى الامتثال بتذكير العبودية لله التي لا يليق معها إلا كمال التنزل والتواضع وترك التكبر والتطاول والترفع وخصوصا في حق أهل الدعوى المفرطة في كمال الإيمان والإحسان فإنهم لا عذر لهم في التخلف عن التخلق بالأخلاق الحسان وإلا فلا تسلم لهم دعواهم بإجماع الأعيان وقد قال الشيخ سيدنا ومولانا العربي الدرقوي ﷺ من ادعى أن الحق تجلى له ولم يخضع فهو كذاب ابن كذاب إن الملك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون اللهم أكرمنا بما أكرمت به أمثاله وألطف بنا فيما جرت به المقادير إنك أرحم الراحمين آمين وأشار بقوله ﷺ من ادعى الخ ما قاله بعض العارفين ونصه العبودية شهود الربوبية أي فلا يتحقق معنى العبودية للإنسان إلا إذا شهد نعوت الربوبية ومن نعت العبد اللازم له الفاقة الدائمة

ذلي لعزتكم فرض علي وإن … أصبحت بين الموالي واحد العدد

فإذا وردت على قلبه مذاكرتها أثارت له شهود نعوت الربوبية فخير أوقات لعبد كما في الحكم العطائية وقت شهد فيه فاقته إلى مولاه دون غيره لأن ذلك يقطع عن الخلق ويوصل إلى الملك الحق فتحصل أن أعظم أسباب دوام العبودية شهود الربوبية أي بما لها من نعوت الجمال والكمال والجلال فإن العبد إذا

توالت عليه مراقبته لجلال مولاه ذل في نفسه وتنزل وتواضع والمجال في هذا الموضوع واسع وفيما ذكر كفاية لكل موفق تحلت بأنوار الوعي منه المسامع هذا وقد تقرر عند أهل الله أن أعلى أوصاف الصوفية وأرفع أخلاقهم جعلنا الله منهم هو التخلق بوصف الصفاء أعني صفاء الباطن من نجاسة القاذورات المعنوية كالكبر والحسد والبغي وغير ذلك مما يقدح في منصب أهل الإيمان عموما ومنصب الصوفية خصوصا وصفاء الظاهر من نجاسة مخالفة الشريعة المحمدية والعياذ بالله رب البرية وإلى ذلك أشار الشيخ الإمام الجهبذ الهمام سيدنا ومولانا محمد المصطفى ماء العينين ﷺ في صدر منتخب التصوّف بقوله

اطلب صفا إن تشأ تصوفا فبالصفاء وصف من تصوفا

وأيضا العبودية وصف مشترك بين الجميع إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا فلا معنى لتكبر البعض على البعض وازدراء البعض بالبعض بل الواجب مع التساوي فيها أن يكون المسلمون مثل الأخوة في الشفقة وترك التكبر وإن كان ولا بد من الترفع والالتفات فالتحقق بسر قوله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير يرد بحول الله عن الزيغ ويجمل بفضل الله الشتات في الماضي والآت وفي خاتمة طلعة المشترى ما نصه قال المفسرون أي في الآية المذكورة معناه أن الحكمة التي من أجلها جعلوا شعوبا وقبائل هو أن يعرف بعضهم نسب بعض فلا يعتزي أحد إلى غير آبائه لا أن يتفاخروا في الأنساب ويدّعوا التفاضل في الآباء والأجداد ثم بين الخصلة التي يفضل بها الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولذا قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون من أكرم الناس فليتق الله وفي جامع العتبية ما نصه حدثني أبو عبد الله محمد ابن أحمد العتبي عن عيسى قال بلغني أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله ﷺ فوجد فيه سلمان الخير وصهيبا وبلالا وسالما مولى أبي حذيفة فقال لهم تخلفتم يا معشر العلجة كأنكم من الأوس أو الخزرج وسعد بن أبي وقاص يصلي ويسمع كلامه فعجل وسلم ثم قام إلى الأعرابي فلببه بردائه ثم قال يا عدو نفسه تقول هذا لأصحاب رسول الله ﷺ فذهب به سعد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بمقالته فخرج رسول الله ﷺ فزعا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الرب واحد والدين واحد والأب واحد ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن دخل في هذا الدين فهو من العرب فقال سعد ما أصنع بهذا يا رسول الله فقال ﷺ ادخره إلى النار قال فلقد رأيته ارتد مع مسليمة فقتل معه كافرا قال ابن رشد هذا حديث بين المعنى يشهد بصحته قوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ومن هذا المعنى قول عمر ابن الخطاب ﷺ كرم المؤمن تقواه ودينه حسبه ونسبه ومروءته خلقه وإنما يكون النسب مزية مع الاستواء في العلم والفضل وفي صحيح البخاري في باب واتخذ إبراهيم خليلا عن أبي هريرة ﷺ قيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا فأجابهم ﷺ

أولا بما هو جماع الخير كله من الصفات الكبية وهي التقوى ثم أجابهم ثانيا بما هو غاية الشرف من الصفات الوهبية وهي كونه نبيا ومن سلالة الأنبياء ثم أجابهم ثالثا بما فيه الجمع بين المكتسب وغير المكتسب وهو كون الإنسان من أهل الفقه في دين الله ويؤخذ من الحديث فائدتان إحداهما التقوى هي أول ما ينظر إليه ويعتبر في باب المفاضلة وأنه لا يقاومها شيء من المزايا حتى لو وجد نسيب غير تقي وتقي غير نسيب لكان التقي أفضل ودليل آخر وهو أن شرف التقوى معتبر في نظر الشرع بلا شرط وشرف النسب معتبر بشرط التقوى قال تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن ولا يخفى أن مرتبة المشروط دون مرتبة شرط الفائدة الثانية قوله ﷺ إذا فقهوا صريح في أن شرف النسب إنما يعتبر مع الفقه في دين الله لا مطلقا ويقرر فيه ما قرر في النسب مع التقوى فتكون فضيلة التقوى وحدها مقدمة على فضيلة النسب وحدها وكذلك فضيلة العلم مع فضيلة النسب فإذا أكرم الله شخصا بالفضائل الثلاث أعني النسب والعلم والتقوى فذلك الذي لا يلحق فضله ولا يبارى مجده وقال ﷺ يوم فتح مكة يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي أو فاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ألا لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى وسئل عيسى عليه السلام أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقسم الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في الإحياء العجب إلى أقسام ثم قال القسم الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبيل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين إن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله من أكرم الناس من أكيس الناس لم يقل من ينتمي إلى نسب ولكن قال أكرمهم وأكيسهم أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الأسود يؤذن فقال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبي ﷺ إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكلم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبي ﷺ يا معشر قريش لا يأت الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم يقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا

فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله إعملا لأنفسكما فإني لا أغني عنكما من الله شيئًا فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق قلت وفي هذا المعنى يقول بعضهم

وإذا افتخـــرت بأعظـــم مقبـــورة والنـــاس بـــين مكـــذب ومصـــدق
فـأقم لنفسـك في انتسـابك شـاهدا بـــدليل فضـــل للحـــديث محقـــق

وقال آخر وأحسن

قـــال النـــبي مقـــال صـــدق لم يـــزل يتلـــى علـــى الأسمـــاع والأفـــواه
مـــن غـــاب عـــنكم أصـــله ففعالـــه تنبـــيكم عـــن أصـــله المتنـــاهي
ولقــد فعلــت فعــال ســوء أصــبحت بـــــين الأنام قليلـــــة الأشـــــباه
وزعمــت أنــك مــن ســلالة ماجــد أفأنـــت أصـــدق أم رســـول الله

ثم قال أبو حامد ﷺ فإن قلت فقد قال رسول الله ﷺ بعد قوله لفاطمة وصفية إني لا أغني عنكما من الله شيئًا إلا أن لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه الصلاة والسلام أترجوا سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله ﷺ والنسيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشره أن يتقي الله ويخشى أن يغضب عليه فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له وإلى ما يعفي عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتدّ عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وبقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أم قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالته بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصلحاء للأقارب والأجانب فإنه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيله وخير الخلق بعد رسول الله ﷺ أصحابه وقد كانوا

يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله ﷺ إياهم بالجنة خاصة وسائر المؤمنين بالشفاعة عامة فلم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم اهـ كلام الغزالي رحمه الله وقال أيضا قبل هذا في الكلام على الكبر ما نصه فالذي له نسب شريف قد يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا أرمني من أنت ومن أبوك فأنا فلان بن فلان وأنى لمثلك أن يكلمني وينظر إلي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فإن غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وارتشح منه كما روي عن أبي ذر أنه قال قاولت رجلا عند النبي ﷺ فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فأضجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدّي فانظر كيف نبهه رسول الله ﷺ على أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن البيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب أبو ذر وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك أن رجلين افتخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي ﷺ افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة آباء فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله ﷺ ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر اهـ كلام الغزالي رحمه الله وقال الشيخ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في صدر المحاضرات حين تكلم على النسب ما ملخصه ويتعلق بأمر النسب أبحاث البحث الأول اعلم أن نسب الإنسان الأصلي هو الطين قال تعالى ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: (٧)] وقال عليه الصلاة والسلام أنتم بنو آدم وآدم من تراب ويقال لآدم عليه السلام عرق الثرى قال امرؤ القيس

إلى عــرق الثــرى وشــجت عروقــي وهــذا المــوت يســلبني ثيــابي

وهذا هو الأصل لجملته ثم لكل فرد منه بعد آدم أصل آخر وهو النطفة قال تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: (٨)] فإذا استوى الإنسان كله في أنه من طين وأنه في الجملة من ماء مهين لم يمكن أن يكون له فضل في نفسه باعتبار أصله ولا أن يكون لبعضه فضل على بعض بذلك لاستوائه في الجميع ولهذا نبه ﷺ على هذا فقال إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب ونبه الله تعالى الإنسان على أصله في آيات كثيرة لينتبه فيعرف نفسه ويعرق

اقتدار مولاه وقال مولانا عليّ كرم الله وجهه ما لابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة ويقال أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وعقد الشاعر الكلام الأول فقال

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

نعم يشرف الإنسان بخصوصية تزداد على جسمه الطيني كالعقل والعلم والدين مثلا فيثبت له الفضل ويثبت لبعضه على بعض فنقول أن ابن آدم متى افتخر قيل له إن كان افتخارك بأصلك فلا فخر لك بل كما يقال ضعيف[١] عاذ بقرملة ثم لا فخر لك به على غيرك لأنكما فيه سيان وإن كان بمزية فهاتها فمن ثبتت له أو لأبيه مزية ثبت حينئذ فخره بنفسه أو بأبيه لأجلها وإلا فلا البحث الثاني اعلم أن ما أشرنا إليه من المزايا التي يشرف بها الإنسان قد تزيد وتعظم حتى يشرف بشرفه من انتسب إليه وهي كثيرة منها دينية كالنبوة وهي أجلها وكالعلم والصلاح ومكارم الأخلاق وغير ذلك ودنيوية كالملك وهو أعظمها وكالنجدة والكرم والقوة وكثرة العدد والمال والجمال ونحو ذلك وكثير منها يصلح أن يكون دينيا وأن يكون دنيويا كالقوة والعز والكرم وسائر مكارم الأخلاق وبعضها ديني ودنيوي معا كالنبوة والخلافة والعلم وبعض ذلك حسي وبعضه معنوي وبعه وجودي وبعضه عدمي إلى غير ذلك فلو اعتبر رجلان متساويان في الخلق والخلق والنسب وسائر الأحوال فلا مزية لأحدهما على الآخر ولو اختص أحدهما بالفقه مثلا فهذه مزية وجودية يفضل بها الآخر ولو اختص أحدهما بكونه ظلوما فهذه مزية مذمومة عند الشارع وقد سلم منها الآخر فله الفضل بمزية هي عدمية وعند الجاهلية بعكس هذا ولذا تأتى للشاعر أن يهجو بقوله

قبيلة لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فالخصلة الحميدة تكون مفخرا لمن اتصف بها ولمن انتسب إلى من اتصف بها فيشرف نسبه بذلك ثم لا يخفى أن آدم أبا البشر ﷺ قد حصل له الشرف بالنبوة وغيرها من الخصال الحميدة وبسجود الملائكة له وغير ذلك مما هو معلوم فجميع البش بنيه شريفهم ومشروفهم ورشيدهم وغويهم يحصل لهم بالانتساب إليه شرف من هذا الوجه يفضلون به غيرهم ممن ينتسب إلى جني أو بهيمة ثم من انتسب إلى آدم ونوح عليهما السلام فقد انتسب إلى مصطفيين ثم من كان من ولد إبراهيم عليه السلام بعد ذلك فهو أفضل من بقية ولد نوح لأنه يعد ثلاثة أنبياء بخلاف من قبله ثم ولد إبراهيم عليه السلام يتفاوتون في الشرف بقدر أنسابهم فمن ازداد بنبي أو نبيين أو أكثر ازداد درجة في الشرف فأولاد إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق

---

[١] قوله ضعيف الخ قال ابن منظور في لسان العرب القرمل نبات وقيل شجر صغار ضعاف لا شوك له واحدته قرملة قال اللحياني القرملة شجرة من الخمص أي بفتح فسكون ضعيفة لا ذرى لها ولا سترة ولا ملجأ قال وفي المثل ذليل عاذ بقرملة وبعضهم يقول ذليل عائذ بقرملة يقال هذا لمن يستعين بمن لا دفع له وباذل منه والعرب تقوله للرجل الذليل يعوذ بمن هو أضعف منه اهـ المراد منه.

بن إبراهيم أشرف من أولاد العيص بن إسحق ولهذا قال ﷺ في يوسف الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم وأما أولاد إسماعيل بن إبراهيم فلهم الشرف بإبراهيم وإسماعيل أولا ثم استكملوا الشرف آخرا بسيد الوجود وسر الكائنات سيدنا ومولانا محمد ﷺ فإليه يساق حديث الشرف العد وباسمه يرسم عنوان صحيفة المجد فيه شرف من قبله كما شرف من بعده وقد كان آدم ﷺ يكنى به تشريفا له بأشرف أولاده فيقال له أبو محمد وكما يشرف الولد بشرف الوالد يشرف الوالد بشرف الولد كما قال ابن الرومي

وكم أب قد علا بابن ذرى الشرف كما علت برسول الله عدنان

ثم قال البحث الثالث الإنسان قد يفتخر بنسبه على ما مر وقد يفتخر بنفسه أي بالخصال التي اتصف بها والدرجة التي نالها في الدين والأول هو الفخر العظامي لأنه افتخار بالعظام الرفات والثاني هو الفخر العصامي وهو منسوب إلى عصام صاحب النعمان بن المنذر وكان يقول

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكا هماما

فكل من جاءه السؤدد من تلقاء نفسه فهو مثل عصام المذكور وفخره العصامي والناس لم يزالوا مختلفين في هذا المنحى فقوم يعتنون في افتخارهم بذكر الآباء وقوم يفتخرون بأنفسهم وهذا الوجه أيضا كثير جدا لأنه طبع الآدمي لا يكاد يسلم منه أحد ولا يحصى ما وقع فيه من كلام الناس نظما ونثرا ثم إن كثير من الناس لا يلتفتون للنسب ولا يقيمون للمفتخر به وزنا كما قال الحريري

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما بدا من حاله لا ابن أمه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

والحق أن كرم النسب فضيلة وأي فضيلة قال تعالى وكان أبوهما صالحا وقال ﷺ في بنت حاتم الطائي إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ووصف الإنسان وسعيه هو الشان والنسب زيادة فضل فإلغاء النسب رأسا جور والاقتصار عليه عجز والصواب ما قال عبد الله بن معاوية الجعفري رحمه الله

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

قوله ونفعل بسكون اللام للوزن ولأنه لما توالى ثلاث حركات خففها بتسكين الوسط كما في عضد وقال الخليفة الراضي بالله العباسي

لا تعذلي كرمي على الإسراف ربح المحامد متجر الأشراف

أجري كآبائي الخلائف سابقا وأشيد ما قد أسست أسلافي

أني من القوم الذين أكفهم معتادة الإخلاف والإتلاف

فهذا وأبيك الفخر العالي البنيان المتأسر الأركان واعلم أن الناس في هذا الباب ثلاثة رجل كان أصيلا ثم جاء هو أيضا فشاد بنيانه وحاط بستنه كالذي قبله فهذا أكرم الناس وأولاهم بكل فخر ورجل لا أصل له ينتمي إليه ولا حسب يعرج عليه ولكنه نهض في اقتناء المآثر واقتناص المفاخر حتى اشتهر بمحاسن الخلال وصار في عداد أهل الكمال وأنشد لسان حاله

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبنفسي فخرت لا بجدودي

فها حري أن يشرف بوصفه وحاله وأن يشرف به من بعده ويكون هو أساس بيته وعرق شجرته ورجل له أصل وقديم شرف ثم لم يبنه ولم يجدده وهو إما أن تخفى عوامله فلم يبن ولم يهدم مع أنه في الحقيقة من لم يكن في زيادة فهو في نقصان فها لا فضيلة له إلا مجرد النسب والفخر العظامي كما مر وأما أن يهدمه بملابسة ضد ما كان عليه سلفه فهذا بمنزلة من هدم الدار ثم حفر البقعة فأفسدها فهذا مذموم بما جنى على نفسه وبما جنى على حسبه ونسبه ومن ها النمط من يخلف آباءه الصالحين بالفسق وكثرة الرغبة في الدنيا والكبر والدعوى وغير ذلك من القبائح كما هو شأن كثير من أولاد الصالحين في زماننا هذا نسأل الله العافية وفي هذا الصنف يقول الشاعر

لئن فخرت بآباء لهم شرف   لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

ا هـ كلام الشيخ اليوسي رحمه الله وقال في موضع آخر من المحاضرات أيضا حين تكلم على الكشف وأقسامه وما يقع منه لأكابر الصوفية ﷺ ما نصه وقد طرق أسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية ﷺ وكلام أرباب الأحوال في كل زمان فتعشقت النفوس ذلك وأذعن إليه الجمهور أفاضوا في التشبه بهم من غير حق ولا حقيقة فما شئت أن تلقى جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة فضلا عن أن يعمل فضلا عن أن يخلص إلى الباطن فضلا عن أن يكون صاحب حال فضلا عن أن يكون صاحب مقام إلا وجدته يصول ويقول وينابذ المعقول والمنقول وأكثر ذلك في أولاد الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا فيقول خدام أبي وزريبة أبي ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان ولا يقبل أن يحبوا أحدا في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره وإذا رأى من خرج يطلب دينه أو من يدله على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماله وقد يقع له شيء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا ثم يختلق لهم من الخرافات والأمور المعتادات ما يدعيه سيرة ودينا يستهويهم به ثم يضمن لهم الجنة على مساوي أعمالهم والشفاعة يوم الحشر ويقبض على لحمة ذراعه فيقول للجاهل مثله أنت من هذه اللحمة فتكتفي جهال العوام بذلك ويبقون في خدمته ولدا عن والد قائلين نحن خدام الدار الفلانية وفي زريبة فلان فلا نخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين وهؤلاء قطاع العباد عن الله وعن دينه داخلون في شبه ما قال النبي ﷺ في ملوك السوء وخصوصا بني أمية ففي الحديث إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا الحديث ولم

يعلم الجهال أنهم كيف يكونون من لحمة ذراعه بمجرد دعواه إذا لم يجعلهم الله تعالى منها وبعد أن يجعلهم كيف يغترون بذلك قبل أن يعلموا أين تصير تلك اللحمة ولعله النار وما ينفعهم اجتماعهم في النار نعوذ بالله من البوار قال تعالى ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون فالناس عند الله ثلاثة مقبول مقبول له ومقبول غير مقبول له ومردود فالمردود لم ينج بنفسه فكيف ينجو الناس لى يده والمقبول بنفسه غايته نفسه والمقبول المقبول له هو الذي له التكلم في الغير وهو الذي يرجى الانتفاع به بإذن الله ا في العموم أو في الخصوص كثيرا أو قليلا فهذا المدعي الذي يتألى على الله ويغر عباده ما يدريه أي الثلاثة هو فإن كان مردودا فيا ويله وإن كان مقبولا في خاصة نفسه فماله وللناس وإن كان مقبولا له الشفاعة فلا يدري أفي كل هؤلاء أم في بعضهم أم في غيرهم فحقه أن يدع الناس ويبكي على نفسه حتى يدري أين هو وإن قوي رجاؤه حينا في الله لنفسه أو لغيره فليقل إن قبلني الله وقبل لي نسأل الله تعالى التوفيق إلى سواء الطريق آمين اهـ كلام الطلعة فبالله عليكم يا أحرار من رق الأغيار تأملوا بعين البصيرة وحققوا نظر الاعتبار في قضية سيدنا سعد ﷺ التي تقدمت أول النقل مع الأعرابي وانظروا ما أنتجه كسر قلوب أهل الحضرة من البعد عن الله والوقوع في مهاوي التلف والحسرة بعدا ووقوعا لا دواء له ولا حد ولا حصر والعياذ بالله وغير خفي أن القول بتباين الطرق وازدراء البعض بالبعض من المنتمين إليها جماع هذا الداء العضال وأعظم دليل على سوء عاقبة المتصف بهذه الخصلة الذميمة والمنتمي إلى المتصفين بها والأمر لله الكبير المتعال كما أفادتنا أيضا لأنها لا تصدر إلا من الدجاجيل الذين لا حقيقة لنسبتهم ودعواهم بقوله ﷺ لما قال له سيدنا سعد ﷺ ما أصنع بهذا يعني الأعرابي المسيء المزدري بمن أمر الله بتعظيمهم خصوصا وتعظيم غيرهم من أهل الدعوة إلى الله بالله لله في الله عموما فقال ﷺ ادخره إلى النار وقول سيدنا سعد أيضا ﷺ فلقد رأيته ارتد مع مسيلمة فقتل معه كافرا والعياذ بالله وغير خفي أن الطيور على أمثالها تقع وإن مع من تكن بحاله تكن وإن المرء على دين خليله وإن الأرواح جنود مجندة وأجر القياس واحترس من الأراذل النسناس الذين يدعون أنهم ناس وليسوا بناس أجارنا الله من مخالطتهم وشر كيدهم ومكرهم آمين ولا شك يا أمة مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله أن كل ولي لله دال على الله عدو لكل شيطان مريد حسبما ورد في كلام الله وآثار مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله وذلك كقوله تعالى في قضية سيدنا موسى الكليم ﷺ مع فرعون وقال فرعون ذروني أقتل موسى الآية وكقضاياه ﷺ مع كفار قريش ومنافقي زمانه وكالقضية المروية عن سيدنا وهب بن منبه ﷺ حسبما ساقها الشيخ الجليل المنور الأصيل سيدنا أو الليث السمرقندي ﷺ في باب عداوة الشيطان ومعرفة مكايده من تنبيهه ومحصلها أن الله تعالى أمر إبليس أن يأتي سيدنا محمدا ﷺ ويجيبه عن كل ما يسأله فجاءه على صورة شيخ وبيده عكاز وسأله عنه وعن أعدائه فأجابه بأن أعداءه وأعداء شياطين الإنس والجن أمثاله كل دال على الله تعالى بوصفي الحق والتحقيق وكل مطيع لله ممتثل أمره طمعا في مرضاته التي هي بغية أهل الصدق والتصديق انظر نصها في المبحث الكور من التأليف المسطور وفي تخفيف

سيدنا سعد ﷺ الصلاة ومبادرته إلى تلبيب الأعرابي المسيء وإتيانه به إلى النبي ﷺ على تلك الحالة يشكوه ما صدر منه من كسر قلوب الفضلاء المذكورين وجوابه له ﷺ بما يناسب جرم الأعرابي وإساءته أعظم دليل وأجلى إشارة إلى أن الإنسان العاقل المنوّر بنور التوفيق والدراية الذي جعل الله وجوده رحمة بالعوالم بأسرها وفقده نقمة تبكي منها الموجودات كلها علويها وسفليها ينبغي له أن يكون مبادرا لنصرة دين الله شديد الغيرة على انتهاك حرمات الله مستعملا الغضب فيما يناسبه من ضياع الحقوق الربانية والحلم فيما يناسبه من فوات الحظوظ النفسانية غير مخلط في المقامات والأحوال ولا راض بكسر قلوب أهل الفضل والنوال وخصوصا الدالين على الله بالله لله في الله الذين هم بواعث الحظوظ النفسانية خوال عملا بقوله تعالى إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وخوفا وحذرا من الوعيد الشديد الذي أعقب الله به الشرط وما عطف عليه وقابله به بقوله تعالى والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم فافهموا الإشارة ودققوا النظر في سر كلام الله يا أهل الله لا إله إلا الله محمد رسول الله وقضية الأعرابي هذه أعظم عبرة ومذكر لمن نور قلبه بنور توفيق الله وفرد من أفراد أهل التعس الذين لفحت قلوبهم وقوالبهم نار جلال انتقام الله حتى حبط عملهم وباءوا بالخسران المبين والعياذ بالله واعملوا واعترفوا واعتقدوا بأن الله ترجع إليه الأمور فيجازي كلا بفعله واعتقاده في الورود والصدور وقولوا بلسان الزلل والانكسار والعجز والافتقار اللهم ثبت قدمنا في بابك ولا تطردنا عن عليّ جنابك اللهم دلنا عليك وارزقنا من الثبات والتأييد ما نكون به متأدبين بين يديك اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا واستعملنا في مرضاتك إنك كريم غفار وقول الإمام اليوسي حسبما نقله عنه صاحب الطلعة آخر النقل المتقدم وقد طرق أسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة الخ غير خفي عن أهل الفتح أن هذا منه ﷺ إشارة إلى أن أعظم أسباب تلف القاصرين من أهل الدعوى والانتماء اللساني إلى طرق أهل الله نفعنا الله بهم وأكبر وجوه التلبيس المؤدي إلى القول بتبياين الطرق الذي ضرب الله به لكثير منهم العنق هو الوقوف مع ظواهر متشابه أقوالهم والمقالات الموهمة التي تصدر منهم في صحوهم وسكرهم وعدم اعتبار وفهم أن العلماء بالله وبأحكام الله نصوا على أن متشابه أهل الله يقال فيه ما يقال في متشابه الكتاب والسنة وأن أهل الفتح والنقد فيه فرقتان فرقة صرفته عن ظاهره ونزهوا جانبهم عن اعتقاد ما يعطيه ظاهر العبارة وقالوا بعد في حقيقته الله أعلم بمرادهم بذلك ولا يفهم كلامهم إلا من كان مثلهم وكلام السكارى بعظيم الاستغراق في شهود تجليات الحضرة يطوي ولا يحكي أنشدوا بلسان الحال والمقال ما قاله إمام أهل الفضل والكمال

فــلا تلــم الســكران في حــال ســكره ... فقــد رفــع التكليــف في ســكرنا عنــا

وصــن ســرنا في ســكرنا عــن حســودنا ... وإن أنكــرت عينــاك شــيئًا فســامحنا

فــإنا إذا طبنــا وطابــت عقولنــا ... وخــامرنا خمــر الغــرام تهتكنــا

وفي السـر أسـرار دقـاق لطيفـة تـراق دمـانا جهـرة لـو بهـا بحنـا

وهذا المذهب أسلم المذاهب وفيه قال بعض الكبار عليه رحمة العزيز الغفار طريق الفقه الظاهري مبنية على البحث والتحقيق وطريق التصوف وهو الفقه الباطني مبنية على التسليم والتصديق فما علمته من أقوالهم وعرفت مخرجه من ومصرفه وتأويله فاتبعه وما لا فسلم ولا تعترض وغيرك على هذا نبهه وأنشدوا

لا تكـن راقبـا فـثم أمـور لطـوال الرجـال لا للقصـار

وإذا لم تـر الهـلال فسـلم لأناس رأوه بالأبصـار

وفرقة صرفته عن ظاهره وتعاطوا تويله على بصيرة من ربهم في إقدامهم لكمال فتحهم وعلمهم كما أن الفرقة الأولى على بصيرة من ربهم في إحجامهم وشاهد المؤولون منار إقتدائهم بشريعة سيدنا محمد ﷺ نصب عينهم وقطعوا الالتفات إلى غيرها في سرهم وجهرهم وأولوه بما يناسب الشريعة والطريقة والحقيقة التي هي نتيجة الشريعة وزبدتها وقالوا في المقالات الصادرة عن كبراء الطرق المذكورة وغيرها كقول الشيخ زروق ﷺ لا شيخ بعد هذه اللحية إن المراد بذلك سد الذريعة للفقراء والمريدين الذين بين يديه حتى تكمل جمعية قلوبهم لضعف استعدادهم عن الالتفات إلى غيره من المظاهر المحمدية وعدم ضبط شريعة آداب مواجهتهم فرحمهم بقصر الوجهة عليه حتى يكمل مقامهم ويرشدوا ويتقنوا آداب المواصلة والمواجهة فهناك يقول لهم كما قال إمام طريقه اصحبوني ولا أمنعكم أي بعد كمال مقامكم أن تصحبوا غيري أي لا تنافي الله ذات واحدة وشيء واحد وإن تعددنا صورة حسبما يشير إليه قول بعضهم وأجاد

مـا أرى نفسـي إلا أنـتم واعتقـادي أنكـم أنـتم أنا

عنصـر الأنفـاس منـا واحـد وكـذا الأجسـام جسـم عمنـا

وقول غيره طريقنا تنسخ الطرق ومن أخذها وتمسك بها لا يلتفت لغيرها وإن التفت لغيرها مات كافرا والعياذ بالله إن هذه المقالة إن ثبتت عمن نسبت إليه وكان الناقل لها أمينا ثقة ثبتا ورعا فإنه يقال يبقى النظر فيها هل صدرت منه في حال سكره أم في حال صحوه فإن ثبتت عنه أنها صدرت منه في حال سكره في شهود أنوار الحضرة المحمدية فإنه يقال تكلم حينئذ على لسان الحضرة المحمدية وكأنه قال بعبارة أبين وأوضح مما تقدم شريعتنا وملتنا معشر أهل الإسلام والدين المحمدي نسخت جميع الشرائع ومن التفت لغيرها ونبذها مات كافرا والعياذ بالله لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: (٨٥)] وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة: (١٠٨)] وقوله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه وقد نصوا على أن الولي تارة يتكلم في حال غيبته وسكره على لسان النبي ﷺ كالمقالة المتقدمة كقول الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ في تائيته

وبي قامـت الأشـياء في كـل أمـة بمختلـف الآراء والكـل أمـتي

نعم نشأتي في الحب من قبل آدم وسرى في الأكوان من قبل نشأتي

أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه بلطف عناياتي وعين حقيقتي

أنا كنت مع إدريس لما ارتقى العلا وأسكن في الفردوس أنعم بقعة

أنا كنت مع عيسى وفي المهد ناطقا أعطي داود حلاوة نعمتي

وتارة يتكلم على لسان الألوهية كقول سلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض ﷺ في تائيته

وألسنة الأكوان إن كنت واعيا شهود بتوحيدي بحال فصيحة

وقول الحلاج حين غاب عن وجوده أيضا في شهود محبوبه أنا من لا يحيط به معنى أنا الذي لا تحصره معنى ولا يحيط به وهم ولا فكر وقوله أيضا ما في الجبة إلا الله ولما قيل له ارجع عن مقالك وإلا قتلك سيف الشريعة قال لا لأني شربت مداما قوية كل من ذاقها غنى لاسيما إذا شرب وسكر ولما حبس للقتل وصلب قال له الشبلي يا أبا المغيث ما معنى التفرد قال له هو أن ينفرد العبد بالواحد الأحد الفرد فإذا رآه الحق قد انفرد عن الخلق أمنه من عذاب الطرد فيصير للحق مشاهدا والحق على لسانه شاهدا فحينئذ يتخلص لمقام المعرفة يا شبلي من راقب الله عند خطرات قلبه عظمه عند حركات جوارحه يا شبلي ألست تحفظ كتاب الله فقال الشبلي نعم فقال له قد قال لنبيه عليه الصلاة والسلام وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى يا شبلي إذا رمى قلب عبده بحبة من حبه نادى عليه مدى الأزمان بلسان العتاب ثم قتل ﷺ والكلام في هذا المجال واسع وإن ثبت أن المقالة المتقدمة صدرت من قائلها حال صحوه فإنه يقال أيضا أن النون في التركيب للمتكلم ومعه غيره والمراد به أمثاله من مشايخ الإسلام وكبراء طرق السادات الصوفية الأعلام والمراد بطريقهم الناسخة لطرق غيرهم طريق الحق المشروع الدال باللسان الخاص والعام على التخلق بوصف العبودية لله الملك العلام والمحرض على ملازمته في القعود والقيام في الجلال والجمال لأنها هي الطريق الموصل والباب المفتوح وبغية كل رشيد نصوح وهي المراد بالباب في قول الشيخ الأكبر مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها الازدحام أي لكونها مسدودة كما قال مولانا الوالد قدس سره في الرسالة التاسعة والعشرين وقد بسط الكلام على معنى هذه المقالة بما يشفي ويكفي ثم قال الشيخ مولانا عبد القادر إلا باب الذل وجدته فارغا أي لكونه مفتوحا قد خلت منه وناديت هلموا إلى ربكم فافهم ومما يزيدك أيها الموفق بيانا في توضيح هذه لفائدة المسلمة المفيدة لدى أهل العقول المجردة الفريدة قول الله تعالى في تنزيله ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: (١٥٣)] عن سيدنا ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار ثم قال ﴿

ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ [الأنعام: (١٥٣)] أي بالكتاب ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: (١٥٣)] المعاصي والضلالات ففي هذه الآية العظيمة دلالة على أن كل ما كان حقا فهو واحد وإن تعددت وجوهه وطرقه صورة كما يأتي وإذا كان الحق واحدا كان كل ما سواه باطلا وإن تعددت وجوهه وطرقه القاطعة عن الله وكذا يوضح هذه المذاكرة قول الله العلي الأعلى إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى فقد أفادنا تعالى بهاتين الآيتين الكريمتين أن طرق الضلال متعددة وطريق الحق مفردة

الطرق شتى وطريق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

قال الله العظيم وما وجدنا لأكثرهم من عهد إن وجدنا أكثرهم لفاسقين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وأما قولهم الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق فالمراد هنا اختلاف وجوه الأدب في السير والسلوك وتعدد أنواعه تخفيفا وتشديدا قبضيا وبسطا جلالا وجمالا وذلك بحسب تجليات الأنفاس وإمضاءات المقادير وضعف الاستعدادات والقوابل وقوتها والطريق في نفسها مفردة وهي طريق العبودية المعبر عنها بالطريق القصد والصراط المستقيم وطريق الهدى وطريق الحق المشروع فافهم كما أن المراد بالطرق المنسوخة في المقالة المتقدمة طرق الضلال المبعدة عن حضرة ذي العزة والجلال وهي المشار إليها بالسبل في قوله تعالى ولا تتبعوا السبل والمراد والله أعلم بقوله تعالى إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس فإن إتباع الظنون التي يعسر استقصاء وجوهها واسترضاء النفوس بإتباع مستلذاتها وهواها وتسويلاتها قاطع وأي قاطع بلا شك ولا منازع عند أهل النور الساطع ذكر المفسرون أن هذه الآية الكريمة وإن وردت في حق الكفار فهي تجر بذيلها من يلتجئ لغير الله طلبا للفاني ويتبع نفسه فيما تطلبه فليس له ما يتمنى وفي المعنى قيل

لا تتبع النفس في هواها إن إتباع الهوى هوان

أجارنا الله بمنه ولله در القائل عليك بورد واحد وهو إسقاط الهوى ومحبة المولى أكرمنا الله بالحظ الأوفر من ذلك وهي أي الطرق المراد أيضا بالأبواب المسدودة في مقالة الشيخ عبد القادر المتقدمة والمراد بالطرق الكثيرة في قول الشاعر الطرق شتى الخ ودليل هذه المذاكرة قول الله العظيم ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل: (٩)] قال المفسرون وعلى الله أي تفضلا وإحسانا قصد السبيل أي بيان الطريق المستقيم وهي طريق الهدى والحق وتبيينها بإرسال الرسل وإنزال الكتب ومنها أي السبيل بالمعنى الأعم جائر أي سبيل جائر أي حائد عن الاستقامة وهو سبيل الضلال والكفر والجور العدول عن الاستقامة ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين أي وصلكم إلى الطريق المستقيم بأجمعكم ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل لما سبق في علمه أن الجنة لها أهل وأن النار لها أهل جعلنا الله والأحباب من أهل الرعيل الأول بجاه من في الدارين عليه المعول صلى الله عليه وآله وسلم آمين ولا يقال أن المراد بقول القائل في المقالة المتقدمة طريقنا تنسخ الطرق هو الإشارة إلى ما هي عليه طريقهم من

الاختصار والعزم والجد والحزم وكمال المجاهدة والاجتهاد في ضبط شريعة السير والسلوك الذي هو يعن الاختصار وروحه لأنا نقول قد تقرر عند الأعيان أنه ليس الخبر كالعيان

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ولا يخفى أن عزم الشاذلية وحزمها واحتياطها واختصارها وكذا فروعها كالدرقوية التي ظهر فضلها وبان على كل الموجودات سرها وكذا فروعها كالدباغية والمدنية والحراقية والبدوية والعجيبية الغمارية كاد أن لا يماثله عزم وحزم واحتياط واختصار ونباهة ويقظة في السر والجهار بحيث تجد أصغر تلاميذها المجدين المحققين إذا تعاطى شيئًا من المباحات ولو بنية صالحة يكون أشد احتراسا واهتماما وخوفا على قلبه من الشتات عن حضرة عالم الخفيات وأما المحرم والمكروه فلا التفات منه إليه بوجه من الوجوه وإن وقعت منه هفوة وزلة بتقدير الله تداركها بالتوبة الكاملة والرجوع إلى الله قبل أن تكتب عليه بمرور ست ساعات بمنة الله وتوفيق الله وهذا مما يكفي دليلا في كمال العزم والحزم والاختصار المعين على الوصول إلى الله تعالى في أقل من لمح الأبصار ففي الوارد خل نفسك وتعال وفيه أيضا أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال يا رب متى أجدك فقال تعالى في أول قدم صدق تضعه من أجلي وقال مولانا الوالد قدس سره في الفصل السادس والعشرين من بغيته ما نصه اعلم يا فقير وفقك الله لما فيه رضاه أن هذه الطريق هي طريق الحق التي توصل إلى الحق سبحانه ولا يكون الوصول إلا بها ومنها ومن رام الدخول على الله سبحانه من غيرها فهو كمن يروم اقتباس النار من الماء وأكل الثمار من غير شجر لأن أصول طريق نبينا محمد ﷺ اعتدالية غير مائلة إلى تفريط لا إفراط فمن تمسك بسنته ﷺ وصل ومن حاد عنها انفصل ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه هذ ولتعلم أن الطريق وإن اتحدت في الأصل فقد اختلفت في الفروع الموصلة إليها وهو اختلاف صوري يرجع في الحقيقة إلى الاتحاد قياسا على المذاهب المتعبد بها كمذهب مالك والشافعي والحنفي والحنبلي والبخاري ومسلم وداود الظاهري وغير ذلك من باقي المذاهب وأفضل الطرق وأقربها طريق الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي ﷺ التي هي طريق مولاي مولاي عبد الواحد الدباغ ﷺ وطريق شيخه مولاي العربي الدرقاوي نفعنا الله به وهي طريق الأقطاب وتسمى سلسلة الأنوار وتسمى أيضا بسلسلة الذهب ويسميها بعض أهل الله بطريق العارفين وقد قال رئيسها أبو الحسن الشاذلي سألت الله تعالى أن يجعل القطب في بيتي إلى يوم القيامة فإذا به يقال لي في سري قد استجبنا لك وقد قال في هذا المعنى العارف بالله سيدي علي بن وفا تلميذ الشاذلي أستاذ كل زمان وقد كان شيخنا ﷺ يحدثنا عن شيخه أنه كان يقول والله لقد تركت كل واحد منكم شيخا في نفسه وأستاذا لأهل زمانه وكان أيضا يحدث عنه ويقول لا أعرف طريقا أقرب من طريقنا وأخصر وقد قال الشيخ شمس الدين الحنفي ﷺ اختصت الطائفة الشاذلية بثلاثة أشيئا لم تكن لأحد قبلهم ولا بعدهم الأولى أنهم مختارون من اللوح المحفوظ الثانية أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو والسلوك الثالثة أن القطب منهم دائما إلى يوم القيامة لإجابة دعوة الشيخ ﷺ اهـ وقد قال شيخنا مولاي عبد الواحد ﷺ سمعت شيخنا

مولاي العربي الدرقاوي ﷺ يقول وأنا سألت الله رابعة فأعطانيها وهي أن صاحبي مختار من ذلك المختارين من اللوح المحفوظ فاحمد الله يا فقير على هداية الله لك حتى انتسبت إليهم وانخرطت في سلكهم فإن السعيد لا يشقى به غيره ومن كثر سواد قوم فهو منهم والمرء مع من أحب وإن لم يعمل عملهم أي الكامل في الصفاء والإخلاص ظاهرا وباطنا فطريقنا والحمد لله من أفضل الطرق إلى الله وبالضرورة أنها كما فضلت غيرها بما ذكر كذلك شيخها وإمامها إذ التفضيل بين الأولياء هو ضروري أيضا لأنهم ورثة الأنبياء والله يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فكل واحد وارث لمن هو مشارك له في منزلته يقوم فيها على سبيل إرث العلم والحكمة لا على سبيل التحقق بالمقام والحال فالأولياء عين الحق وكل عين مستمد منها على قدر نورها وكل ولي له مادة مخصوصة والكل مجموع في القطب الوارث لنبينا محمد ﷺ كما أن جميع مراتب الأنبياء والرسل مجموعة فيه ﷺ قلت والتفضيل المتقدم المراد به غير المؤدي إلى التنقيص والازدراء وإسقاط الحرمة وذلك أيضا في غير أصل الولاية والدلالة والدعوة إلى الله حسبما هو مبين في مبحث التفاضل بين ساداتنا الأنبياء والرسل عليهم السلام ثم قال مولانا الوالد قدس سره وبالجملة فاحمد الله يا فقير أن منحك الدخول إلى هذه الزمرة النبوية المحمدية وتمسك بحبلها المتين فإنه سبيل النجاة وإياك ثم إياك أن تبالي بالمنتقد والمعترض عليها وعلى أهلها فوالله لو ذاق المعترض حلاوتها ما وسعه أن يلبث على حاله ساعة واحدة ولكن من أين للعين الرمداء أن تدرك نور الشمس وكيف للجعل أن يتنعم برائحة الطيب ولله در القائل

تمسك بحبل الشاذلية تلق ما ... تروم فحقق ذاك مني وحصل

ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ... شموس هدى في أعين المتأمل

إذا فهمت هذا وعلمته يا موفق بان لك وأتضح أن اختصار هذه الطريق المباركة وحزمها وعزمها واحتياطها واضح وضوح النهار بفضل الكريم الغفار وأن أهلا لو كان لهم غرض وباعث في التفوه بكلمات الشطح والتيه والدلال لكانوا أحق بهذه المقالة ولا ينازعون فيها بحال لكن لما طان ظاهرها غير مراد سكتوا عن النطق بها رحمة بالعباد ولما تكلم بها من اشتهرت عنه والحال أنه من كمل الأفراد وجب تأويلها بما سطر وبين بفضل رب العباد وفيه كفاية ومقنع لكل مريد ومراد طالب سبيل الهدى والرشاد وأما غيرهم من أهل الإفراط في الدعوى المتمسكين بظاهر المقالة المتقدمة المغترين بتسويل نفوسهم الأمارة المنكرين غيرهم من أهل الطرق المحمدية المعتبرة فأي طريق لهم وأي اختصار لهم وأي حزم لهم وأي عزم لهم فإن العيان والمشاهدة حاكمة وقاضية بأنه لا سير لهم ولا سلوك ولا مجاهدة لعدم مبالاتهم بقلوبهم وقوالبهم باستيلاء أنفسهم عليهم يرتكبون ما شاءوا ويقعون فيما شاءوا محرما كان أو مكروها الحسد خلقهم والعداوة والبغضاء والشحناء طبعهم والوقيعة في أهل الله ديدنهم والغيبة فاكهتهم والانكباب على جميع حطام الدنيا من أي وجه رياض نزهتهم واستيلاء الحجاب على قلوبهم بليتهم وحظهم حتى اعتقدوا بسوء تخمينهم أنه لا ولي غيرهم ولا منتسب غيرهم ولا محق غيرهم ولا مجد غيرهم ولا صادق غيرهم وغير

ذلك من الاعتقادات الفاسدة التي يضيق لها الصدر ولا ينطلق بها اللسان لكثرتها وتصميمهم على ملازمتها وعدم الإقلاع عنها بحيث لا ينفع فيهم وعظ ولا تذكير لما ابتلوا به من الظن القبيح والتخمين المردود بالنص الصريح الصحيح وتسويل النفس الأمارة وقرقرة قرناء السوء والتفوّه لهم بأنهم على الحق القويم والصراط المستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فبالله عليكم يا أهل الإيمان انظروا وحققوا وتبصروا ودققوا هل هذه طريق الحق أم طريق الضلال وهل المضمر على الأخلاق المتقدمة المصر عليها المبيح للتخلق بها مع العلم الضروري بحرمتها يسلم له إيمانه بحال من الأحوال فأحرى غيره من مراتب كمل الرجال والأمر لله الكبير المتعال ولا يقال أيضا أن المراد بقول القائل في المقالة المتقدمة من أن أخذها وتركها ونقضها يموت كافرا هو التشديد والمبالغة في التحريض على الوفاء بالعهود وإن كان ظاهره يفيد هذا المعنى لأن النقص ذريعة إلى الفساد في الدين وأعظم أمارة على سوء العاقبة والعياذ بالله رب العالمين لأنا نقول قد سلمنا أخذ ما ذكر من ظاهر المقالة بطريق التأمل التام بيد أنه قد تقرر عند الأعلام أن التيسير في الدين أعلا أسباب الجمعية الخاصة بفضل الملك السلام ففي الوارد يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا اللهم إذا اتسع الخرق على الراقع وتسلط الذياب المتسترون بالثياب على أهل القلب الخاشع فاستعمال الجلال في محل الجمال مطلوب وليس له حينئذ من مدافع فافهموا يا أهل النور الساطع والسر المكنون سر ما رمزنا إليه من قوله تعالى ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ومع هذا كله لابد من ملاحظة أن التائب من ذنبه كمن لا ذنب له وأن من آوى إلى الله آواه الله ومن تاب تاب الله عليه لقول الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ [النساء: (٦٤)] وأيضا كثيرا ما نرى ونسمع أن المتشدقين بهذه المقالة المدعين الانتماء إلى طريق قائلها والحالة أنهم لم يحصلوا من سرها ولا مقدار قلامة بل لم يشموا رائحتها أصلا لأنهم لو شموا رائحتها واستنشقوا عرفها لكانوا أول آخذ بعزائمها وأسرع مبادر إلى إعطاء هذه المقالة ما يليق بها من شريعة وطريقة وحقيقة ولما كانت الدعوى خالية عن الفائدة والجدوى عظمت عليهم البلوى وضلوا وأضلوا العامة في السر والنجوى يتصلون بضعفاء مبتدئين آخذين عن مشايخ أحياء معتبرين سندهم متصل حيا عن حي وبركتهم ظاهرة في كل شيء سر الأخذ عنهم ظاهر على أهله في السر والعلانية بفضل رب البرية فيحتالون عليهم بحيل يعجز عنها إبليس اللعين حتى يحصل لهم الظفر الصوري بهم فيوهمونهم أنهم يدلونهم على الطريق المستقيم والحالة أنهم في ضلال مبين ويطلعونهم على ترهاتهم التي استهوتهم واستفزتهم فيغترون بذلك لما استولى عليهم من ظلمانية الالتفات المؤدي إلى الشتات عن حضرة عالم الخفيات ويذكر المبتدئون المشار إليهم مكابرة ومدافعة في الجملة للمضلين المرموز إليهم أنهمن آخذون عن سيدي فلان الطريق الفلانية فيقولون لهم أي شيء يكون فلان وأي شيء تكون طريقه طريقنا هي الطريق الحق طريقنا تنسخ الطرق لا طريق إلا طريقنا ليس على الحق سوى شيخنا انقض

تلك العهود وانبذها من وراء ظهرك فإننا ضامنوك عن كل ما ينوبك وأنت قطعة منا يريبنا ما يريبك لأننا الناس وغيرنا لا شيء وغير ذلك من وجوه البهاتن التي يفر منها إبليس اللعين في السر والإعلان وهذا أمر مشاهد بالعيان شاهد يقبح مرتكبه في كل آن وأعلا وجوه القبح المشاهد المشهود الدلالة والتحريض على نقض العهود والتخلق بوصف النكر والجحود وقد تقرر عند صغار أهل الدليل والبرهان أن من عقد مع الله عقدة ثم نقضها كان جزاؤه الطرد والخذلان وفي الفصل الخامس من بغية مولانا الوالد قدس سره ما نصه فصل من عقد مع الله عقدة ونقضها كان جزاؤه اللعن والخذلان فإذا أراد الله خذلان الغافلين وطردهم عنه هيج نفوسهم إلى مباشرة أحكام القهر الذي يوجب لهم البعد فبعد ذلك تقع مخالفة الأمر ونقض العهد فترك حفظ العهود الصحيحة ونقض المواثيق يوجب اللعن قال الله العظيم فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم اهـ المراد منه إذا فهم هذا علم أن مما يشفي ويكفي في جهل الساعين في نقض أمر ما أمر الله ورسوله به أن يوصل غشهم ضعفاء الأمة وأضرارهم أنفسهم بما يصدر منهم من الخطل ولو علموا أن النقض بل مطلق الانتقال ولو من غير نقض عهد الأول مضر جدا بالفقير وكان لهم غرض في نصح العباد بما سبق لهم في الأزل من السعادة والعناية لما حاموا حول حمى الإضرار بالأمة ولراعو حق الله وحق رسوله في كل فرد من أفرادها شفقة ورحمة وقد نص أكابر الرجال على أن الفقير إذا أخذ عن شيخ دال على الله بالله لله في الله يحرم عليه نقض عهده والانتقال إلى غيره ولو كان أعلى منه وأنه إن نقض وخالف لا ينتفع بواحد منهما أبدا والعياذ بالله وهذا هو السر في منع المشايخ ضعفاء تلاميذهم من زيارة غيرهم حتى يرشدوا حسبما تقدم في قول الشيخ زروق لا شيخ بعد هذه اللحية على أننا نرى ونسمع ونتحقق أن كل من خالف أمر الله والرسول والمشايخ الفحول وتابع الشيطان الضلول ونقض عهده وعقده لا يحصل على طائل أبدا بل لا يزداد إلا غباوة وكآبة وجهلا وعنادا وعتوا وطغيانا وقاحة بحيث تجده قبل ذلك بل قبل الأخذ عن الأول متخلقا ببعض الأخلاق المرضية في الجملة متمسكا بشيء من النسك معظما لشعائر الله محترما كل من انتسب إلى الله بواسطة أي شيخ كان معتقدا أن كل مؤمن بالله ورسوله لا يخلو من خير كما هو شأن أهل الإيمان وبعد صحبة البعداء المذكورين يصدر منه ما تقدم وغير ذلك مما يضيق به الصدر ولا ينطلق به اللسان وهذا كله أقل قليل بالنسبة لمن تعرض لسخط الله ومقته بسخط مشايخه وعقوقهم ومن المقرر أن عقوق الأستاذين لا توبة عنه يعنون بذلك التغليظ والتشديد في التنفير من عقوق الأستاذين لما ينشأ عن ذلك من الفساد في الدين وذلك ذريعة إلى سوء العاقبة والعياذ بالله وإنما فسرنا عدم التوبة أي عدم قبولها بما ذكر لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: (١١٦)] وقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ [النساء: (٦٤)] وفي ذلك أيضا أعني عقوق الأستاذين عياذا بالله إشارة وإيذان بأن من كان أول قدمه وبدايته التخلق بنقض العهد وغير ذلك من أوصاف العقوق لم يكن له إرث في السر الخاص نصيب أبدا ولو تقطعت منه الأوصال والعروق وغير

خفي أن البدايات مجلي النهايات ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته ومن كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم ومن كانت بدايته بالله كانت نهايته إلى الله وأجر القياس واحترس من التخلق بأوصاف النسناس كي لا تغرق في بحر الإفلاس الله أكبر الله أكبر الله أكبر إن أعظم ما يتسلى به أهل الدلالة على الله ما شاع وذاع من أن جهل شيئًا عاداه فإنه إذا كان المبتلون بما ذكر من الداء العضال الذي أورثهم الخبال والتصرف بالوهم والخيال لا يحسنون الشريعة العامة الواجبة عليهم عينا فلا غرو أن يصدر منهم في طريق الخاصة العجر والبجر في التفريط والإفراط والأمر لله كيف شاء فعل فتنبهوا يا من أرادوا النصيحة لأنفسهم وتباعدوا من وحل الزلق الموقع في الزلل تربحوا وتبلغوا الأمل والمجال في هذا المبحث واسع وفيما ذكر ورمز إليه كفاية لأهل العناية وأما أهل الغواية فلا تنفع فيهم الكتب السماوية والأمر لله بالبرية وقول غيره اصحبوني واعملوا ما شئتم فإنكم مختارون مضمونون مأمونون بعد وفاتكم من الدور إلى القصور إلى آخر المقالة التي استهوت أهل الفسق والفجور وأقعتهم في الويل والثبور بتحليلهم المحرمات واستباحتهم الفواحش والمنكرات مخالفة لأمر الله والرسول وتلبيسا على ضعفاء الأمة واسترضاء للشيطان الضلول وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون غير خفي عن كبراء علماء الأمة الذين أذهب الله بنورانية حقيتهم كل ظلمة وأزال بسطوات جدهم واجتهادهم في نصرة دين الله وبيان مراده تعالى من إيجاد هذه العوالم كل هم وغمة أنه يقال في هذه المقالة أيضا على فرض ثبوتها ما قالوه في حديث السادات البدر بين المتحفين بكمال المزايا المخصوصين بأسرار الاصطفائية وروح العناية من بين البرايا وذلك أن قوله اصحبوني أدمج فيه واختصر ما كان حقه أن يبسطه ويبينه من شروط الصحبة التي هي الروح بإجماع أهل المذهب المعتبر فإن الصحبة المؤثرة بإذن الله هي ما كانت بوصف الطاعة والامتثال والكون عند نظر المصحوب في كل حال ومحبة ما أحبه ولو عاديا جلاليا وبغض ما أبغضه ولو ظهر نفعه عادة في بادئ الرأي كاملا لأن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ولما تقرر عند الحبائب أن أولياء الله الدالين على الله لا يحبون إلا ما أحبه الله ورسوله ولا يبغضون إلا ما أبغضه الله ورسوله سواء كان ملائما لطبع البشرية أم لا لأن السلامة مقدمة على الغنيمة بإجماع أهل الولاء ولأنهم لما كمل فناؤهم في الله وبقاؤهم بالله كانت أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم جارية على قوانين الشريعة المحمدية في كل لمحة ونفس بكرة وعشية وامتزجت أنوار المتابعة بدمهم ولحمهم وعظمهم وصارت لهم طبعا وديدنا في سرهم وجهرهم ولم تبق لهم مشقة في ارتكابها بل صارت لهم أحلى من الزبد بالسكر والعسل وانتفى عنهم فيها الكسل والفشل وتعجبوامن التخلف عنها في حال أو مقال وقالوا كما قال بعض أهل الكمال

تعصى الإله وأن تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقلوا أيضا كما قال متبوعهم إمام أهل الفضل والكمال صلى الله عليه وسلم وآله أرحنا بها يا بلال

وبعـد الفنـا في الله كـن كيفمـا تشـا فعلمـك لا جهـل وفعلـك لا وزر

وهذا معنى قول بعض الكبار يصل العبد أي الكامل في المعرفة إلى مقام يسقط عنه فيه التكليف أي مشقته لا نفسه فافهم وشدّ يدك على هذا المذهب فإنه الحق المشروع المبلغ كل أرب فإذا كانوا بهذه المثابة وصحبهم موفق متحقق بوصفي التوبة والإنابة تخلق بأخلاقهم واهتدى بشوارق أنوارهم وكان عند نظرهم وظهر عليه ما ظهر عليهم إما كلا وإما بعضا بحسب طاقته واستعداده طولا وعرضا وإن صدرت منه هفوة وزلة تداركها قبل أن تكتب عليه بمرور ست ساعات بالتوبة الكاملة التي لا تبقي معها في القلب والقالب علة وتقوى على إتباعها بحسنة صافية كاملة منوّرة له في الظاهر والباطن في السر والعلانية حسبما تعطيه حقيقة مطلق الصحبة وأما الصحبة الخاصة التي توجب إرث مقام خاصة الخاصة فإنها تعطي أن تكون العين عينا سرا وعلنا حتى يقول أحدهما للآخر يا أنا فافهم وإذا كان كذلك وتحقق الصاحب بما ذكر فقد بشر بما سطر بنص كتاب الله وأحاديث مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله وآثار السلف الصالح ﷺ قال الله العظيم ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: (٩٧)] وقال تعالى ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [يونس آية: (٦٢-٦٥)] وقال تعالى ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المُتَّقِينَ يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٧-٧٣] وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: (٦٩)] وقال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [الليل: ٥-٧] إلى غير ذلك من آيات التبشير الناشئة عن كمال الإقتداء في المقام والمسير وقال ﷺ اعملوا ولا تتكلوا فكل ميسر لما خلق له وقال ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني وقال ﷺ أكيس الناس أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وأعلا الناس منزلة عند الله أخوفهم منه إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع وقال بعض الكبار إذا أردت أن تعلم منزلتك عند الله فانظر فيما يقيمك وقال غيره الاستقامة خير من ألف كشف وألف كرامة وقال غيره بالله الذي لا إله إلا هو ما نال أهل الخصوصية الخصوصية إلا على ذراعهم وقدر مجاهدتهم يشير إلى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ﷺ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقوله تعالى في الحديث القدسي ادخلوها أي بفضلي واقتسموها بأعمالكم ولا شك أن العمل والمجاهدة هي عين الفضل أيضا

هذا الذي تشد عليه الأيدي في فهم هذه المقالة وما أشبهها ولله در مولانا الوالد الذي يقول في الفصل السابع من بغيته ما نصه اعلم أيها الناصح لنفسه الناظر لها بعين السداد والصلاح أن الحق جل جلاله لما أوجدنا في الأزل وطلب منا توحيده ما من واحد منا إلا وقد ادعى ذلك بقوله بلى ثم إنه سبحانه لما أوجدنا من العدم وأمدنا بأنوار القدم أخبرنا أنه إنما أوجدنا لأجل أن يستفسر الدعوة التي صدرت منا وأن يختبرنا في تحقيق التوحيد وكلفنا بالتكاليف الشرعية ونصب على كل تكليف ميزانا يوزن به ومجموع التكاليف هو العمل والحال فالعمل ميزانه الإخلاص والحال ميزانه الصدق وأخبرنا أن تكاليف العبودية كلها شاقة على النفوس وأنه لا يقوم بها إلا الصديق في محبته وأخبر أن أهل الدعوى كثيرون في العدد قليلون في المعنى وأن أهل الصدق قليلون في العدد كثيرون في المعنى فالمدعي كثير والمحق قليل وما وجدنا لأكثرهم من عهد إن وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم إن التكاليف التي تعبدنا الحق بها هي وإن تعددت فهي تؤل إلى مطلوب واحد ومقصود واحد وهو إيثار مراده على مرادك بنعت تلقي المهالك ووجهك ضاحك وقد بين لنا ذلك في كتابه في غير آية وغاية العبودية مخالفة النفس في هواها وصرفها عن كل ما فيه مناها وهذا القدر إذا ظفر به الإنسان فإنه يحصل على جميع الخيرات التي وعد الحق بها وقل من يقوم بهذا الفرض كما قال تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ففي هذه الآية تقريع وتوبيخ عظيم لأرباب الدعاوى الكاذبة الذين أقروا بوحدانيته وسكنوا إلى غيره وفيها إعلام أهل المحبة وأرباب الدعاوى الصادقة أنهم لن يصلوا إليه إلا من باب الإيثار وتحقيق الإشارة في الآية هو أن الحق يقول أننا افترضنا على كل من دخل تحت بيعة العبودية كسر صنم نفسه وقتل جندها بعسكر الرياضات والمجاهدات والهجرة من الخطايا والذنوب وجيران السوء ومخالفة أهل الهوى وإخراج حب دار الدنيا من قلبه حتى يصلح لإسراري بنعت طهارته من كل دنس لكن هذا الفرض ما فعله وقام به إلا الأقوياء والمستقيمون وأهل المحبة ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من مخالفة الهوى ومحبة المولى لكان خيرا لهم إذ الدخول إلى حضرة الحق أفضل من الدخول إلى حضرة الخلق ومشاهدة الحق خير من مشاهدة دار الدنيا وهذا هو الأجر العظيم المشار إليه بقوله وإذا لأتيناهم من لدنا أجرا عظيما إذ الأجر يعظم على مشاهدة الأزل وكشف أنوار الأبد ولو أنهم فعلوا ذلك أيضا لهديناهم صراطا مستقيما أي أرشدناهم إلى معارف طرق الصفات والفناء في بقاء الذات تعالى الله عن كل إشارة أو تقول الصراط المستقيم دخول عالم المعرفة بعد خروج عالم النكرة فتأمل أيها الإنسان أسرار هذا الآية العجيبة وتحقق بما طلبه الحق منك فإنه تعالى جعل عنوان محبته مخالفة هواك ورفض كل ما يشغلك عنه فأقم الميزان على نفسك وصادق الله في معاملتك على أن الظاهر عنوان الباطن كما لا يخفى ولله در طريقة الشاذلي في ميزان السلوك إلى مالك الملوك حيث لم يكن له محط نظر سوى المخالفة بنعت الاشتهار تحقيقا للتوحيد وقتلا لكل جبار متمرد عنيد فالدعاوى منا بعد هذا البيان مساوي والتطاول في بلاد الخصوصية بعد ظهور شريعتها هو غاية المصيبة والرزية فبالله يا فقير ما وصلوا إلا بعد أن انفصلوا وما استراحوا في ظل

الرضا والتسليم إلا بعد أن شحروا بنار الجحيم وما نالوا المسرة إلا بعد المضرة وما دخلوا دار الفضل إلا بعد أن عبروا وادي الخسارة ولا تمتعوا بأنوار الجمال إلا بعد أن ذابوا بنار الجلال وما هذبوا بأسرار الخمرة إلا بعد أن ماتوا عن كل نظرة وما فهموا أسرار الحضرة إلا بعد أن خرسوا عن كل هذرة وما سبحوا الباقيات الصالحات إلا بعد أن هجروا الفانيات الفاسدات فإياك ثم إياك أن تغتر بعد هذا البيان فإنني قد كشفت عن قلبك العمى وتركتك تسير في ميادين الأنوار والله يرشدني وإياك وقد علمت أن الوقت قل خيره واشتدت ظلمته وتراكمت فتنته وتلبست الذياب في الثياب ولا حول ولا قوة إلا بالله الهي اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة إنا هدنا إليك بجاه سر أسرارك الذاتية وحبة أنوارك الصفاتية مولانا محمد ﷺ اهـ وقال فيها أيضا في الفصل الحادي عشر ما نصه اعلم أيها الفقير أن الحق جلا جلاله من كمال قدرته الباهرة أن جعل معرفة الشيء مقرونة ومربوطة بمعرفة ضده فلا يعرف الشيء إلا بمعرفة ضده حسبما تقتضيه الحكمة فالربوبية لا تعرف إلا بالعبودية والمعنى لا تعرف إلا بالحس وقس عليه ما أشبهه فمن أراد معرفة الربوبية لا بد له من معرفة العبودية نعني أن من أراد أن يتحلى بأسرارها لا بد له أن يتحلى بحلية العبودية فمن أراد عزها فلا بد له من ذله ومن أراد غناها فلا بد له من فقره ومن أراد موالاتها فلا بد له من عداوة نفسه إلى غير ذلك لأنه لما كانت معرفة الشيء موقوفة على ضده كان الأهم عند العقلاء الاعتناء بالضد الذي هو الشريعة والوسيلة وما أدى إلى شهود الحق فهو حق لأن الوسائل قد تعطي حكم المقاصد فإن أردت أيها الفقير الدخول في زمرة الأولياء فحقق فقرك وفاقتك من كل شيء واجلس على بساط الذل والاضطرار جلسة رجل عزاه الله بقوله كل شيء هالك إلا وجهه وبقوله كل من عليها فان فالعاقل يا فقير هو الذي تعزى بعزاء الله فلم يحتج إلى عزاء غيره وكل من لم يجلس في مقام التعزية وأراد أن يعرف أسرار الربوبية فاعلم أنه مغرور خال من النور ولا شك أن نقطة من ماء الحس تطفئ بحورا من المعاني والضدان لا يجتمعان فجدد يا فقير عقدة المجاهدة في خدمة الكبير المتعال ولا تأخذ خصة التسويف فإنها سيف صارم وجدد التوبة مع مرور الأنفاس لعلك أن تلحق برتبة الناس فإن المفتاح بيدك والباب لديك وقد سئل الإمام الجنيد ﷺ وقيلله كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى فقال بتوبة تزيل الإصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأكل فقيل له بماذا يصل العبد إلى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد فهذا يا فقير هو الطريق الواضح الذي قام عليه دليل الحق بالنور اللائح وغيره إنما هو غرور وضلال ولا تعبأ بما عليه الناس من صيرورة الطريق عندهم من باب التخمين والحدس والقياس وسرد الكتب والاستغراق في حطام الدنيا من أي وجه حاشا الله أن تكون طريق الحق هي هذه فإن الحق في غاية الجلاء لمن كحل طرفه بنور التوفيق واعلم أنه لا يتكامل أمرك فيما ذكر إلا بعد أن تتطهر بماء الغيبة عن العوالم العلوية والسفلية بحيث لا تبالي بمن والاك ولا تعتمد على غير مولاك لأنه ما ثم إلا ربوبية تولت عبودية فلا إقبال في الحقيقة إلى على الله ولا محبوب في الحقيقة إلا الله لكن لابد للفقير من نقب الكون

حتى يخرج إلى شهود فضاء المكون وإلا فالحجاب به محيط كما جرت سنة الله فعليك يا فقير بشرائع السير في الطريق تنل ما ترجو من رتب التحقيق وإلا فالمكر السيئ لا يحيق إلا بأهله بذلك جرت سنة الله في خلقه والعجب كل العجب من الفقير كيف يطمع في الدخول من غير الباب ويعدل عن الحق ويريد أن يحظى بالصواب فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عصمنا الله من كل قاطع يقطعنا عن محجة الاستقامة وسلك بنا طريق الإوابة والإنابة بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وآله اهـ وقال فيها أيضا ﷺ في الفصل السادس عشر اعلم يا فقير أن الحق تبارك وتعالى غيور ومن غيرته سبحانه أن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن كما قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: (٣٣)] وقال ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [الأنعام: (١٢٠)] إلى غير ذلك مما يقتضي وجود غيرة الحق سبحانه على عباده وخصوصا أهل النسبة إليه فإنه سبحانه أشد غيرة عليهم لذلك كان الذنب عندهم بألف ذنب والزلة بألف زلة فالفقير يا أخي يجب مراعاة أنفاسه وضبط حواسه عن كل ما يوقعه في المخالفة والعصيان فإن الفقير خوفه أبدا إنما هو من الذنب كما أن العارف إنما خوفه من الكفر فالفقير أبدا مشغول إما بذكر أو فكر وإن خلت فكرته من هذين وقع في الغفلة الموجبة للصدود ويسلط عليه إبليس في هذه الحالة لا محالة لأن الحق جل جلاله يطلع على القلوب وعلى الأنفاس في كل ساعة من سوائع الليل والنهار فأيما قلب أو نفس وجد فيه ميلا إلى غيره واشتغالا بغيره إلا سلط عليه إبليس وصار القلب مزبلة للتنزلات الشيطانية ومحلا للقاذورات الدنيوية ويرجع الفقير من حيث أتى رجعة تبكي منها ملائكة السموات والأرض وتفرح بها شياطين الإنس والجن فشمر ساق الجد يا فقير في إقامة شرائعك بنعت انحياشك إلى مولاك وغيبتك عن كل ما يصدك عنه من ترك جميع المألوفات والعوائد التي هي السبب العظيم في انقلاب الفقير على عقبه ورجوعه الإدبار فوالله يا فقير ما يصاب الإنسان إلا من العوائد ولا يفلح إلا بخرقها خرقا لا يقبل الالتئام كما قال بعضهم إن أردت الدخول في الحضرات الربانية فكسر العوائد النفسانية وقد قال ولي الله سيدي ابن عطاء الله في حكمه كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد فخرق العوائد هو الذي يوجب بحفظ الله ترك الجولان في بلاد النفس الموجب للذنب وللمعصية وقد علمت يا فقير أن هذه الطريقة هي شريفة القدر لا تصلح إلا لأولاد الأصول الذين لا يرضون بالمسألة الدنية وأما غيرهم فلا يصلح لها ولا تصلح له ولا يفلح فيها وهي تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وحاشا الله من ذاق حلاوتها أن يقدر على مخالفة الحق فضلا عن أن يتجاهر به ويظهر بحلة المخالفة هذا لا يكون فاحذر يا فقير سطوة المخالفة واركب مطية الجد والمجاهدة فإن ما عند الله لا ينال براحة البدن بل لا ينال النفيس إلا بالنفوس وغير هذا غرور وبطالة الله أكبر إذا أصابنا الجوع والعطش دبرنا لأنفسنا في تحصيل غرضها وإذا رمنا الدخول إلى حضرة الله نخالفه سبحانه ونحدث أنفسنا بالفضل والعفو الله أكبر ما أعظم غرورك بربك يا فقير هذا غاية السخرية والاستهزاء بالحق قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني فعلامة

صدق الفقير في الخدمة هو الأخذ بالشرائع ثم بعد يعتمد على فضل الله وأما من يترك الشريعة ويعتمد على الفضل فهذا هو الكذاب الذي لا يعبأ الله به اهـ فشد يدك على هذا فإنه المذهب الحق والطريق الموصل بإذن الله وأما كون الإنسان ينتحل صحبة أهل الله ثم يجعلها قنطرة لخرق سد الشريعة المحمدية وانتهاك حرمات الله ويقول شيخنا ضامننا وشيخنا قال لنا افعلوا ما يدا لكم فإنكم من الدور إلى القصور فهذا هو الضلال الكبير والخسران المبين وصاحبه من أهل الكبائر تجب عليه التوبة من ذلك فورا فإن مات ولم يتب من نبه فأمره مفوض إلى الله إن شاء سامحه وإن شاء آخذه وعاقبه ما لم يضمر في باطنه أن شيخه بزعمه هو المحلل لما حرمه الله وكانت حرمته معلومة ضرورة والمحرم لما أحله الله كذلك وأن الحكم له وإلا فهو كافر مرتد وإن مات كذلك والعياذ بالله فهو مخلد في النار أجارنا الله من سوء المنقلب فتنبهوا يا أمة سيدنا محمد لهذه الدواهي العظام وإياكم والالتفات إلى زخارف اللئام وترّهات الطعام فإنكم تقعون فيما وقعوا فيه من العطب المؤدي للتوبيخ والتقريع والملام والأم لله الملك العلام واعملوا بما نصحناكم به لله في الله بالله يا أهل العقول الراجحة فإن خير الدين النصيحة وشر الأمور ما أعقب ندامة أو فضيحة اللهم هل بلغت اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقول الآخر وقول الآخر قدمي على رقبة كل ولي لله اعلموا يا أهل التوفيق أن هذه المقالة إن ثبتت عن قائلها في حالة الصحو فللأكابر عنها أجوبة مفيدة يجب شد الأيدي عليها بإجماع أهل الآراء السديدة وها بعض ما لهم في ذلك ففي الزبرجد الذي أراه ما صدر عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره ونفعنا الله به من الكلمات التي رؤيت بمرأى الشطحات فهي مؤولة منصرفة عن مقام الشطح على الغالب وأما بعض الكلمات التي لا تقبل التأويلات فهي نسبت إليه ولم تكن منه ﷺ على الأصح كالكلمات التي سماها واضعها عليه من الله ما يستحق بالغوثية والمعراجية وأسندها إلى الشيخ ﷺ وأخذ به نزه الله مقامه إلى مذهب الحلولية وأهل الوحدة المطلقة في بهتان وافتراء محض عليه قدس سره لأنه ﷺ من أعظم من تحقق بقصد الإتباع للنبي ﷺ في الأقوال والأفعال وقد دلت عليه إرشاداته وكمالاته وعباداته وأما ما نسب إليه من قوله قدمي على رقبة كل ولي لله فما هو إن صح إلا مؤول بتأويل شرعي حصل فيه الإيهام لا غير وتمسك بظاهره جماعة من أهل الغلو في الشيخ الذين اتخذوه حرفة لإعلاء أنفسهم وجلب مصالحهم وانظر ما قاله الإمام أبو حيان في تفسيره البحر المحيط في معنى قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قدم صدق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وابن زيد هي الأعمال الصالحة من العبادات وقال الحسن وقتادة هي شفاعة سيدنا محمد ﷺ وقال زيد بن أسلم وغيره هي المصيبة بمحمد ﷺ وقال ابن عباس وغيره هي السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ وقال مقاتل سابقة خير عند الله قدموها وإلى هذا المعنى أشار وضاح اليمن في قوله

مالك وضاح دائم الغزل ألست تخشى تقارب الأجل

صــل لــذي العــرش واتخــذ قــدما   ينجيـــك يـــوم العثـــار والزلـــل

وقال قتادة أيضا سلف صدق وقال عطاء مقام صدق وقال إيمان صدق وقال الحسن أيضا ولد صالح قدموه وقيل تقديم الله في البعث لهذه الأمة وفي إدخالهم الجنة كما قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وقيل قدم شرف ومنه قول الحجاج

ذل بنـــو العـــوام مـــن آل الحكـــم   وتركـــوا الملـــك لملـــك ذي قـــدم

وقال الزجاج درجة عالية وعنه منزلة رفيعة ومنه قول ذي الرمة

لكـــم قـــدم لا ينكـــر النـــاس أنهـــا   مـع الحسـب العـادي طمـت علـى البحـر

وقال الزمخشري قدم صدق عند ربهم سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا له أنها تعطي باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقال ابن عطية والصدق في هذه الآية بمعنى الصلاح كما تقول رجل صدق وعن الأوزاعي قدم بكسر القاف تسمية بالمصدر اهـ فإذا نظرت لتفسير هذه المعاني رأيت أن الشيخ قدس سره أراد بذلك الأعمال الصالحة من العبادات أو شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام أو السعادة السابقة لجنس الأولياء وكأنه يقول سعادتي السابقة كما أنها طوق منة من الله طوق الله به عنقي فكذلك هو طوق يعلو عنق كل ولي لله أو أراد بذلك سابقة خير قدمها عند الله باتباع رسول الله ﷺ وهي كذلك شاملة للجنس على أن أمر الاتباع نافذ على رقبة كل ولي وأراد بقوله سلفه لصادق مقام الصدق أو إيمان الصدق أو منزلة الإتباع الرفيعة ودرجة الإقتداء المنيعة وكل ذلك شامل لقائله إن كان من جنس الأولياء ولا ريب في أن الشيخ قدس سره من أعيان الأولياء الكرام ﷺ وإلا فتأويل الجهلة من أصحاب الإفراط بمحبة الشيخ ﷺ هذه المقولة وتفسير معناها مع عدم ملاحظة الدقائق الشرعية وحفظ حرمة جنس الأولياء أهل المراتب العلية وإهمال رعاية ما نص من تكريم النوعية الآدمية والجزم على مضمر سر هذه الكلمة بقدم الرجل المركب من لحم وعظم وضلال وغلو من أولئك الجهلة المفرطين واستخفاف بأولياء الله تعالى ويعجبني ما نقله السيد الفاضل نعمان أفندي الألوسي الحسيني القادري في كتابه غالية المواعظ بما نصه واستخفاف العلماء إنما يكون كفرا إذا كان عاملا بعلمه لأن من لم يعمل بعلمه لا يستحق التعظيم ومن قال لفقيه أخذ شاربه ما أعجب قبحها أو أشد قبحا قص الشارب أو لف العمامة تحت الذقن قال في الظهيرية يكفر لأنه استخفاف بالعلماء ومن قال قصصت شاربك وألقيت عمامتك على العاتق استخفافا كفر كذا في الخلاصة للحميدي اهـ فأين هذا الاستخفاف من استخفاف من يصرف كلمة الشيخ ﷺ لقدم الرجل ويقصد بذلك تحقير أولياء الله الذين طالما خضعت أعناقهم لله واشتغلت ألسنتهم بذكر الله وتعفرت جباههم بتراب السجود لله فهل ذلك إلا من الجهل والعناد وإرادة العلو في الأرض حاشا الشيخ قدس

سره أن يقصد هذا المعنى على شرط صدور هذه الكلمة منه فإنه من أكمل من تحقق بشريعة جده عليه الصلاة والسلام وقد عبر عنه العلماء الأعلام بشيخ الإسلام فكيف يصدر من مثله هذا التجاوز على جنسه والطاعن في جنسه كالطاعن في نفسه وليعلم أن مرتبته قدس سره الكمال والعمل بشريعة النبي الطاهر في الأقوال والأفعال فعليك يا أخي بإجلال منزلته وإعلاء شرفه ومرتبته ولا تنظر أقوال السفهاء الممقوتين الذين ينسبون ما لا يرضاه إليه ويصرفون لأغراضهم مؤاخذة الشريعة عليه وأنى لهم ذلك وهو وسيع الرحاب ومحفوظ الجناب وقد تخلق ﷺ بأعظم أخلاق الفقراء وتمكن فيها تمكن العاملين من العلماء قال سيدنا عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتابه الدرر واللمع ما نصه وأما السيد عبد القادر الجيلي ﷺ فمكث في بداية أمره نحو خمس وعشرين سنة يلبس من شراميط الكيمان ويأكل من قمامات البقول التي يرميها الناس في المزابل أو تسقط منهم في موارد الماء حتى وضع الله عليه بالحلال اهـ فانظر لمبالغته في الورع ووقوفه عند حدود الله وتمكنه بالأعمال الصالحة المرضية عند الله وأنط إذا طالعت سيرته الزكية تعلم ما له من المجاهدات وعظيم العبادات وتعتقد اعتقادا جازما أنه من خواص المتكنين الواقفين عند ظاهر الشريعة الغراء ومن أعظم الناصرين لسنة جده سيد الأنبياء ولا يخفى أن جماعة من أرباب الطوائف غير القادرية ابتلوا بإسناد ما هو أعظم من هذه الكلمة إلى أساتيذهم المقدسين وهي قولهم أنهم قالوا قدمي على جبهة كل ولي لله أو قدماي هذان على هامة كل ولي لله والعياذ بالله فإذا أمعنت النظر فيما سبق من التفصيل ترى أن الكلمة المنسوبة للقطب الجيلي ﷺ مع جلالة قدره ورفعة مقامه وقبول كلمته التأويل قال فيها القوم ما قالوا فما بالك بالكلمات التي تنسب لمن لم يبلغ منزلة هذا الإمام الجليل ممن هو دونه شهرة ومكانة من الأولياء والمؤاخذة الشرعية حافة بكلماتهم من كل جهة فهل إلا إنكار صحة النسبة المسندة إليهم حفظا لمقامهم وإجلالا لمرتبتهم وردها بالكلية على محسنيها ومعتقديها تعظيما لجنس الأولياء فإن الجنس أجل وأفضل من الفرد كيف كان فاعمل بهذا يا أخي فهو طريق الصواب وقل للسفهاء المتمشيخة الذين لا يميزون بين الحلال والحرام قبل تفكهكم بالكلمات المنسوبة إلى الشيخ ﷺ وأمثاله وصرفها بفهمكم السقيم إلى الوجه المردود شرعا عاملوا الله كما عاملوه واصدقوا الله كما صدقوه وجاهدوا في الله كما جاهدوا في الله وتشبثوا بذيل الإتباع من غير ابتداع وارجعوا عن نسبة القوم إلى التجاوز فإنهم أدبهم الله وحماهم وصان حماهم وما أحسن ما قاله سيدنا المؤلف ﷺ في كتابه البرهان المؤيد وهو العبد متى تجاوز حده مع إخوانه يعد في الحضرة ناقصا التجاوز علم نقص ينشر على رأس صاحبه يشهد عليه بالدعوى يشهد عليه بالغفلة يشهد عليه بالزهو يشهد عليه بالحجاب يتحدث القوم بالنعم لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية الحقوق الإلهية تطلبهم في كل قول وفعل الولاية ليست بفرعونية ولا بنمروذية قال فرعون أنا ربكم الأعلى وقال قائد الأولياء وسيد الأنبياء ﷺ لست بملك نزع ثوب التعالي والإمرة والفوقية كيف يتجرأ على ذلك العارفون والله يقول وامتازوا اليوم أيها المجرمون من وصف الافتقار إلى الله وصف المؤمنين قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله هذا

الذي أقوله علم القوم تعلموا هذا العلم فإن جذبات الرحمن في هذا الزمان قلت اهـ ومن العجب ما ذكره الشيخ نور الدين على صاحب البهجة القادرية وتمسك به جماعة من الطوائف المشار إليهم قبل الذين نسبوا لأساتيذهم المقالتين المتقدمتين ورموهم بهما قدس الله أسرارهم ونزههم عن شين ما به رموهم وذلك أن ما ذكر عن صاحب البهجة قوله إن الكلمة التي نحن بصدد تأويلها لسان القطبية قلت يقال للشيخ المذكور ولمن وافقه أهل خلت الأمة المحمدية من الأقطاب وما أحرز مقام القطبية إلا المشايخ الذين ذكرتموهم قدست أسرارهم على أن هذا اللسان لم ينقل عن غيرهم أبدا فما أدري ماذا يكون جوابهم والأعجب أن قالوا أن هذا اللسان يتكلم به الكامل من الأقطاب دون غيره فقلت غاب عن أذهانهم أن من عهد أكمل الأقطاب المحمديين وأفضل المخلوقين بعد النبيين والمرسلين سيدنا الخليفة الأول الصديق الأكبر ﷺ إلى عهد من أسندوا إليهم هذه الكلمات قدست أسرارهم سكت الأكملون المتقدمون الذين لا شبهة في صحة أكمليتهم ورجحانهم بحق على الخلق كبارا وصغارا ولم ينطق واحد منهم بمثل هذه الكلمات فهل للمحتج ريبة في كمالهم حمانا الله فكذلك إذا سئل بهذا السؤال ما أدري كيف يقول ومن العجائب أن قوما أرادوا صرف هذه الكلمات عن ظاهرها وإدخالها في باب التحدث بالنعمة والحال أن ما جاء في السنة من باب التحدث بالنعمة مشهور وفي كتب السنة مسطور ولله در سيد الأقطاب شيخنا المؤلف فإنه أوضح في كتابه البرهان سرائر الشأن وكشف به أستار الحقائق وبين وجه الأدب مع المخلوق والخالق وقد عرّف وأوضح ﷺ في كتابه المذكور أم التحدث بالنعمة فقال أي أخي انظر كيف نبيك عليه أفضل الصلوات والتسليمات وكيف قال وكيف خالق الناس برا وفاجرا واعمل بعلمه وقل بقوله وتخلق بخلقه ﷺ إن كنت لا تعلم فاسأل العلماء قال تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: (٤٣)] يتحدث القوم بالنعم اعترافا بنعمة المنعم وشكرا لها وحثا للناس على العمل لتحصل لهم هذه البركة قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يقول المتحدث بالنعمة أطلعني ربي على كذا وعلمني كذا ووهبني من الخير والبركة كذا ولكن لا يقول أنا خير منكم أنا أجل منكم أنا أشرف منكم هذه كلمات دعوى تكون من رعونة النفس ينطلق بها لسان الأحمق ما الذي خيرني عليك وأجلني وشرفني صلاة وصوم وغيرهما من العبادات لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون لولا امتثل قوله تعالى ﴿اشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: (١٥٢)] لحاط العاقل فمه بمخيط أي أخي تفتخر بأبيك آدم عليه السلام كفر أكثر أولاده وكذلك أكثر الأنبياء والمرسلين تفتخر بعلمك إبليس حل ل عويص حل وقر أصحاف الموجودات تفتخر بمالك قارون هلك بماله تفتخر بملكك لم يغن ملك فرعون عنه من الله شيئًا ما هلك إبراهيم عليه السلام بعد أن ترجد إلى ربه ما ذل موسى عليه السلام بعد أن فرش بساط ذله بين يدي خالقه ما ضاع شأن يونس عليه السلام بعد أن قال بصدق الالتجاء لا إله إلا أنت سبحانك ما خاب يوسف عليه السلام بعد أن استسلم لقضائه معتمدا عليه هكذا النبيون هكذا المرسلون هكذا الصديقون هكذا الصالحون لا تبديل لكلمات الله اهـ وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتابه الجواهر والدرر وسمعته يعني شيخه

رضي الله عنهما يقول قال لي بعض أهل الكتاب نحن جعلنا مع الله إلها آخر وأنتم جعلتم آلهة لا تحصى فقلت ما هي قال تقولون بألوهية الأسباب فقلت له هذا باطل عنا وإنما هذا كلام من هو خارج عن الصراط المستقيم فقال إذا أنصفتم فنحن أقل شركا بالله تعالى منهم فعليك يا أخي بإتباع العلماء العاملين من السلف والخلف وإياك وما انتحله غلاة المتصوفة والله يتولى هداك اهـ قلت وأظن أن القائلين بألوهية الأسباب أقل شركا من القائلين بألوهية الأشياء أعني أصحاب الوحدة المطلقة ولهذا أحذر القوم العارفون من سماع كلماتهم والقول بأقوالهم وانظر كيف يقول سيدنا المؤلف ﷺ في كتابه البرهان صموا أسماعكم عن علم الوحدة وعلم الفلسفة وما شاكلهما فإن هذه العلوم مزالق الأقدام إلى النار رحمانا الله وإياكم الظاهر اللهم إيمانا كإيمان العجائز قال الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اهـ انتهى المراد من القلائد ببعض تصرف للرحمة والشفقة والتعفف وجمع القلوب على الله تعالى بوجه التيسير الذي هو بغية أهل التصوف وإليه دائما وأبدا منهم التشوف ولله دره إماما محققا جزاه عنا وعن المسلمين خيرا آمين قلت وإلى ما تقدم في معنى القدم قول العارف قدمي على رقبة الخ الإشارة بقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأحزاب: (٧٢)] الآية قال مولانا الوالد قدس سره في الفتوحات القدسية في هذه الآية العظيمة ما نصه ذهب جمهور المفسرين من أهل الظاهر إلى أن المراد بالأمانة ما عم جميع التكاليف الشرعية والوظائف الدينية قال صاحب القاموس في قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب: (٧٢)] أي الفرائض المفروضة والنية التي تعتقدها فيما تظهره باللسان من الإيمان وتؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لأن الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لأحد من خلقه فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة اهـ وذهب جمهور أهل الإشارة من أهل الباطن إلى أن المراد بالأمانة هو التوحيد على سبيل التفريد كما قال ابن عطاء وقال شيخ شيوخنا أبو زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي في حواشيه وقد يقال الأمانة هي ما أخذ عليهم من عهد التوحيد في الغيب بعد الإشهاد بربوبيته ونظير لذلك لن تسعني أرضي ولا سمائي الخ وأما حملها على التكاليف الشرعية فلا يختص بالآدمي لأن الجن أيضا مكلف ومناسبة الآية لما قبلها لأن الوفاء من جملة النعوت المأمور بها وإنما اختص الإنسان بها لما له من الاستعداد لقبول ذلك اهـ وقال فارس في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة أي عرض الأمانة على الخلائق والجمادات فأشفقوا وهربوا وظنوا أن الأمانة تحمل بالنفوس فكشف لآدم أن حمل الأمانة بالقلوب لا بالنفس فقال أنا أحملها لأن القلب موضع نظر الحق وإطلاعه فإذا أطاق ذلك يطيق حمل الأمانة فإن الأمانة حدث وإطلاع الحق وتجليه لم تطقها الجبال وأطاقتها القلوب وأنشد فرس على أثره

حملتم القلب ما لا يحمل البدن ... والقلب يحمل ما لا تحمل البدن

يا ليتني كنت أدنى من يلوذ بكم ... عينا لأنظركم أم ليتني أذن

وقال الإمام الوربجي ﷺ لما لم يكن للكون استعداد حمل الأمانة بنعت الانفراد والفناء والسكر في العشق والخروج بنعت الألوهية أبى أن يحملها لأن سطوات الألوهية إذا بدت اضمحلت الأكوان والحدثان فيها

وبقي آدم لأنه كان مستعدا لقبول ذلك لأنه كان مخلوقا بخلقه وموصوفا بوصفه مستحكما بيده الأزلية ومباشرة نور صفته الخاصة بقوله خلقت بيدي قويا بقوة روحه القدسية التي بدت من ظهور نور الذات حين تجلى من العدم لآدم بقوله ونفخت فيه من روحي فإذا كان كذلك حمل أمانة الله بالله لا بالحدثان فإنه تعالى قائم بنفسه منزه عن مباشرة الحدوثية فقد حمل جميع أنوار الصفات والذات حيث صدر وجوده من تجلي الذات والصفات فخرج موصوفا بالصفات منورا بنور الذات وهذه بجميعها الأمانة ولا يكون لتلك الأمانة موضع إلا آدم ومن كان بوصفه من ذريته من الأولياء والأنبياء فإذا قابل القدم وقبل الأمانة فقد جهل بالقدم أصلا حيث قبل الكل بالبعض لذلك قال إنه كان ظلوما جهولا ظلوما إذ وازى الأزل والأبد عم علة الحدوثية جهولا حيث لم يعلم أن حقيقة التوحيد بالحقيقة مزلة أقدام الموحدين وكيف يكون صفوان القدم موضع أقدام الحدث فمجاز الأمانة بعد ذلك المحبة والعشق والمعرفة وحقيقتها الأنانية اهـ كلام الوربجي وقال شيخ شيخنا سيدي عبد القادر بن أبي حيدة الفاسي قدس الله روحه في هذه الآية الأمانة هي الحقيقة الذاتية أي ذات الباري سبحانه والحامل لها هو الإنسان لكونه صورة وجودها أن الله خلق آدم على صورته فهو الجامع لها ولذلك حملها ولا يحملها غيره من صور الموجودات كالسماء والأرض وغيرهما إذ كل صورة من صور الموجودات جزء منها والجزء لا يحمل الكل لكونه لا يسعه فلذلك أبى الجميع من حملها أي لم تسعه ووسعت الإنسان لأنه صورتها وهي حقيقته فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بها وجهله بها عين ظلمه لها ونفسه الظالم لها هي نفسه الحقيقية المذكورة وظلمه وقوفه مع الأكوان وسترها بها انتهى اهـ كلام مولانا الوالد نفعنا الله به وقال الشيخ إسماعيل قدس الله سره ونفعنا به في روح البيان في هذه الآية ما نصه والأمانة ضد الخيانة والمراد هنا ائتمن عليها وهي على ثلاث مراتب المرتبة الأولى أنا التكاليف الشرعية والأمور الدينية المرعية ولذا سميت أمانة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وفي الإرشاد عبر عن التكاليف الشرعية بالأمانة لأنها حقوق مرعية أودعها الله المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها اهـ وتلك الأمانة هي العقل أولا فإن به يحصل تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه وفعل ما في طوقهم فعله من الجميل وبه فضل الإنسان على كثير من الخلائق ثم التوحيد والإيمان باليم الآخر والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصدق الحديث وحفظ اللسان من الفضول وحفظ الودائع وأشدها كتم الأسرار وقضاء الدين والعدالة في المكيال والميزان والغسل من الجنابة والنية في الأعمال والطهارة في الصلاة وتحسين الصلاة في الخلوة والصبر على البلاء والشكر لدى النعماء والوفاء بالعهود والقيام بالحدود وحفظ الفرج الذي هو أول ما خلق الله من الإنسان وقال له هذه أمانة استودعتكها والأذن والعين واليد والرجل وحروف التهجي كما نقله الراغب في المفردات وترك الخيانة في قليل وكثير لمؤمن ومعاهد وغير ذلك مما أمر به الشرع وأوجبه وهي بعينها المواثيق والعهود أخذت من الأرواح في عالمها ووضعت أمانة في الجوهر الجمادي صورة المسمى بالحجر الأسود لسيادته

بين الجواهر وألقمه الحق تلك المواثيق وهو أمين الله لتلك الأمانة المرتبة الثانية أنها المحبة والعشق والانجذاب الإلهي التي هي ثمرة الأمانة الأولى ونتيجتها وبها فضل الإنسان على الملائكة إذ الملائكة وإن حصلت لهم المحبة في الجملة لكن محبتهم ليست بمبنية على المحن والبلايا والتكاليف الشاقة التي تعطي الترقي إذ الترقي ليس إلا للإنسان فليس المحنة والبلوى إلا له ثم قال المرتبة الثالثة أنها الفيض الإلهي بلا واسطة ولهذا سماه بالأمانة لأنه من صفات الحق تعالى فلا يتملكه أحد وهذا الفيض إنما يحصل بالخروج عن الحجب الوجودية المشار إليها بالظلومية والجهولية وذلك بالفناء في وجود الألوهية والبقاء ببقاء الربوبية وهذه المرتبة نتيجة المرتبة الثانية وغايتها فإن العشق من مقام المحبة الصفاتية وهذا الفيض والفناء من مقام المحبوبية الذاتية وفي هذا المقام يتولد من القلب طفل خليفة الله في الأرض وهو الحامل للأمانة فالمرتبة الأولى للعوام والثانية للخواص والثالثة لأخص الخواص والأولى طريق الثانية وهي طريق الثالثة ولم يجد سر هذه الأمانة إلا من أتى من الباب وكل وجه ذكره المفسرون في معنى الأمانة حق لكن لما كان في المرتبة الأولى كان ظرفا وعاء للأمانة ولبه ما في المرتبة الثانية ولب اللب ما في المرتبة الثالثة ومن الله الهداية إلى هذه المراتب والعناية في الوصول إلى جميع المطالب ثم قال بعد والمراد بالإنسان الجنس بدليل قوله إنه كان ظلوما جهولا أي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة لأن الحمل إنما يكون بالهمة لا بالقوة قال في الإرشاد وهو إما عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطري أو عن اعترافه يوم الميثاق بقوله بلى ولما حملها قال الله تعالى ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: (٧٠)] ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: (٦٠)] ثم قال فالإنسان اختص بالعشق وقبول الفيض بلا واسطة وحمله من سائر المخلوقات لاختصاصه بإصابة رشاش النور الإلهي وكل روح أصابه رشاش نور الله صار مستعدا لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة وكان عرض العشق والفيض عاما على المخلوقات وحمله خاصًا بالإنسان لأن نسبة الإنسان مع المخلوقات كنسبة القلب مع الشخص فالعالم شخص وقلبه الإنسان فكما أن غرض الروح عام على الشخص الإنساني وقبوله وحمله مخصوص بالقلب بلا واسطة ثم من القلب بواسطة العروق الممتدة يصل عكس الروح إلى جميع الأعضاء فيكون متحركًا به كذلك عرض العشق والفيض الإلهي عام لاحتياج الموجودات إلى الفيض وقبوله وحمله خاص بالإنسان ومنه يصل عكسه إلى سائر المخلوقات ملكها وملكوتها فأما إلى ملكها وهو ظاهر الكون أعني الدنيا فيصل الفيض إليه بواسطة صورة الإنسان من صنائعه الشريفة وحرفه اللطيفة التي بها العالم معمور ومزين وأما إلى ملكوتها وهو بأمر كن باطن الكون أعني الآخرة فيصل الفيض إليها بواسطة روح الإنسان وهو أول شيء تعلقت به القدرة فيتعلق الفيض بظاهر الإنسان وباطنه وهذا سر الخلافة المخصوصة بالإنسان وقال بعضهم المراد بالإنسان آدم وقد روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال قال مثلت الأمانة كالصخرة الملقاة ودعيت السموات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق حملها وجاء آدم من غير أن دعي وحرك الصخرة وقال لو أمرت بحملها لحملتها فقلن له أحمل فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها وقال لو أردت

أن أزداد لزدت فقلن له أحمل فحملها إلى حقوه ثم وضعها وقال لو أردت أن أزداد لزدت فقلن له أحمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة ثم قال وروي أن آدم عليه السلام قال أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق فقيل من يحملها يحمل بنا فإن ما هو منا لا يحمل إلا بنا فحملها ثم قال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ما نصه إنه أي الإنسان كان ظلوما لنفسه بمعصية ربه حيث لم يف بالأمانة ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها ثم قال والظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ومن هذا ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته ويسمى ذلك اللبن الظلم وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعًا للحفر وتلك الأرض يقال لها المظلومة والتراب الذي يخرج منها ظليم والظلم يقال في مجاوزة الحد الذي يجري مجرى النقطة في الدائرة ويقال فيما يكثر ويقل من التجاوز ولذا يستعمل في الذنب الصغير والكبير ولذا قيل لا آدم في تقدمه ظالم وفي إبليس ظالم وإن كان بين الظلمين بون بعيد قال بعض الحكماء الظلم ثلاثة أحدها بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق والثاني ظلم بينه وبين الناي والثالث ظلم بينه وبين نفسه وهذه الثلاثة في الحقيقة للنفس فإن الإنسان أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه ثم قال والجهل خلو النفس من العلم وهو على قسمين ضعيف وهو الجهل البسيط وقوي وهو الجهل المركب الذي لا يدري صاحبه أنه لا يدري فيكون محرومًا من التعلم ولذا كان قويًا قال في الإرشاد وقوله أنه الخ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أي أنه كان مفرطًا في الظلم مبالغًا في الجهل أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعلموا بموجب فطرتهم السليمة أو عهودهم يوم الأرواح دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله وجروا على ما اعترفوا بقولهم بلى وقال بعضهم الإنسان ظلوم وجهول أي من شأنه الظلم والجهل كما يقال الماء طهور رأي من شأنه الطهارة واعلم أن الظلومية والجهولية صفتا ذم عند أهل الظاهر لأنهما في حق الخائنين في الأمانة فمن وضع الغدر والخيانة موضع الوفاء والأداء فقد ظلم وجهل ثم قال وقال أهل الحقيقة هما صفتا مدح أي في حق مؤدي الأمانة فإن الإنسان ظلم نفسه بحمل الأمانة لأنه وضع شيئًا في غير موضعه فأفنى نفسه وأزال حجبها الوجودية وهي المعروفة بالأنانية وجهل ربه فإنه في أول الأمر يحب هذه البهيمية التي تأكل وتشرب وتنكح وتحمل الذكورية والأنوثية اللتين اشترك فيهما جميع الحيوانات وما يدري أن هذه الصورة الحيوانية قشر وله لب هو روحه وروحه أيضًا قشر وله لب هو محبوب الحق الذي قال ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ [المائدة: ٥٤] وهو محب الحق الذي قال ﴿ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤] فإذا عبر عن قشر جسمانية الظلمانية ووصل إلى لب روحانية النورانية ثم علم أن هذا اللب النوراني أيضًا قشر فإن النبي ﷺ قال: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة**» فعبر عن القشر الروحاني أيضًا ووصل إلى لبه الذي هو محبوب الحق ومحبه فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه بتوحيد لا شرك فيه وجه لما سوى الله تعالى بالكلية وأيضًا أن الجهول هو العالم لأنه نهاية العلم هو الاعتراف بالجهل في باب المعرفة والعجز عن

درك الإدراك إدراك ثم قال فلو لم يكن للإنسان قوة هذه الظلومية والجهولية لما حمل الأمانة وبهذا الاعتبار صح تعليل الحمل بها وقال بعض أهل التفسير وتبعهم صاحب القاموس أن الوصف بالظلومية والجهولية إنما يليق بمن خان في الأمانة وقصر عن حقها لا بمن يتحملها ويقبلها فمعنى حملها الإنسان أي خانها والإنسان الكافر والمنافق من قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها بمعنى أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج من عهدتها بجعل الأمانة كأنها ركبة للمؤتمن عليها كما يقال ركبته الديون فما يحمل إذا كناية عن الخيانة والتضيع والمعنى إنا عرضنا الطاعة على هذه الأجرام العظام فانقادت لأمر الله انقيادًا يصح من الجمادات وأطاعت له طاعة تليق بها حيث تمتنع عن مشيئته وإرادته إيجادًا وتكوينًا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] والإنسان مع حياته وكمال عقله وصلاحه للتكليف لم يكن حاله فيما يصح منه ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه مثل حال تلك الجمادات بل مال إلى أن يكون محتملاً لتلك الأمانة مؤديًا إياها ومن ثم وصف بالظلم حيث ترك أداء الأمانة وبالجهل حيث أخطأ طريق السعادة ففي هذا التمثيل تشبيه انقياد تلك الأجرام لمشيئة الله إيجادًا وتكوينًا بحال مأمور مطيع لا يتوقف عن الامتثال فالحمل في هذا مجاز وفي التمثيل السابق على حقيقته وليس في هذا المعنى حذف المعطوف مع حرف العطف بخلافه في حمل الحمل على التحمل فإن المراد حينئذ ﴿ وَحَمَلَهَا الإنسَانُ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ثم غدر بالحمل حتى يصح التعليل بقوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الخ فاعرف هذا المقام والقول ما قالت حذام قال في الأسئلة المفحمة كيف عرض الأمانة عليه مع علمه بحاله من كونه ﴿ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢] والجواب هذا سؤال طويل الذيل فإنه تعالى قد بعث الرسل مبشرين ومنذرين إلى جميع الخلق ليدعوهم إلى الإيمان مع علمه السابق بأن يؤمن بعضهم ويكفر بعضهم والخطاب عم الكل مع علمه باختلاف أحوالهم في الإيمان والكفر فهذا من قبيله وسبيله فإنه مالك الأعيان والآثار على الإطلاق وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ظلومًا بحق الأمانة جهولاً بما يفعل من الخيانة يعني لم تكن الخيانة عن عمد وقصد بل كانت عن جهل وسهو كما قال ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه: ١١٥] والسهو والنسيان مغفور والجاهل في بعض المواضع معذور الهنا اصنع بنا ما أنت أهله ولا تصنع بنا ما نحن أهله اهـ إلى غير ذلك من متشابه كلام أهل الله ﷺ وأكرمنا بما به أكرمهم ورزقنا محبتهم وتعظيمهم والأدب معهم في الظاهر والباطن بمنه وكرمه أنه أرحم الراحمين الحاصل أن بينا سيدنا ومولانا محمدًا ﷺ نصحنا كمال النصيحة ورحمنا كمال الرحمة بدلالته إيانا على التحقيق بأوصاف العبودية والتسربل بها في كل لحظة وتحريضنا على التحافظ على المؤاخاة في الدين والتنافس في ارتكاب أسباب ذلك بقوله ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**» أي تعاطوا أسباب المودة بينكم من ترك الحسد وإظهار الود وبدء السلام ورده والمصافحة وتشميت العاطس وعيادة المريض وتشييع الجنائز وإجابة الدعوى والنصح روى الترمذي عنه ﷺ قال «**تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر**» وفي رواية «**تهادوا تحابوا**» وفي رواية الإمام البزار ﷺ «**تهادوا فإن الهدية تذهب**

السخيمة ووحر الصدر» بالحاء المهملة والواو المفتوحتين غشه ووسواسه وقيل المراد به الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل أشد البغض والسخيمة الضغينة أي الحقد وروي «**تصافحوا فإنه يذهب الشحناء وتهادوا**» إلى غير ذلك من أسباب المودة والتراحم ووجوه التعاون على البر والتقوى قيل لخالد بن صفوان أي الإخوان أحب إليك قال الذي يغفر زللي ويسد خللي ويقبل عللي وإليه يشير قول القائل:

أحب من الإخوان كل مواتي		جميل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أحبه		ويحفظني حيا وبعد مماتي
فمن لي بهذا ليتني لو وجدته		لقاسمته مالي من الحسنات

غيره:

من لي بإنسان إذا أغضبته		وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا صبوت إلى المدام شربت من		أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه		وبقلبه ولعله أدرى به

قال بعض الكبار وفي قوله ﷺ: «**عباد الله**» إشارة إلى أنكم عبيده فحقكم أن تطيعوه بأن تكونوا كالإخوان فيما مر ووجه طاعة الله في كونهم إخوانًا التعاضد على إقامة دينه وإظهار شعائره إذ بدون ائتلاف القلوب لا يتم ذلك كما يفيده قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] الآية اهـ قلت ولاشك أن روح هذا المشهد العظيم اعتبار أن الطرق إلى الله تعالى بأسرها شيء واحد إذ بذلك يقوى التعاون وتحصل الألفة وتتم الشفقة والرأفة وتكمل الوصلة والعطفة اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه أنك أرحم الراحمين آمين وقوله عليه السلام: «**المسلم أخو المسلم**» الخ لما كان المراد من قوله ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**» ما تقدم عقبه على جهة التأكيد والبيان له والاستعطاف المفهوم منه بقوله المسلم أخو المسلم أي لأنه يجمعهما دين واحد كما يجمع الأب ومن ثم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] فهم كالإخوة الحقيقية وهي أن تجمع الشخصين ولادة من صلب أو رحم أو منهما بل الأخوة الدينية أعظم من الأخوة الحقيقية لأن ثمرة هذه دنيوية وثمرة تلك أخروية ولأن الأخوة من النسب إذا افترقوا في الدين لم يتوارثوا والأجانب إذا اتفقوا في الدين توارثوا إما للاتفاق في عموم الدين عند فقد القرابة أو لغير ذلك وفي الصحيحين «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**» وروى أبو داود «**المؤمن مرآة المؤمن المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضغينته ويحوطه من ورائه**» وروى الترمذي «**أن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه**» وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وقوله ﷺ: «**لا يظلمه**»

مستنتج عن قوله المسلم أخو المسلم لأن انتفاء الظلم والخذلان والاحتقار من لوازم ثبوت الأخوة فصار قوله المسلم أخو المسلم مشتملاً على معنى قوله لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره فبينهما كمال الاتصال لتنزل الجمل الأخيرة من الأولى منزلة بدل الاشتمال ونقل بعضهم عن الإمام الطيبي رحمه الله أنه أعني قوله ﷺ لا يظلمه استئناف والله أعلم ومعنى لا يظلمه أي لا يدخل عليه ضررًا في نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله بغير إذن شرعي ولا ينقصه حقه ويمنعه إياه لأن تلك قطيعة محرمة تنافي أخوة الإسلام بل الظلم حرام حتى للذمي فالمسلم أولى وقد تقدم عن صاحب روح البيان حقيقته وتقسيمه فليراجع وهو أي الظلم ظلمات ممحق ومذهب للبركات كما في قصة البقرة التي رآها الملك تحلب مقدار ثلاثين بقرة فهم بأخذها فنقصت نصف حلابها ثم تاب ورجع فرجعت إلى ما كانت وقد ورد في التحذير من الظلم آيات وأحاديث مشهورة وفي كتب الحديث والوعظ مسطورة قال الله العظيم ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠] وقال: ﴿ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] وقال: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وقال: ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] وقال ﷺ الظلم ظلمات يوم القيامة والظلم ناشئ من ظلمة القلب بالحجب عن الله والبعد عنه بكثرة المخالفات والعياذ بالله إذ لو استنار بنور التقوى لاعتبر بحال الظالمين قبله وما وقع بهم في الحضرة الحقية والخلقية لكن الاعتبار لأولي البصر والاستبصار المفتوح عليهم في السر والجهار بفضل الله وعطفة النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم ما تلا تال فاعتبروا يا أولي الأبصار وفي الصحيح أن الظالم يعطي من حسناته يوم القيامة لمظلومية في عرض أو مال أو عقوبة فإذا نفذت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات مظلومية ثم طرح في النار وروى الإمام الخطيب عن سيدنا علي رفعه اتق دعوة المظلوم فإنه يسأل الله حقه وأن الله لن يمنع ذا حق حقه وروى الطبراني والضياء عن خزيمة بن ثابت رفعه اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين وعن سيدنا أنس ﷺ اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب ويرحم الله القائل وأجاد:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه	وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل لا تخطئ ولكن	لها أمد وللأمد انتهاء
دعا المظلوم ليس له مرد	ولا حجب تقيه ولا سماء
فكم أفنى ودمر من ملوك	أبادهم به لما أساءوا
أبادهم الجميع ودار فيهم	كما دارت بلهوتها الرحاء
وصاروا عبرة للخلق لما	أحاط بهم من الله البلاء
فلا تغررك أيام حسان	ولا تظلم فإن له جزاء
فإن الله يا هذا غيور	ولا يهمل لداعيه دعاء

وقد قال بعض الكبار من علم أن الله سميع كف نفسه عن ظلم الأنام إشفاقًا من إصابة السهام لاسيما في حندس الظلام فافهموا واسمعوا وأطيعوا واعملوا يا كرام واحذروا التخلق بأوصاف اللئام كي لا تندموا حيث لا ينفعكم الندم والأمر لله الملك العلام وقوله ﷺ ولا يخذله بضم الذال المعجمة أي لا يترك نصرته المشروعة سيما مع الاحتياج أو الاضطرار إليها لأن من حقوق أخوة الإسلام التناصر قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٢] وقال: ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ [الأنفال: ٧٢] وقال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «**وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا يقدر على أن ينصره فلم يفعل**» وقال ﷺ: «**أنصر أخاك ظالمًا**» أي بأن تكفه عن ظلمه «**أو مظلومًا**» أي بأن تدفع عنه من يظلمه فالخذلان محرم شديد التحريم وهو قسمان ديني ودنيوي فالديني أن يتركه على حالة لا يرتضيها الشرع بأن يقدر على نصحه عن غيه بنحو وعظ فيترك ولا يعظه ولا يزجره ولا يقبحه له وهو من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخذلان الدنيوي مثل أن يقدر على دفع عدو يريد أن يبطش به ولا يدفعه روى الإمام أبو داود عنه ﷺ: «**ما من امرئ مسلم يخذل امرئ مسلم في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا أخذ له الله في موضع يجب فيه نصرته**» وروى الإمام أحمد عنه ﷺ: «من **أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة**» وروى الإمام البزار «**من نصر أخاه بالغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**» إلى غير ذلك مما ورد في هذا الموضوع وقوله ﷺ: «**ولا يكذبه**» بسكون الكاف وكسر الذال مع فتح الياء وضمها أي لا ينسبه للكذب أو لا يخبره بأمر بخلاف ما هو عليه وهو حرام لأنه غش وخيانة وأشد الأشياء ضررًا كما أن الصدق أشدها نفعًا روى الإمام الترمذي وحسنه عنه ﷺ قال: « **إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به**» وبالجملة فقبح الكذب مشهور وترك الفواحش كلها بتركه وفعلها فتنبهوا واعملوا بما يقر بكم من الله تفوزوا بالفضل الكامل والخير الوافر في الورود والصدور واعلموا أن موضع الكذب من القبح كموضع الصدق من الحسن ولذا أجمعوا على تحريمه إلا لضرورة أو مصلحة وينبغي لمن اضطر إلى الكذب أو التكذيب أن يرتكب المعاريض ويلاحظها ما أمكن حتى لا يعود نفسه الكذب وفي الخبر أن في المعارض لمندوحة عن الكذب وفي الأذواق العرفانية في الأسماء الإلهية ما نصه كل ما يسمى كذبًا ظاهرًا يمكن تصديقه وتأويله بنوع من التعريض ولذلك قال ﷺ في المعاريض مندوحة عن الكذب وقاله ﷺ حتى لا تكذب أيها المؤمن أحدًا في خبره ولو استحلته لقلت هذه معارض تخلقًا بالتصديق لجميع خلق الله نظرًا للحق سبحانه فيهم والمعاريض في نفيها قد تكون خلاف الأولى في بعض المواطن كمعاريض سيدنا إبراهيم عليه السلام الحاجبة له عن الشفاعة للناس يوم القيامة كما هو مبين في حديث الشفاعة المذكور في البخاري وغيره وقد تكون هي الأولى كما كان حاله ﷺ إذا أراد أن يغزو إلى ناحية عرّض وورّى بغيرها كما ورد في الصحيح والله تعالى أعلم وسبب هذا والله

تعالى أعلم أن المعاريض لم تكن مشروعة لسيدنا إبراهيم عليه السلام بمعنى أنها كانت جائزة جوازًا هي فيه خلاف الأولى واقتضى مقامه أن لا يفعل إلا ما هو الأولى فلا يعدل عنه إلى ضده وأما في الشريعة المحمدية فإن رعاية المصلحة العامة اقتضت أن تكون أولى والله تعالى أعلم اهـ قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه والكذب خمسة أقسام واجب لإنقاذ مال مسلم أو نفسه وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ومندوب وهو الكذب للكفار أن المسلمين أخذوا في أهبة الحرب إذا قصد بذلك إرهابهم ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبًا لنفسها ومباح وهو الكذب للإصلاح بين الناس وتعقب الإمام ابن ناجي القسم الرابع بأن السنة جوزت الكذب فيه وقال قوم الكذب كله قبيح فقد سئل الإمام مالك رضي الله عنه عن الرجل يكذب زوجته وابنه تطييبًا لنفسهما فقال لا خير في الكذب ولله در القائل وأجاد:

الصـــدق في أقوالنـــا أقـــوى لنـــا		والكـــذب في أفعالنـــا أفعـــى لنـــا
فهـــم يقولـــون هـــم أشـــياخنا		فمـــا لهـــم قـــد يفعلـــوا أشـــياخنا

إلى غير ذلك مما ورد في هذا الموضوع وقوله ﷺ: «**ولا يحقره**» بفتح أوله وبالحاء المهملة والقاف المكسورة أي لا يستصغر شأنه ويضع من قدره لأن الله تعالى لما خلقه لم يحثره بل رفعه وخاطبه وكلفه فاحتقاره تجاوز لحد الربوبية في الكبرياء وهو ذنب عظيم ومن ثم قال ﷺ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» كما يأتي فالاحتقار ناشئ عن الكبر لخبر مسلم الكبر بطر الحق وغمص الناس وبطر الحق بفتح الباء والطاء أي التكبر عنه وعدم قبوله كما في القاموس وغمص الناس بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وتفتح احتقارهم واستصغارهم والتهاون بحقهم كما في القاموس أيضًا قال الإمام عياض رضي الله عنه وروى يحقره بياء مضمومة فمعجمة ساكنة ففاء مكسورة أي لا يغدر عهده ولا ينقض أمانته والصواب المعروف هو الأول وهو الموجود في غير كتاب مسلم ويؤيده رواية لا يحتقره الحاصل أنه يستفاد من معنى هذه الجمل أن من حق الإسلام وأخوته أن لا يظلم المسلم أخاه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره وللإسلام حقوق أخرى ذكرت في غير هذا الحديث وتقدم بعضها وقد جمعت في قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا للاختصاص به من كل وجه لأن الذمي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بنحو ترك دفع عدو عنه والكذب عليه واحتقاره نعم احتقاره من حيث الكفر القائم جائز قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨] اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا واستعملنا في مرضاتك آمين وقوله ﷺ: «**التقوى هاهنا**» أي محل سببها الذي هو الخوف الحامل عليها القلب الذي في الصدر لا حقيقتها الذي هو الاتقاء من العذاب بفعل المأمور واجتناب المحظور ويصح أن يراد بالتقوى هنا الإخلاص كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] فلا عبرة بظواهر الصور ومن ثم قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى**

قلوبكم» أي أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته فمن ثم كان نظر الله سبحانه وتعالى بمعنى مجازاته ومحاسبته على ما في القلب من خير وشر دون الصور الظاهرة إذ الاعتبار في هذا كله بالقلب كما يفيده قوله ﷺ «**ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا سدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» وقال بعض الكبار ذرة من أعمال القلوب خير من أمثال الجبال من أعمال الظاهر وإلى هذا والله أعلم الإشارة بقوله عليه السلام ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن فضلكم بشيء وقر في صدره أو كما قال وقيل أنه ليس بحديث وإنما هو من كلام بعض الصحابة رضي الله عنهم والله تعالى أعلم ووقر بالبناء للفاعل بمعنى ثبت وسكن واستقر ووجه مناسبة قوله ﷺ التقوى هاهنا لما قبله الإعلام بأن كرم الخلق عند الله إنما هو بالتقوى حسبما تقدم قريبًا لدى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] فرب حقير أكرم قدرًا عند الله عز وجل من كثير من عظماء الدنيا وفي الحديث رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره أي لأبر قسمه وأوقع مطلوبه إكرامًا له وصونًا ليمينه عن الحنث العظيم منزلته عنده ولأن الانكسار ورثاثة الحال والهيئة من أعظم أسباب الإجابة ظهرنا الله تعالى من كل وصف حاجب عنه تعالى بمنه وكرمه آمين وروى الإمام البخاري رضي الله عنه مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا قال رجل من أشراف الناس هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له ﷺ ما رأيك في هذا قال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري أن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذاك ولله در الإمام ابن الوردي إذ يقول:

خــذ بجـد السـيف واتـرك غمـده		واعتــبر فضــل الفــتى دون الحلــل
لا يضـــر الفضـــل إقـــلال كمـــا		لا يضـر الشـمس إطبـاق الطفـل

أي خذ بكمال الحزم والعزم في مراقبة حسن بواطن الرجال المستغاث بهم في الحال والمآل وإياك والوقوف مع خراب ظواهرهم من الميل إلى مستلذات الدنيا فيفوتك اللحاق بأهل المراتب العليا وقد تقرر عند أهل الصواب الذين كشف اله عن قلوبهم الحجاب أن من كان ظاهره عمارة أي بتشييد مار حسه بمتابعة هوى نفسه ومخالفته لما أمر به مما ينفعه عند حلول رمسه كان باطنه خربًا أي خاليًا من سر الله وفتحه وكشف حجاب البين عنه وغير ذلك مما ابتلي به من أسباب تعسه ومن كان باطنه عمارة أي بمشاهدة حضرة قدسه وكمال معرفته وأنسه في معناه وحسه برضا ربه وعطفة سيد جنه وأنسه كان ظاهره خرابًا أي لعدم مبالاته بشدة اعتنائه بالوقوف مع التأنق في مأكله ومشربه ومنكحه وملبسه وخصوصًا في حال البدايات التي لا يليق بها إلا كمال التخلي في سائر الحالات حسبما هو وصف أهل المحبة المتحفين بسر الوصلة والاصطفائية والقربة ولله در القائل فيهم:

أهــل المحبــة بالمحبــوب قــد شــغلوا	وفي محبتـــه أرواحهـــم بـــذلوا
وخربــوا كــل مــا يفــنى وقــد عمــروا	مـا كـان يبقـى فيـا حسـن الـذي عملـوا
لم تلههـــم زينـــة الـــدنيا وزخرفهـــا	ولا جناهـــا ولا حلـــى ولا حلـــل
هاموا على الكون من وجد ومن طرب	ومـــا اســـتقل بهـــم ربـــع ولا طلـــل
داعـــي التشـــوق ناداهـــم وأقلقهـــم	فكيــف يهــدوا ونار الشــوق تشــتعل
مــن أول الليــل قــد ســارت عــزائمهم	وفي خيــام حمــى المحبــوب قــد نزلــوا
وافــت لهــم خلــع التشــريف يحملهــا	عـرف النسـيم الـذي مـن نشـره ثملـوا
هـــم الأحبـــة أدناهـــم لأنهـــم	عـن خدمـة الصـمد المحبوب مـا غفلـوا
سبحان من خصهم بالقرب حين قضوا	في حبــه وعلــى مقصــودهم حصــلوا

وفي الحديث تعس عبد الخميصة وفي الحكم ما أحببت شيئًا إلا كنت له عبدًا وهو لا يرضى أن تكون لغيره عبدًا والمجال هنا واسع وفيما رمز إليه كفاية لأهل القلب الخاضع الخاشع الحاصل أنه ينبغي للعاقل الموفق أن لا ينظر إلى الحلل أي الملابس الفاخرة على شخص جاهل ويقف مع ذلك ويزدري بمن سواه من أهل الفضل والعلم لأن ذلك افتخار دنيوي لا طائل تحته منهي عنه بخلاف لباس العلم والتقوى والافتخار الرباني فإنه أخروي مأمور به ففي الحديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم أي من لم يعد وير أن نعمة الله عليه بالعلم عظيمة لقوله تعالى: ﴿ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦] يحكى أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما نظر إلى أبي أوس العذري الخطيب وازدراه فتبين لابن أوس ذلك في وجهه فقال يا أمير المؤمنين أن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها وكمال الرجل أدبه لا ثيابه وقد قيل ثيابك ترفعك قبل جلوسك وعلمك يرفعك بعد جلوسك يحكى أن بعض الأعراب أراد مخاطبة إنسان فازدراه الرجل لخسة حاله ورثاثة هيئته وأبى أن يكلمه فقال ما بالكم يا عبيد الثياب وأشباه الكلاب حقرتموني لاطماري ولم تسألوني عن مكنون أخباري ثم أنشد يقول:

المـــرء يعجبـــني ومـــا كلمتـــه		ويقـــال لي هـــذا اللبيـــب اللهـــذم
فـــإذا قـــدحت زناده ورويتـــه		بالنقـــد زاف كمـــا يزيـــف الـــدرهم

والمجال في هذا واسع وفيما ذكر كفاية وبالله التوفيق واعلم أن التقوى مصدر اتقى والتقى هو الذي يجعل بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه ومنه اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة والمتقي شرعًا هو الذي يجعل بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية الطاعة كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه في تفسير التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل فإذن أصل التقوى الخوف والخوف ينشأ عن المعرفة بجلال الله تعالى وعظيم سطوته وعقابه والخوف والمعرفة محلهما القلب والقلب

محله الصدر فذلك أشار ﷺ إلى صدره وقال التقوى هاهنا كما نقل عن الإمام القرطبي ﵀ وقال بعض مشايخنا قدس الله أرواحهم التقوى مراتب أقصاها أن تجعل الحق وقاية بينك وبين سائر الموجودات بحيث لا يقع بصرك على شيء سواه رؤية علم وشهود لا رؤية جهة وحدود تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا اهـ وأشار بهذا إلى ما ذكره القاضي البيضاوي ﵀ أول تفسير لدى قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] ونصه المتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الأولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبرئ عن الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ [الفتح: ٢٦] والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعنى بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ [الأعراف: ٩٦] والثالثة أن ينزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشراشره يعني بكليته ونفسه حرصًا ومحبة ثم قال وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] اهـ وقال المفسر الأكبر العلم الأشهر أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي المزيد في يوم الخميس تاسع رب يع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة المتوفى شهيدًا يوم الكائنة بطريف في عام أحد وأربعين وسبعمائة رحمه الله في تفسيره العجيب المسمى بالتسهيل لعلوم التنزيل في الآية المتقدمة ما نصه نتكلم على التقوى في ثلاثة فصول الأول في فضائله المستنبطة من القرآن وهي خمس عشرة الهدى لقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] والنصرة لقوله: ﴿ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤] والولاية لقوله: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩] والمحبة لقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤] والمعرفة لقوله: ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [الأنفال: ٢٩] والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾ [الطلاق: ٢] الآية وتيسير الأمور لقوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ [الطلاق: ٤] وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾ [الطلاق: ٥] وتقبل الأعمال لقوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] والفلاح لقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩] والبشرى لقوله: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٤] ودخول الجنة لقوله: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [القلم: ٣٤] والنجاة من النار لقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [مريم: ٧٢] الفصل الثاني البواعث على التقوى عشرة خوف العقاب الدنيوي وخوف العقاب الأخروي ورجاء الثواب الدنيوي ورجاء الثواب الأخروي وخوف الحساب والحياء من نظر الله وهو مقام المراقبة والشكر على نعمه بطاعته والعلم لقوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة وصدق المحبة فيه لقوله القائل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... أن المحب لمن يحب مطيع

ولله در القائل:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث درجات التقوى خمس أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام وأن يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام التوبة وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد وأن يتقي خطور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة اهـ والمجال في هذا المبحث واسع وفيما رمزنا إليه هنا كفاية لأهل التوفيق جعلنا الله منهم وقد بسطنا الكلام عليه بأكثر من هذا في رسالتنا طالع السعد فيمن تكلم في المهد فليراجع هناك وللشيخ الإمام الجهبذ الهمام سيدي محمد مصطفى الملقب ماء العينين ﷺ تأليف عجيب مختصر مصيب في هذا الموضوع سماه سهل المرتقي في الحث على التقى في نحو ثلاث كراسات وقد طبع بالمطبعة الفاسية فمن أراده فليطلبه حيث يوجد بفضل الواحد الأحد وقوله بشير أي رسول الله ﷺ إلى صدره ثلاث مرات هو من كلام الراوي وقوله ﷺ بحسب بإسكان السين مبتدأ والباء فيه صلة امرئ من الشر أي كافيه منه أي من الشر في أخلاقه ومعاشه ومعاده أن يحقر أخاه المسلم خبر بحسب الخ والمسلم بالنصب صفة لأخاه وكرره لتأكيد حرمة المسلم ففيه تحذير أي تحذير من احتقار لما مر أن الله تعالى لم يحتقره إذ أحسن تقويم خلقه وسخر ما في السموات والأرض كله لأجله ومشاركة غيره له فيه إنما هي بطريق التبع وسماه مساما ومؤمنا وعبدا وجعل الأنبياء الذين هم أفضل المخلوقات من جنسه فكان احتقاره احتقارًا لما عظمه الله وشرفه والتطاول عليه تطاولاً عليه وذلك عين الكبر المزحزح عن حضرة الخير الموقع في مهواة التلف والشر وهو من أعظم الذنوب والجرائم المحرمة إجماعًا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣] وفي الحديث القدسي الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار وقال ﷺ لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تنبيه ليس من الكبر تقديم العالم على الجاهل والعدل على الفاسق لأنه ليس لذات المسلم بل لوصفه المذموم حتى لو زال عنه عاد إليه التعظيم والإجلال والاعتناء به والاحتفال كما سيأتي قريبًا وعن سيدنا محمد الباقر ﷺ أنه قال لولده يا بني إن الله خبأ ثلاثة في ثلاثة خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعات شيئًا فلعل رضاه فيه وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئًا فلعل سخطه فيه وخبأ أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحدًا فعله ذلك الولي وقال الشيخ أبو يزيد مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعًا قال إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالاً وقيل من رأى أن في الناس من هو شر منه فهو شر الناس وأهل التحقيق لا يرون لأنفسهم فضلاً عن الغير ولو كافرًا لأن القلوب بيد الله والخاتمة مغيبة ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] وإلى ذلك أشار الإمام الشريشي ﷺ في رائيته بقوله:

ولا تـرين في الأرض دونـك مؤمنـا		ولا كـافرًا حـتى تغيـب في القـبر

فـــإن ختـــام الأمـــر عنـــك مغيـــب		ومـن لـيس ذا خسـر يخـاف مـن المكـر

ولا ينافي ذلك ما ورد في الشرع من ترك ابتداء الكفار بالسلام وترك التنحي لهم عن الطريق الواسع إلى الضيق وإهانتهم عند أخذ الجزية منهم لأن الإهانة في الظاهر للمصلحة لا تستلزم التكبر في الباطن وكذا يقال في أهل الفسوق والمعاصي كما تقدم في التنبيه قبل ولذا قال الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ من نظر إلى الخلق بعين الحقيقة عذرهم ومن نظر إليهم بعين الشريعة مقتهم فالكامل في المعرفة بالله لا يحجب بالحقيقة عن الشريعة أو تقول بالجمع عن الفرق أو تقول بالباطن عن الظاهر وبالعكس ولذا قال الشيخ أبو الحسن ﷺ أهجرهم رحمة لهم لا تعزز عليهم اهـ وعلى الإعراض في الظاهر فقط دون التكبر باطنًا واعتقادًا يحمل ما ورد التكبر على المتكبرين تواضع وقول الإمام المحلي ﷺ:

لم ألـــق مســـتكبرًا ألا تحـــول لي		عنـد لقـائي لـه الكـبر الـذي فيـه
ولا حـــلالي مـــن الـــدنيا وزينتهـــا		إلا مقـــابلتي للتيـــــه بالتيــــــه

ولأجل قوله ﷺ لم ألق مستكبرًا البيت ورد النهي عن مخالطة المتكبرين من أهل الدنيا الحسية والمعنوية وحذر أهل الله من مجالسهم وذكروا أن مجالستهم تقسي القلب وتحجبه عن حضرة الرب والعياذ بالله إذ المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل كما ورد والطبع يسرق الطبع اللهم إلا إذا كان المجالس والمخالط كسرا كامل المعرفة بالله وكان قصده جمعية قلوب أهل التلف على الله بكمال السياسة المحمدية النورانية وجلبها إلى ما ينفعها في دنياها وأخراها فذلك أمر محمود ولأربابه مسلم في الصدور والورود كما نص عليه أهل العيان والشهود وقالوا قولاً ليس له عن طريق الصواب صارف لا يصلح لمجالسة التالف لا العارف البصير بدسائس النفوس وغوائلها ومخادعها وغير ذلك من المخاوف أجارنا الله من الوقوع فيها بجاه روح الكائنات بأسرها آمين واعلم أن احتقار المسلمين وخصوصًا أهل العلم والنسبة ناشئ عن الكبر كما تقدم والكبر ناشئ عن الجهل بنوعيه البسيط والمركب والجهل والرضا به ناشئ عن شهود المزية للنفس الأمارة وشهود المزية أعظم أسباب الخسارة والرزية وبه تعظم على المبتلى به المحنة والبلية وهو وصف إبليس الذي زل به وضل وإلى مهواة الذل والهوان والتلف أخلد ونزل وذلك من عدم صحبة أهل الأحوال المرضية المخصوصين بسر الاجتباء والاصطفاء والوصلة والقربة المتحفين بكمال التوجه إلى حضرة الله وحضرة خير البرية المشمرين عن ساعد الجد والاجتهاد في الخدمة تعبد الله القائلين بلسان الحال والمقال ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] كما أشار إليه من قال:

أفـــادتكم النعمـــاء مـــني ثلاثـــة		يـــدي ولســـاني والضـــمير المحجبـــا

جعلنا الله منهم بمنه وثبت أقدامنا في بابه ولا طردنا عن على جنابه بسر عنايته وفضله آمين وقد بسطنا الكلام على هذا المبحث بما لابد منه مما يشفي أهل التوفيق لطلب التداوي بفضل الركن الشديد الذي

إليه كل لبيب يأوي أول الجزء الثاني من طبقاتنا في ترجمة العارف بالله تعالى شيخنا سيدي عبد السلام بن محمد بناني نفعنا الله والأحباب به آمين فمن أراده فليراجعه هناك وبالله التوفيق وقوله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام**» هذا هو المقصد الأعلى من هذا الحديث وما سبق كالتمهيد له يعني أن المسلم معتصم بحرمة الإسلام ممتنع به ممن أراده يقال حرم الرجل إذا اعتصم بحرمة تمنع عنه وقوله ﷺ دمه بدل بعض من كل وماله أي الذي خصه الله به وجعله ملكًا له فلا يحل أخذه إلا بحقه قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم ﴾ [النساء: ٢٩] الآية أخرج الإمام ابن حبان في صحيحه عن ابن حميد الساعدي لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه وأخذ بعض الصحابة حبل آخر ففزع فقال ﷺ لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا رواه أبو داود وروى أحمد وغيره لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبا جادا أي لا يأخذ متاعه ليغيظه لأنه حينئذ وإن كان لاعبا في مذهب السرقة هو جاد في إدخال الأذى والروع عليه وقال ﷺ لا يحل لامرئ مسلم من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس وحرمة أخذ مال المسلم مخصوص بغير الحقوق الواجبة شرعًا كما تقدم في قولنا إلا بحقه كنفقة الأولاد والأبوين المعسرين والمواساة الواجبة من زكاة أو فضلة طعام أو شراب أو لباس لمضطر ولا ثمن معه وإن وجد معه الثمن أجبر الآخر على البيع له فهو أيضًا مما يستثنى من قوله إلا ما أعطاه عن طيب نفس وكذا يستثنى من يجبر على البيع لتوسيع مسجد أو طريق المسلمين أو لامتناعه من الإصلاح مع شريكه فيما لا ينقسم ونحو ذلك وعرضه بكسر العين وسكون الراء أي حبسه وهو مفاخرة آبائه وحرمة العرض هي حرمة التنقيص والحط من مروءة المسلم بغيبة أو نميمة وقد تقدم بعض ما يتعلق بالغيبة أجارنا الله منها لدى قوله ﷺ ولا تدابروا ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد لا يؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله ﷻ عورته حتى يفضحه في بيته وفي الصحيحين وغيرهما لا يتناجى اثنان دون الثالث فإنه يحزنه وفي رواية فإن ذلك يؤذي المؤمن والله يكره أذى المؤمن حكاية عجيبة منبهة أهل القلوب المنيبة ذكر أن فقيهًا من الفقهاء كان في مدرسة مع تلامذته فدخلت عليه امرأة وقالت أيد الله الشيخ لي مسألة لا أجترئ أن أسألكها حياء منك لعظم الإثم وصعوبة الحال فقال لها سلي ولا تستحي من العلم قالت كنت نائمة ليلة من الليالي فجاءني ابني سكران فواقعني فحملت منه وولدت ولدًا فتعجب القوم من ذلك فقال الفقيه أفتعجبون من ذلك وهذا أخف وأحب إلي من الغيبة فإن صاحب الزنا إذا تاب تاب الله عليه وصاحب الغيبة إذا تاب لم يتب الله عليه حتى يرضى عنه خصمه قال بعض الكبار وفي قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات: ١١] الآية دقيقة وهي أن المؤمنين كلهم بمنزلة البدن الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله فمن عاب غيره فكأنما عاب نفسه اهـ وفي روح البيان لدى قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾ [الأحزاب: ٥٨] ما نصه واعلم أن أذى المؤمنين قرن بأذى الرسول ﷺ كما أن أذى الرسول قرن بأذى الله ففيه إشارة إلى أن من آذى المؤمنين

كان كمن آذى الرسول ومن آذى الرسول كان كمن آذى الله تعالى فكما أن المؤذي لله وللرسول مستحق الطرد واللعن في الدنيا والآخرة فكذا المؤذي للمؤمن روي أن رجلاً شتم علقمة ﷺ فقرأ هذه الآية وعن عبد الرحمن ابن سمرة ﷺ قال خرج النبي ﷺ على أصحابه فقال رأيت الليلة عجبا رأيت رجالاً يعلقون بألسنتهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا وفي الحديث القدسي من آذى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة ثم قال روي أن ابن عمر رضي الله عنهما نظر يومًا إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك وأوحى الله إلى موسى عليه السلام لو يعلم الخلق إكرامي الفقراء في مجلى قدسي ودار كرامتي للحسوا أقدامهم وصاروا ترابًا يمشون عليهم فوعزتي ومجدي وعلوي وارتفاع مكاني لأسفرن لهم عن وجهي الكريم وأعتذر إليهم بنفسي واجعل شافعتهم لمن برهم في أو آواهم في ولو كان عشارًا وعزتي ولا أعز مني وجلالي ولا أجل مني إني أطلب ثأرهم ممن عاداهم حتى أهلكه في الهالكين ثم قال قال فضيل رحمه الله والله لا يحل لك أن تؤذي كلبًا ولا خنزيرًا بغير ذنب فكيف أن تؤذي مسلمًا وفي الحديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويداه بأن لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم وأموالهم وأعراضهم قدم اللسان في الذكر لأن التعرض به أسرع وقوعًا وأكثر وخصص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال يكون بها اهـ فتنبهوا يا إخوان وأيقظوا أنفسكم من سنة الغفلة وسكرة العصيان وطهروا ألسنتكم من الوقيعة في عرض الأخدان فإننا كما قال بعض الكبار الأعيان عليه رحمه الملك الديان في زمان إذا اجتمع فيه جماعة قلما يتذاكرون فيه العلوم الدينية والحكم والمواعظ وأحوال الآخرة بل أكثر حديثهم الغيبة والتملق والنفاق ومدح أنفسهم وجلسائهم بما ليس فيهم وذكر أحوال الدنيا والبحث عن أخبار أهلها والتفحص عما لا يلزمهم ولا يعنيهم في دينهم بل يضرهم نسأل الله تعالى العفو عنا أجمعين آمين ويجب علينا أن صدرت منا غيبة أحد في مجلس عياذا بالله أن نستغفر الله تعالى ونتوب إليه قبل القيام من المجلس عسى أن يغفر الله تعالى لنا ويرضى عنا خصمنا يوم القيامة لقوله ﷺ إذا ذكر أحدكم أخاه المسلم بالسوء فليستغفر الله تعالى فإنه كفارته والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهذا أعني قوله ﷺ كل المسلم الخ كقوله ﷺ في خطبة حجة الوداع يوم النحر فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أخرجه الإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهما ﷺ وكلا الحديثين من العام المخصوص فكأنه قيل لا أن يعرض ما يبيح ذلك شرعًا كما تقدم في العرض والمال قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال ﷺ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه الشيخان وفيه بيان الحق المستثنى في الآية وأخرج الشيخان أيضًا أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ويزاد على الثلاث ترك الصلاة إلى أن يبقى من الضروري قدر ركعة بسجدتها بعد الطهر على المشهور من أنه حد لا كفر كما أشار إليه

الشيخ خليل بقوله ومن ترك فرضًا أخر الخ ويستثنى من الدماء أيضًا قطع السارق والمحارب هذا وفي جعله ﷺ وآله وسلم هذه الثلاثة كل المسلم وحقيقته إشارة وتنبيه على شدة اضطراره إليها أما الدم فلأن به حياته ومادته والمال فهو مادة الحياة والعرض به قيام صورته المعنوية واقتصر صلى الله عليه وآله وسلم عليها لأن ما سواها فرع عنها وراجع إليها لأنه إذا قامت الصورة البدنية والمعنوية فلا حاجة إلى غير ذلك وقيامها بتلك الثلاثة لا غير وفي ذلك أيضًا إشارة إلى أن الظاهر روح الباطن والباطن سر الظاهر وأن الشريعة عين الحقيقة والحقيقة لب الشريعة وأنهما شمسان مطلعهما واحد وأن ما يتوصل به إلى القيام بالحق حق وأن الحاجة ليست من الدنيا إلى غير ذلك من الإشارات والدقائق العليا والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب هذا آخر ما يسر الله كتبه بتوفيق الله وإلهامه في هذه الورقات من فيض بحر علم هذا الحديث العظيم الكثير الفوائد الوافر العوائد المشير إلى جل المبادئ والمقاصد بل هو كما قال بعض الكبار عند تأمل معناه حاويًا لجميع أحكام الإسلام مفهومًا ومنطوقًا ومشتمل على جميع الآداب أيضًا إيماء وتحقيقًا فلذا بنينا بتوفيق الله مذاكرة هذا التقييد على أساسه وشيدنا بمنة الله منارها على أعمدة اقتباسه كي يزول عن حسن محياها غبار المكابرة والإبهام ولا يبقى في فهمها إشكال المخاطرة والمعارضة بفضل الملك العلام وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب في الرحيل والمقام الحاصل قد علم مما تقرر في هذا الحديث العظيم وما تقدم قبل من المذاكرات بفضل السميع العليم أن مراد الله ورسوله منا معشر أهل الإسلام عمومًا وأهل النسبة خصوصًا هو الائتلاف والتعاون على ما يقوينا في شريعة السير والسلوك إلى الله تعالى وأن نكون فيه يدًا واحدة لتحصل لنا الإعانة الدالة على سابقية السعادة وغير خفي أن يد الله مع الجماعة وبذلك نظفر أيضًا بمنة الله بالنصر ونأمن بفضل الله من الخذلان والقهر وجماع هذه الخصلة الحميدة القول باتحاد طرق أهل الله واعتقاد أنها في نفسها طريق واحدة باعتبار أصلها وإن تعددت فروعها إذ الماء واحد والزهر ألوان وبذلك أيضًا يعظم البعض البعض ويوقره وبالخير في المشهد والمغيب يذكره حسبما هو مذهب الكبراء المعتبرين المفتوح عليهم من طوائف أهل الله شرقًا وغربًا قديمًا وحديثًا وأما ما تظاهر به بعض المنتمين صورة إلى بعض الطوائف المحدثة من الاختلاف والقول بتباين الطرق والازدراء بالمنتمين إلى غير طريقهم والنظر إليهم بعين السخط والتحقير والتفوه بما يناسب ذلك من المقالات البشيعة المؤذنة بالتحاسد والتنافر والتباغض والتدابر والاختلاف وغير ذلك من الأوصاف التي لا يرضاها الله والرسول لمطلق المسلمين فأحرى خاصتهم فأحرى أهل الانتساب منهم والأمر لله العلي الكبير فذلك أمر مخالف للشريعة والطريقة والحقيقة وحالة لا تسلم للمتصفين بها بداية ووسطًا ونهاية بإجماع أهل الآراء المصيبة إذ دلالتها على حجب القلوب وبعدها عن حضرة الله جلية وعن عقول أهل العلم والدين والصلاح والنسبة الحقيقية غير خفية ذكر الإمام الشعراني في طبقاته في ترجمة الشيخ الأكبر العارف الأشهر سيدي أبي عبد الله القرشي أنه كان ؓ يعظم الفقراء أشد التعظيم ويقول أنهم انتسبوا إلى الله تعالى ويقول احتقار الفقراء سبب لارتكاب الرذائل وكان يقول

من غض من عارف بالله أو ولي لله ضرب في قلبه ولا يموت حتى يفسد معتقده اهـ نسأل الله السلامة والعافية ولاشك أن إذاية الفقراء إذاية للمشايخ أولياء الله الدالين على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد قال الإمام الشعراني أيضًا في مننه ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على محبتي لكل من انتسب إلى هذه الطائفة وكذلك محبة أصحابي لهم فلا نكره بحمد الله تعالى أحدًا منهم ولا من جماعة أحد من أشياخ عصرنا وهذا الخلق قليل في غالب فقراء الزمان فترى أحدهم يكره من يراه من جماعة أحد من الأشياخ غير شيخه وينظر أحدهم إلى أخيه شزرًا واحتقارًا كأنه في دين غير دينه ويود أن لا يظهر لغير شيخه اسم في البلد وذلك كله من رعونات النفس ودليل على عدم ذوق أحد منهم رائحة أدب أهل الطريق ومثل هؤلاء ولو صام أحدهم وصلى واختلى لا ينتج له حال أبد البقاء رعونات نفوسهم وسمعت سيدي عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول من علامة انتفاع المريد بصحبة شيخه نأن يفارقه ونفسه ميتة وأعضاؤه ذابلة كأنه خرج من اللحد بعد الموت وعلامة مقته أن يفارقه ومعه رعونة نفس ويصير يزن على الفقراء بالميزان الجائر فلا يكاد يعجبه أحد اهـ فاعلم ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين اهـ وقال أيضًا ﷺ فيها ما نصه ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ عدم عداوتي لأحد من مشايخ عصري الذين هم أقران لمشايخي فكما أعتقد شيخي وأؤمن بصحة طريقه فكذلك أعتقد صلاحهم وأؤمن بطريقهم وإنما خصصت شيخي بكثرة الاجتماع به لكون نصيبي في الطريق جعله الله تعالى على يديه دونهم كما أن من يكون بينك وبينه معاملة في الدنيا وكثرة أخذ وعطاء تكون مجالستك له أكثر وهذا أمر مستمر في سائر الأعصار من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا ثم أن هذا الخلق قليل من المريدين من يتخلق به بل رأيت بعضهم يحط على أقران شيخه وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من اعتقد أنه ينال حظًا من الله تعالى بقرابته من أولياء الله مع عدم صلاحه ومخالفته لطريقهم في الصفاء والمحبة مع بعضهم بعضًا ومع كثرة إساءته مع أحد منهم فقد كذب في زعمه فكما أنه يجب محبة الرسل كلهم وإن اختلفت شرائعهم فكذلك الأولياء تحب محبتهم كلهم وإن اختلفت طرقهم كما أن من آمن بالأنبياء والمرسلين إلا واحدًا منهم لم يصح إيمانه فكذلك من اعتقد أولياء الله كلهم إلا واحدًا بغير عذر شرعي لا تصح محبته ولا يفيده ذلك الاعتقاد شيئًا وذلك لأن الرسالة واحدة لا تتبعض كما هو الأمر في التوحيد فإنه لا يقبل الاشتراك وطريق الولاية التي يأمر بها الأولياء مريديهم هي طريق الرسالة التي يأمر بها الرسل أممهم فإنهم لا يدعون الناس إلا بما دعت به الأنبياء أممهم وليس عند الأولياء تشريع من قبل أنفسهم فجميع ما يدعون به الناس إنما هم نواب فيه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمن كفر بهم أي قال ليس لله أولياء فقد كفر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين أثبتوهم ومن رد دعوة ولي فقد رد دعوة نبي وذلك كفر فتنبه يا أخي لنفسك وإياك والحط على أحد من أقران شيخك ولو في نفسك فقد يكون ذلك كفرًا لأن مواضع الإيمان القلب لا اللسان ومن أنكر على ولي بباطنه ومدحه بلسانه فهو منافق خالص والمنافق لا يجئ منه شيء في الطريق أبدًا لأن مبتدأ الطريق مقام الإحسان وهذا لم يصح له

مقام الإسلام فافهم وكان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لمريدي هذا العصر إياكم أن تكفروا بطريق غير شيخكم من الأولياء من غير مسوغ شرعي فتمقتوا فإن كل ولي مؤمن بكل ولي كما أن كل نبي مؤمن بكل نبي فمن جحد منهم واحدًا من غير مسوغ شرعي كان جاحدًا للجميع ومن آذى منهم واحدًا فقد آذى الجميع ومن كذب منهم واحدًا فقد كذب الجميع وبارز الله بالمحاربة وكلامنا إنما هو في المقطوع بولايته فإنه حينئذ مقطوع بمشروعية ما يدعو إليه حال ولايته وسمعته مرات يقول لو أن إنسانًا أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى إلا واحدًا منهم بغير عذر مقبول عند الله تعالى فضلاً عن كونه يؤذيه لم ينفعه حسن ذلك الظن عند الله تعالى وإن جازاه تعالى عن حسن ظنه فلا يجاز به بذلك إلا أن كان خاليًا من الشوائب وأني له بذلك إذ لو كان ذلك حقيقة لما أساء الظن بواحد منهم بغير عذر شرعي إذ الولاية في نفسها واحدة وإن اختلفت طرق السالكين كما مر قريبًا فإنها متلازمة ولذلك لا تجد وليًا حقًا له قدم الولاية إلا وهو مؤمن مصدق لجميع أقرانه من الأولياء لم يختلف في ذلك اثنان كما لم يختلف قط نبيان في الله ﷻ فالمحبون لله تعالى كلهم كالواحد كما أن المحبوب واحد فمن آذى لله وليًا فقد خرج من دائرة الشريعة نسأل الله تعالى العافية فاعلم ذلك وإياك وما يعتذر منه ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين اهـ كلام الشعراني رحمه الله وفي مقدمة مولدنا عقب سوقنا هذا الكلام ما نصه واعلموا إخواني وفقكم الله أن الولاية عند سادتنا الصوفية ﷺ وجعلنا منهم قطعية في كل فرد من أفرادها حسبما تعطيه فراستهم وكمال نورانيتهم التي خصهم الله بها

قلـــوب العـــارفين لهـــا عيـــون		تـــرى مـــا لا يـــرى للنـــاظرين

وعند سادتنا الفقهاء ﷺ ظنية في غير سيدنا أويس القرني ﷺ ومن أخبر الشارع ﷺ بنجاتهم وكمال سعادتهم أو تحقق نفع الخاصة والعامة بهم في الأمور الدينية بفضل الله تعالى وعطفه خير البرية حسبما نص عليه فحول العلماء في الملة الإسلامية والولي كما قال الأكابر عليهم رحمة الملك القادر هو الذي والى طاعة الله ظاهرًا وباطنًا وكان بها في سره وجهره معلنًا عملاً بقوله الله تعالى في محكم الكتاب: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ [الشرح: ٧] أي إذا فرغت من عبادة فاتعب في أخرى كما قاله بعض الأفاضل عليه رحمة الكريم الوهاب وبالتحقيق بما ذكر يحصل القرب من حضرة الله وتتحقق أمارات سابق فضل الله وكمال اصطفائه واجتبائه الذي هو أكسير ولاية الله كما قيل:

ثم الـــولي مـــؤمن قـــد قـــربا		مـــن ربـــه قـــرب اصـــطفاء واجتبـــا

وفي مدارج السلوك لوالدنا جدد الله عليه سحائب الرحمات وأسكنه بمنه فسيح الجنات ما نصه ولقد تجاريت المذاكرة مع بعض السواح من أهل اليمن التقيت به على ساحل البحر الأعظم فقال لي ما حقيقة الولي فقلت له بالذي حضر في الوقت الولي حقيقته في لفظه لا غير فقال لي أحب بسط المعنى فقلت له الولي الحقيقي هو الذي استولى على جميع الأحوال والمقامات حتى كانت له الحيطة على جميع

التلوينات يأخذ النصيب من كل شيء ولا يؤخذ منه شيء يدخل حيث يشاء ويخرج حيث يشاء وكيف يشاء هذا هو الولي قال الله العظيم: ﴿ فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩] فقال لي والسرور عليه يلوح صدقت ومن قال بهذا قلت هذا قول جديد وعن قصد العقول بعيد أما تراني على ساحل البحر الأعظم فضحك وقال لي صدقت ثم انصرف ولم يكن لي تدبير في هذا الجواب وإنما هو شيء فتح به الملك الوهاب فالولي يا فقيه معروف وبعدم الوصف موصوف ولا يعرف الولي والولاية إلا من كان لابسًا لحلتها ولولا أن رسول الله ﷺ نهى عن إفشاء سرها لشرحنا لك حالها وعرفناك كيفية دوران فلكها على نقطة الخصوصية أمكن لما كان سرها مكتومًا في خزائن الغيرة وسرادق القدر حائط به وجب علينا أن نسكت عما سكت عنه الشرع اهـ المراد من كلام مولانا قدس سره اللهم أكرمنا بما أكرمت به خاصة أوليائك وأصفيائك وارزقنا محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم وحسن الظن بهم وبكل من انتمى إليهم واسلك بنا أحسن المسالك وافعل ذلك بسائر الأحباب إنك كريم وهاب آمين اهـ كلامنا في المولد المبارك ولله در الشيخ الإمام الجهبذ الهمام حامل لواء المذهبين أبي عبد الله سيدي محمد مصطفى الملقب ماء العينين إذ يقول في رجز له في هذا الموضوع المضطر إلى بسط الكلام فيه كل نصوح ذي قلب خضوع خشوع

إني مخـــاز لجميـــع الطـــرق	إخـــوة الإيمـــان عنـــد المتقـــي
ولا أفـــــرق للأوليـــــاء	كمـــــن يفـــرق للأنبيـــاء
قـــال تعـــالى المؤمنـــون إخـــوة	وعـــدم التفريـــق فيـــه أســـوة
لأفضـــل الخلـــق بعكـــس التفريـــق	ففيـــه أســـوة لكـــل زنـــديق
مـــن اليهـــود والنصـــار لعنـــوا	عنـــد الـــذي بربـــه قـــد يـــؤمن
وانظـــر هـــذا الطريـــق والمنتهـــى	تعلـــم مـــا قلـــت بمـــا قـــد يشـــتهى
وذاك أن كلهـــم لـــك يقـــول	عليـــك بإتبـــاع فعـــل ذا الرســـول
عليـــه أفضـــل الصـــلاة والســـلام	وهكـــذا تتبـــع منـــه للكـــلام
ومســـتحيل أن يقـــول اتبعـــا	منـــه لـــذا وذالـــه لا تتبعـــا
وذا الـــذي يقـــول ذا أشـــد مـــن	تفرقـــة الرســـل فـــافهم يا فطـــن
لأن ذاك بـــين قـــوم فرقـــا	ورام ذا تفريـــق شـــخص حققـــا
وهـــو عليـــه الله صـــلى أمـــرا	بالـــذكر والتقـــى وإخـــلاص جـــرى
ولم يقـــل لـــك بـــذا الـــذكر اذكـــرا	وذلـــك الـــذكر بـــه لا تـــذكرا
ولـــو إليـــه كلهـــم قـــد رفعـــا	طريقـــه ونورهـــا قـــد ســـطعا
لكنـــه لم يـــرو أنـــه نهـــى	عـــن غيرهـــا فخـــذ لحـــق قـــد بهـــا

وانظـر لمـا قـد قالـه الشـعراني في ظـاهر وهكـذا يا فـاني

بـل باطـن أشـد إذ هـو شـهود تفـرد الله بكـل مـا وجـود

وذاك يسـتحيل بالتفرقـة لـدى الشـريعة وفي الحقيقـة

لـذا تحققـن بأن الطرقـا طريقـة النـبي وحـده ثقـا

وغيرهـا لـيس طريقـا وثـق إني مخـاز لجميـع الطـرق

وقد شرحه شرحًا مختصرًا مفيدًا مناسبًا سماه مفيد الراوي على أني مخاوي وقال فيه ﷺ بعد مطالعته ما نصه أن سبب الفعل الذي حملني على هذه القصيدة إني لما تفضل الله علي بأوراد الأولياء المروية عن خير الأنبياء عن شيخي أبي قرة عين الأصفياء وأعطاني الإذن في إعطائها لمن شاءها من أوليائها صار من لم تكن له خبرة باتحاد طرق أهل الله يتعجب من ذلك ويقول سبحان الله فلان يعطي الطريق الفلانية ويعطي الطريق الفلانية أهذا يمكن مستفهمًا وبعضهم يقول هذا لا يمكن منكرًا وليثبت برهة من الزمان وأنا متعام عن هذا ومتغافل لأني كثيرًا ما كنت أسمع شيخنا ﷺ وأرضاه يقول التغافل من شأن أهل التعاقل وكثيرًا ما يقول لي مشافهة يا بني التغافل حسن والغفلة قبيحة والتجاهل حسن والجهل قبيح ولأن الناس إنما يتلفتون إلى من قل كلامه وكان لفائدة أو استفادة وأما أهل كثرة الكلام بلا فائدة ولا استفادة فلا يلتفت إليه كما قيل:

ولـو كلمـا كلـب عـوى صـحت خلفـه لطـال بنـا أن الكـلاب كثـير

ولكن مبالاتي بمن صاح أو عوى قليـل لأني بالكـلاب بصـير

حتى تفضل الله علي بأن أرسل لي السلطان مولاي الحسن أدام الله أيامه ونصر بالحق أعلامه وقدمت إليه في مدينة مراكش وجدت فيها بعض مواريدنا الصادقين وأهل الطريق الرائقين فتكلموا معي في ذلك فقلت لهم أني لا علم لي بأصل يمنع ما هنالك فكان بعضهم تشوقت نفسه لمستند يكون عنده لما عندي فقلت له يا بني أنا فوالله ما كنت أظن إلا أن طرق أهل الله شيء واحد لأن شيخي ﷺ وأرضاه ما ذكر لي تفرقة بنيهم بل قصارى خبرة في ذلك أن يقول هذا الورد من الأوراد التي كان فلان ملازمًا لها من غير أن يقول لي لا ورد له غيره أو لم يعط غيره أو من أخذه لا يأخذ غيره فيصير عندي ذلك كأنه مدح لذلك الورد أو لذلك الولي لا غير حتى خرجت من عنده وأتيت البلاد غير بلده إذ بالناس كأنها أعوذ بالله أهل ملل متفرقة وأهل طرق مختلفة فتعجبت مما فيه الناس وتعوذت مما فيه الوسواس وقلت للمريدان لا اختلاف بين هذه الأجناس لأن الطريق طريقة واحدة لأشرف ذوي الأنفاس لثبوت أخوة أهلها بالكتاب الذي لا بغيره يقاس اهـ ومن أحب بسط كلامه فيه فليراجعه وقد طبع بالمطبعة الفاسية حيث يوجد ولله در ولد قلبنا الفقيه الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد سباطه حيث قال في رجز له أيضًا في هذا الموضوع

طرق أهل الله شيء واحد فلا يرى التفريق إلا جاحد
مذهبهم من جملة المذاهب كل على نهج الصواب ذاهب
وافهم مقالة لديهم أتت طريقنا لغيرها قد نسخت
عنوا بها الشريعة المطهرة هذا الصواب عندنا ارع خبره
أما ترى الأئمة المجتهدين تباينت أحكامهم بدون مين
وقد غداتنا ينافي الصورة يعلمه ذو فطنة ضرورة
كذاك أهل الله سيرهم بدا بحسب الأزمان فيه اجتهدا
قالوا لكل زمان ترتيبه فاحفظ رسومك بصدق النية
واحذر من التخليط في المقام وإن عدمت الفهم فالتعامي
أن المخلط تناءى حجبا عن ذوق سرهم يراه عيبا
بسير من مضى تقيس سيرنا هذا بعيد وخصوصًا عصرنا
وانظر حديثًا جاء في أهل النهي ليس لنا بهم عدا التشبها
أنتم في هذا الزمان من ترك عشر ما أمر به فقد هلك
وبعدكم يأتي زمان من عمل بعشر ما أمر به فقد قبل
تأملن هديت للتوفيق ولا تحد عن منهج التحقيق
كان يربى صحبة الأفاضل حسب الاستعداد والقوابل
كذا المشايخ عليهم الرضا يسايروننا بلطف ورضا
إذ قصدهم جمع القلوب والهمم داعون ما أمكنهم إلى الحكم
والأصل عندهم هو اجتماع كذا استماع ثمة إتباع
طرقهم بعدد الأنفاس أتت فلا تمل إلى النسناس
فسل جميعهم دعاء حسنا وسلمن لهم لتحظى بالمنا
ولا تنقص أحدًا من بينهم فإن ذا مغير لقلبهم
مستوجب للطرد والإبعاد من حضرة الجمع وهذا باد
فكلهم مثل فروع شجرة مثمرة أغصانها منتشرة
والأصل حامل محيط بالجميع أعني شريعة نبينا الشفيع
صلى عليه ربنا وسلما ما برزت ليلا كواكب السما
وآله والصحب والأتباع ما اهتدى مهتد للأتباع

وفي هذا القدر كفاية لأهل الفضل والتوفيق الطالبين السلامة باقتفاء آثار أهل الحق والتحقيق في بيان أن طرق أهل الله ﷺ شيء واحد وأنها وإن اختلفت صورة فهي ترجع في الحقيقة إلى أصل واحد وأما غير أهل الفضل فلا كلام معهم بحال ونعوذ من شرهم بحضرة ذي العزة والجلال سبحانه

وأما بيان بعض فضائل الطريق الشاذلية عمومًا والدرقوية الدباغية البنانية خصوصًا

فيعرف بذكر تراجم رؤسائها الذين تنسب إليهم إذ التراجم منبئة عن كمال فضيلتهم والتعريف بأحوالهم وما كانوا عليه في معاملة ربهم يعرب عن كمال حالهم ومقامهم وحالهم ومقامهم ينبئ عن حال أتباعهم وتلاميذهم المنتسبين إليهم بوصفي الحق والتحقيق إذ هم المعتبرون في الانتماء الاصطلاحي إذ من المقرر أن من التزم طريقة شيخ يلزمه السير بسيره كمال أو بعضه بحسب طاقته واستعداده وغير خفي أن المرء في ميزانه أتباعه والعبد يشرف بشرف مواليه

وإذا ما الجناب كان عظيما مدمنة لخادميه لواء

كما تقرر أيضًا أن أعظم المناقب والمزايا كمال الاستقامة والمتابعة لأفضل البرايا وقد قلت في طبقاتنا المسماة بالمجد الشامخ أخر الجزء الثاني منها عقب ترجمة مولانا الوالد وترجمة شيخه وشيخ شيخه وشيخ شيخ شيخه قدس الله أرواحهم ما نصه هذا وأعظم المناقب وأفضلها وقطبها الذي تدور عليه رحا الولاية هو ما كانوا عليه من الاستقامة مع الله تعالى في الظاهر والباطن وغير خفي أن من حصل عليها فهو الولي حقًا وهو السعيد حقًا وهو الواصل حقًا وهو الشيخ حقًا وهو الملجأ حقًا إذ الاستقامة خير من ألف كشف وألف كرامة وهذا مذهب كل من أدركنا من المشايخ المتقدمين والآتين ﷺ بحيث لا التفات منهم إلى غير هذه الكرامة العظمى ولا وقوف لهم مع غيرها وإن صدرت ووقعت لهم ﷺ غابوا عنها في شهود فضل من تجلى بها وأكدوا شد رابطة أصلها وتعاهدوا عقدة عنصر منشئها لتكون كرامة حقيقية مسلمة ظاهر أو باطنا شريعة وحقيقة ومن تحقق بسر كتاب المناقب من صحيح الإمام البخاري وأتقنه ظاهر أو باطنا شريعة وحقيقة فرقا وجمعا أدرك سر ما رمزنا إليه وشد عليه بكلتى يديه تبعا لجمهور أكابر أهل الله وتمذهبا بالمذهب الحق الذي عليه المعول في سائر التوجهات بفضل الله وإلى تحقيق هذا المبحث العظيم أشار مولانا الوالد قدس سره في الرسالة الحادية والأربعين من رسائله بقوله اعلموا إخواني أنه لا كرامة في الوجود تضاهي كرامة الحق لأوليائه وهي القيام على ساق الجد في العبودية ومعانقة التكاليف الشرعية حتى قدموا عليه سبحانه وأعناقهم مطوقة بذلك فهذه هي الكرامة ومن لم يحصل عليها فهو في غبن وفي خسارة فتحافظوا إخواني على الشريعة الغراء النقية البيضاء التي لا يضل من سلكها فإن الله سبحانه قد زكى طريق محمد ﷺ وزكى طريق أصحابه وأوليائه كما شهد بذلك القرآن العظيم وحديث رسوله ﷺ وما زكاهم الحق إلا لكونهم خاضوا اللجة العمياء التي هي العبودية إذ ما قال الله لنا في حقهم أنهم أدركوا الطيران في الهواء ولا المشي على الماء ولا قالوا للحجر كن ذهبا فكان وإن أدركوا ذلك ولكن لا يعتبر في المزايا وإنما تعتبر الأصول لذلك قال فيهم: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

[الأحزاب: (٢٣)] والذي عاهدوا الله عليه هو الاعتراف بالعبودية والانسلاخ من أحوال الربوبية يوم ألست بربكم فهذا العهد فيه يتنافس أهل الجد وفيه تتفاضل الرجال أذر بما رزق الكرامة من لم تحصل له الاستقامة على أنه ما كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه فلا كرامة أكبر من الاستقامة مع ذكر الله فيها كما قال الله العظيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ [فصلت: (٣٠)] الآية وقد علمتم من شواهد ما ذقتم أن الذي قضم ظهور الأكابر من نبي ورسول وولي والاستقامة كما أمر الله ومن يقدر على ذلك لولا الفيض الإلهي والمدد الرباني وقد حكي أن الشبلي رأى النبي ﷺ في المنام فقال له يا رسول الله بلغنا عنك أنك قلت شيبتني هود وأخواتها ما الذي شيبك منها قال فاستقم كما أمرت اهـ فشدوا إخواني وثاق المجاهدة ولا تغتروا بما تسمعون فإن المقصود منكم هو أن تكونوا عبيد الله وهو لكم رب لا غير إذ مطلب العارفين من ربهم الصدق في العبودية والقيام بوظائف الربوبية واحفظوا ألسانكم من غير ذكر الله تعالى فإنه ثعبان مؤذ فقيده بسلاسل الذكر حتى يكون رطبا من ذكر الله تعالى وقد علمتم أنكم إن ذكرتموه ذكركم فاختاروا لأنفسكم أشرف الأحوال فإن أنتم ذكرتموه بوصف الحضور ذكركم برفع الستور ودوام الحضور وأن أنتم ذكرتموه بوصف الغفلة والخوض بوصف الغفلة والخوض في لا يعني ذكركم بوصف جلالي أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه فقال له قل للبطالين لا يذكروني فإني آليت على نفسي إن من ذكرني أذكره فإذا ذكروني بوصف الغفلة أذكرهم بالغضب عليهم اهـ فهذا تنبيه وزجر عظيم من الله لعباده كي يتحافظوا على أوصاف العبودية فراقبوا الله في هذه الكرامة واشكروا نعمتها ومن وجدها واشتاق إلى شيء من أوصاف الحرية فليعلم أن كرامة العبودية لم تكمل لديه لأنها قد احتوت على جميع الكرامات الحسية والمعنوية فمن تحقق بها صارت حركاته وسكناته كلها كرامة لمن كان عنده قلب وفهم ومن كانت جميع تصرفاته كرامة كيف يشتاق إلى الكرامة وقد علمتم من طريق ما وجدتم أن هذه الكرامة التي شرحنا لكم هي كرامة العارفين الذين ذكروا الله حقيقة وبها ظهرت جواهر معناهم وبها صحت دعوتهم إلى الله ولا يشترط في الداعي أكثر من هذه الحالة كما نص على ذلك ناظم العوارف حيث قال

وآياته أن لا يميل إلى هوى ... فديناه في طي وأخراه في نشر

وكذا قول ابن عباد في نظم الحكم

مقاله وحاله سيان ... ما دعوا إلا إلى الرحمن

إلى أخر الأبيات وإنما قلنا أن الداعي إلى الله لا يشترط فيه أكثر من هذا لأن العلماء والعارفين بالله نصوا على أنه لا يلزمه أن يتحدى على صحة دعواه بكرامة أنه لا فائدة فيها بخلاف الرسول فإنه لابد له منها زيادة على كمال عبوديته ظاهرا وباطنا والسر في ذلك أن الولي العارف المحقق إنما يدعو إلى الله بحكاية دعوة الرسول ولسانه لا بلسان يحدثه كما يحدث لرسول آخر والشرع مقرر عند العلماء به فالرسول على بصيرة في الدعاء إلى الله من الأحكام المشروعة والولي على بصيرة في الدعاء إلى الله بحكم

الإتباع لا بحكم التشريع فلا يحتاج إلى آية أو بينة فإنه لو قال ما يخالف حكم الرسول لم يتبع في ذلك ولا كان على بصيرة فلا فائدة في إظهار الآية بخلاف الرسول فإنه ينشئ التشريع وينسخ بعض شرع مقرر على يد غيره من الرسل فلابد من آية تدل على صدقه وأنه مخبر عن الله في مدة ما قرره الله شرعًا على لسان رسول آخر هكذا الأمر مجري في حكم العلم فالكرامة التي هي حقيقة باسم الكرامة هي استقامة الجوارح الحسية والمعنوية على منهاج العبودية ولاشك عند كل عاقل منصف أن من ألبس حلة الاستقامة كانت الكرامة الحسية هي تشتاق إليه بنعت الظهور على يديه تشريفًا لها بالبر وزمنه ومن كانت الكرامة تشتاق إليه كيف يجد من نفسه ميلاً عن الأعلى إلى الأدنى هذا لا يكون أبدًا إذ ما رضى بسرح الدواب من كانت رعيته كل ماش وداب ودليل اشتياق المقامات والأحوال إلى صاحب الاستقامة ما ورد في الخبر من قوله ﷺ اشتاقت الجنة إلى ثلاث إلى أخر الحديث فما اشتاقت الجنة إلى بلال ومن معه إلا لكونهم ريحان الحضرة الإلهية لما هم عليه من كمال المتابعة لرسول الله ﷺ فالجنة والأكوان كلها تشتاق إلى العارف وهو لا يشتاق إلى شيء ومن كما اشتياقها وجود الطاعة منها عند أمرك امتثالاً لأمر الله بذلك في قوله يا دنيا اخدمي من خدمني ولا خصوصية للدنيا بل وكذا الآخرة وقد ثبت في الخبر أن رسول الله ﷺ كان راكبا مع عمه أبي طالب في سفر فأصابهم عطش فقال له عمه يا محمد أسئل ربك أن يسقينا ماء فقال نعم وقد فعل فضرب بيده ﷺ الأرض ونبع الماء وشرب عمه فقال له يا محمد ما أطوع ربك لك فقال يا عم وأنت لو أطعته أطاعك اهـ بالمعنى من أبي طالب المكي وحكي أن العارف بالله سيدي سريا السقطي ﷺ كانت تأتيه كل يوم عجوز إلى بيته تكنسه وتسوق له بعض القوت فسئل عنها فقال هي الدنيا سخرها الله لي لما زهدت فيها فانظروا إخواني بعين التوفيق ما أعطته كرامة العبودية لله فاشتغلوا بالله زهدا في الحس والمعنى والله لا يخصكم خير اهـ كلام مولانا الوالد في الرسالة المذكورة وقد تقدم بعضه أوائل الكتاب وكرر هنا لتتقرر فوائده المهمة وقال أيضا ﷺ في شرحه على الحكم العطائية لدى قول المصنف ربما رزق الكرامة من لم تحصل له الاستقامة ما نصه المعنى أنك أيها الفقير قد يمنحك الحق سبحانه في حال سيرك كرامات تقتضي بظهورك خرق العادات الحسية مثل المشي على الماء وطي مسافات البلاد البعيدة والطيران في الهواء وغير ذلك كالكشف عن المغيبات والإخبار بما في الضمائر ولا يكون ذلك شاهدا لك بكمال الاستقامة بل بوجودها أصلاً لما علمت أن هذه الأشياء المذكورة كلها نشأت من لطافة البشرية ورياضتها فلا يكون وجودها حاكما بوجود الاستقامة أما المشي على الماء فقد ثبت أ، رجلا سمع أن نصرانيا يمشي على الماء يبسط سجادته وتسير به حيث شاء فتطلب خبره حتى وقف عليه فقال له سمعت عنك أنك تمشي على الماء فقال نعم قال بم نلت ذلك قال بمخالفة نفسي ورياضتها على ما تكره فهذا نصراني ثبتت له الكرامة الخارقة للعادة مع كونه خاليا من رائحة الاستقامة وأما طي المسافة فقد علمت يا أخي أن إبليس هو أشقى خلق الله ومع ذلك له قوة كبيرة في طي مسافات البلاد بحيث يمر من المشرق إلى المغرب أسرع من طرفة العين ولذلك لما قيل لأبي يزيد يقال أن

فلانا يمر في ليلة إلى مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله وأما الطيران في الهواء فقد ثبت أن مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ تجلى له إبليس لعنه الله في الهواء بهيلولة كبيرة وناداه يا عبد القادر افعل ما شئت فقد أبحنا لك المحرمات فقال كذبت إنك شيطان لعنك الله فقال له ومن أين عرفتني قال بقولك فقد أبحنا لك المحرمات لأن الله لا يأمر بالفحشاء فقال له والله لقد أخذت بهذه الحيلة أقواما لا يحصى عددهم إلا الله فأنت ترى أيها الفقير هذه القوة التي نالها إبليس حتى أنه يتطور في أي طور شاء ومع ذلك فبينه وبين سمت الاستقامة ما بين السماء والأرض فالطيران في الهواء من علامات وجود الهوى ولذلك لما قيل لأبي يزيد أيضا أن فلانا يمشي على الماء قال الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك وأما الكشف عن المغيبات والإخبار بما في الضمائر فقد علمت أن هذه الحالة هي أهون شيء عند السحرة وأرباب الكهانة وقد ثبت في الخبر أن الشياطين تأتي إلى آذان أرباب الكهانة وتقر أخبار العالم في آذانهم فيخبرون بذلك فيقع الأمر على وفق ما أخبروا به فيغتر بذلك سخفاء العقول ويتوهمون أن ذلك أقصى مرام الولاية وهم يعلمون خلو صاحبها من الاستقامة الظاهرية التي هي عنوان الاستقامة الباطنية ورحم الله أبا يزيد حيث يقول لو أن رجلا بسط مثلاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي وقال إمام هذه الطريقة أبو القاسم الجنيد ﷺ طريقنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ فمن شاهدنا منه وجود الكرامة وهو بمعزل عن الاستقامة جعلنا بيننا وبينه سد الملامة لأن ما ادعاه من الخصوصية يكذبه معيار الشريعة المحمدية إذ كمال الخصوصية مفتاحه آداب العبودية التي هي استقامة الظاهر مع الباطن وتوافقهما في القانون الشرعي والحكم الإلهي حتى تكون أنفاس الفقير محكومة بآداب الوقت ولذلك لما سمع أبو يزيد خبر رجل جلس في المسجد وهو يدعي الخصوصية قال لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر إلى حال هذا الذي شهر نفسه بالولاية فلما دخل المسجد وجده مستقبلا القبلة فأخذ الرجل الجالس نخامة ورمى بها تجاه القبلة فرجع أبو يزيد ولم يكلمه وقال هذا لم يتحافظ على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون أمينا على أسرار الله فتحصل أيها الفقير أن هذه الكرامة الحسية قد يعطاها من لا مسيس له بأصول الدين من تقوى واستقامة ولا يغتر بها إلا من أراد الحق مكره فيستدرجه بها إلى وادي الهلكة لتقوم الحجة والملامة عليه فهي لا عبرة بها عند من فتح الله بصيرته ونور سريرته نعم إذا صدرت من إنسان وكان أمره محكما بالقوانين الشرعية كانت شاهدة له بوجود الاستقامة في الجملة ولا تكون شاهدة له بكمال الاستقامة وهي مع ذلك توجب لصاحبها التوقير وتؤذن بأنه على بينة من ربه في سيره فلا كرامة أكبر وأعظم من الكرامة المعنوية التي هي استقامة الظاهر مع الباطن حتى يعطي الإنسان لكل ذي حق حقه ومن أجل ذلك كان محط نظر أهل الله مقصورا على كمال العبودية لتحققهم أن ذلك هو أرفع كرامات الحق لعبيده ولذلك لما قال رسول الله ﷺ شيبتني هود وأخواتها وقيل له وما الذي شيبك منها يا رسول الله قال قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: (١١٢)] فالكرامة الكبيرة هي كون الفقير مرتكبا لجميع

المأمورات منتهيا عن جميع المخالفات والغالب على من رسخ قدمه في هذا المقام أنه لا تصدر منه كرامة حسية حسبما يقتضيه الرسوخ والتمكن في مقام العبودية إذ الكرامة الحسية على تقدير صدورها من المستقيم فهو في حال صدورها غير متمكن وإنما هو صاحب أحوال كما قيل الكرامات لأهل السير في المقامات يتأسون بها ويستريحون عند صدورها من تعب المكابدة والمجاهدة اشتياقا إلى المشاهدة إذ المتمكن لا مقام له حسبما تعطيه إشارة قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: (١٣)] وقال بعضهم في بحر التوحيد غاصت وانطمست المقامات ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المنتَهَى ﴾ [النجم: (٤٢)] ولا يلزم من وجود كمال الاستقامة وجود الكرامة لأن الولي لا يلزمه إتيان ما يتحدى به بخلاف الرسول فإنه لابد له من معجزة يتحدى بها وتشهد له بصدق ما أتى به كما هو معلوم عند أربابه ويا ليت شعري أي شاهد يكبر في وجود المحبوبية على شاهد الإتباع للرسول فيما أتى به وقد أخبرنا الله على لسان نبيه أن أعظم الشواهد الدالة على محبة العبد لمولاه وأنه قد هداه إلى صراط مستقيم واجتباه هو متابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [آل عمران: (٣١)] أي علامة من تولاه الله إجراء جميع حركاته وسكناته على المنهاج المحمدي وكل من حصل هذا المقام لا يلتفت إلى شيء من التصرفات لأنه في هذه الحالة التي هي حالة العبودية يعلم أنه عبد ولسيده الإرادة وإن اشتاقت نفسه إلى شيء من الكرامات الحسية فليعلم أنه بطال لم يتخلص من رعونات نفسه ولذلك قال أبو الحسن الشاذلي ﷺ إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بمزيد الإيقان **** على الإقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع المرضى ومن كرامه *** عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور ناقص أو هالك مثبور اه وقال شيخنا مولاي عبد الواحد قدس الله سره لا كرامة عند أهل الله أشرف من ركوبك في الظاهر مطية الأعمال وفي الباطن مطية تحقيق الأحوال إذ هذا هو الأمر المتعبد به شرعا ومن أجله خلقنا وبه أمرنا على أن هذه الحالة أعني استقامة الظاهر في الأعمال واستقامة الباطن في تحقيق الأحوال هي مفتاح السعادة الأبدية وينبوع الأسرار اللدنية وهي براق السائر الذي يزجه في حضرة العهد القديم فلا كرامة ولا سعادة ولا أسرار ولا أنوار أكمل من وجود الاستقامة فإن وجدت وجد كل خير وإن فقدت فقد كل خير فلو ظهر على الإنسان ما ظهر من الخوارق الحسية فإنه لا يعتد به إلا بملاحظة ما تقدم فافهم وأما الكرامة المعنوية كذوق حلاوة الأسرار الغيبية والمواهب اللدنية فلا سبيل إلى ذلك لمن لم يتحقق بأوصاف العبودية ويعض بالنواجذ على الشريعة المحمدية لأن حجاب المخالفة مؤذن بوجوب حجاب الغيرة الإلهية عن فهم أسراره ودخولها إلى القلوب المدنسة بأقذار المخالفة كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴾ [الإسراء: (٤٥)] أي وهو حجاب الغيرة ولذلك قال الجنيد لما كان يصرح بالحقائق على رؤوس الإشهاد فلامه بعضهم علمنا هذا محجوب عن غير أهله فافهم وقد غلط في هذا المعنى خلق كثير ظنا منهم أن

الطريق تعبير باللسان دون خدمة الأركان الظاهرة والباطنة وما علموا أن مراد القوم من طريقهم شيء لا يمكن عنه التعبير وأن ما عبروا عنه إنما هو مواجيد ضاقت بها صدورهم صرحوا بها الفيضان وجدهم أو لهداية مريدهم إلى ذلك المعنى الذي لا يمكن عنه التعبير اللهم أنا نسئلك كمال الاستقامة على السنة المحمدية وكرامة متابعة الملة الإبراهيمية حتى تكون عنا راضيا آمين والله ولي التوفيق اهـ كلام مولانا الوالد قدس الله روحه اهـ إذا فهمت هذا فاعلم أن تتبع مآثر ومناقب مشايخ الطرق المشار إليها أمر عسير والله ولو استغرق الإنسان عمره في جمعها لكان ذلك في جانبهم ﷺ أقل قليل بإجماع أهل فتح الله ومن هنا قالوا على سبيل الرمز لو كشف عن حقيقة الولي لعبد ومن المقرر أن ما لا يدرك كله فلا يترك بعضه أو جله بحسب التيسير وحينئذ فلنذكر تراجمهم على سبيل الاختصار بفضل الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فنقول

أما الشاذلية في العموم

فنسبة إلى أصل مددها وعنصر مشربها وقطب دائرتها الذي تدور عليه وهو السيد الأجل الكبير القطب الرباني العارف الوارث المحقق بالعلم الصمداني صاحب الإشارات العلية والحقائق القدسية والأنوار المحمدية والأسرار الربانية والمنازلات العرشية الحامل في زمانه لواء العارفين والمقيم فيه دولة علوم المحققين كهف الواصلين وجلاء قلوب الغافلين منشئ معالم الطريقة ومظهر أسرارها ومبدي علوم الحقيقة بعد خفاء أنوارها ومظهر عوارف المعارف بعد خفائها واستتارها الدال على الله وعلى سبيل جنته والداعي على علم وبصيرة إلى جنابه وحضرته أوحد أهل زمانه علما وحالا ومعرفة ومقالا الحسيب النسيب ذو النسبتين الطاهرتين الروحية والجسمية والسلالتين الطيبتين الغيبية والشاهدية والوراثتين الكريمتين الملكية والملكوتية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي الصحيح النسبتين الكريم العنصرين فحل الفحول إمام السالكين ومعراج الوارثين الأستاذ الواصل المربي الكامل أبو الحسن سيدي علي الشاذلي الحسني ابن عبد الله ابن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن أبي بطال علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عمر بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية أبي محمد الحسن ابن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله ﷺ وهذا هو النسب الصحيح لسيدي أبي الحسن الشاذلي على قول وسيأتي لصاحب السلوة ﷺ أن الصحيح في نسبه هو ما ذكره أعني صاحب السلوة عن الإمام القصار عن صاحب النبذة وسيأتي بلفظه إن شاء الله تعالى وهو أعني الشيخ سيدنا ومولانا أبا الحسن الشاذلي ﷺ صاحب الطريق ومظهر لواء التحقيق الذي قال فيه الإمام البوصيري صاحب البردة والهمزية في قصيدة مدح بها سيدي أبا العباس المرسي وشيخه سيدي أبا الحسن الشاذلي ﷺ

أما الإمام الشاذلي طريقه   في الفضل واضحة لعين المهتدي

فانقل ولو قدما على آثاره فإذا فعلت فذاك أخذ باليد

أفدى عليا بالوجود وكلنا بوجوده من كل سوء نفتدي

قطب الزمان وغوثه وإمامه عين الوجود لسان سر الموجدي

ساد الرجال فقصرت عن شأوه همم المآرب للعلي والسؤدد

فتلق ما يلقى إليك فنطقه نطق بروح القدس أي مؤيد

وإذا مررت على مكان ضريحه وشممت ريح الند من ترب ندى

ورأيت أرضا في الفلاة بحضرة مخضرة منها بقاع الفدفد

والوحش آمنة لديه كأنها حشرت إلى حرم بأول مسجد

ووجدت تعظيما بقلبك لو سرى في جامد سجد الورى للجامد

فقل السلام عليك يا بحر الندى الطامي وبحر العلم بل والمرشد

وقال الشيخ إبراهيم بن محمد بن ناصر الدين بن الميلق

ولو قيل لي من في الرجال مكمل لقلت إمامي الشاذلي أبو الحسن

لقد كان بحرا في الشرائع راسخا ولاسيما علم الفرائض والسنن

ومن منهل التوحيد قد عب وارتوى فلله كم روى قلوبا بها محن

وحاز علوما تحصى لكاتب وهل تحصر الكتاب ما حاز من فتن

فكن شاذلي الوقت تحظ بسره وفي سائر الأوقات مستغنيا بعن

فإني له عبد وعبد لعبده فيا حبذا عبد لعبد أبي الحسن

إذا لم أكن عبدا لشيخي وقدوتي إمامي وذخري الشاذلي أكن لمن

فيارب بالسر الذي قد وهبته تمن علينا بالمواهب والفطن

وما أحسن قول العارف سيدي علي بن عمر القرشي بن الميلق

أنا شاذلي ما حييت فإن أمت فمشورتي في الناس أن يتشذلوا

وقال بعضهم

تمسك بحبل الشاذلي ولا ترد سواه من الأشياخ إن كنت ذالب

فأصحابه كالشمس زاد ضياءها على النجم والبدر المنير من الحب

وقال آخر

تمسك بحب الشاذلي فإنه له طرق التسليك في السر والجهر

أبو الحسن السامي على أهل عصره كراماته جلت عن الحد والحصر

وقال آخر

تمسك بحب الشاذلي فتلق ما تروم وحقق ذا المناط وحصلا

توسل به في كل حال تريده فما خاب من يأتي به متوسلا

وفي طبقات الإمام الشعراني ﷺ ما نصه ومنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ هو علي بن عبد الله بن عب الجبار الشاذلي بالشين والذال المعجمتين وشاذلة قرية من إفريقية الضرير الزاهد نزيل إسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية وكان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز فوق ابن تيمية سهمه إليه فرده عليه وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني وابن مشيش وغيرهما وحج مرات ومات بصحراء عيذاب قاصدا الحج فدفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة وقد أفرده سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبو العباس بالترجمة وها أنا أذكر لك ملخص ما ذكره فيها فأقول وبالله التوفيق قد ترجم ﷺ في كتاب لطائف المنن سيدي الشيخ أبا الحسن ﷺ أنه قطب الزمان والحامل في وقته لواء العيان حجة الصوفية علم المهتدين زين العارفين أستاذ الأكابر زمزم الأسرار ومعدن الأنوار القطب الغوث الجامع أبو الحسن علي الشاذلي ﷺ لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة وشهد له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية جاء ﷺ في هذه الطريق يالعجب العجاب وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ﷺ يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ ومن كلامه ﷺ عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب واعتبر باستغفار النبي ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو عن البيت والذنب في وقت من الأوقات وكان ﷺ يقول إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها إلى في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة وكان ﷺ يقول لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل وكان لك صاحبا في المقام والرحيل وكان ﷺ يقول إذا جاذبتك هواتف الحق فإياك أن تستشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات وتردها فتكون من الجاهلين واحذر أن تدخل في شيء من ذلك بالعقل وكان ﷺ يقول إذا عرض عارض يصدك عن الله فاثبت قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: (٤٥)] وكان يقول كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتميل إليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به وإن كان حقا وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده والأئمة الهداة المبرئين عن الهوى متابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه ماذا عليك أن تكون عبد الله ولا علم ولا عمل وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة قال رجل متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال المرء مع من أحب وكان يقول إذا كثر عليك الخواطر والوساوس فقل سبحان الملك الخلاق ﴿ إن

يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠] وكان يقول لا تجد الروح والمدد ويصح لك مقام الرجال حتى لا يبقى في قلبك تعلق بعلمك ولا جدك ولا اجتهادك وتيأس من الكل دن الله تعالى وكان ﷺ يقول من حصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصي الاستغفار قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: (٣٣)] وكان يقول إذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو في مقالك انبسطت الجوارح في شهواتك وانسد باب الفكرة في مصالحك فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك أو بكمون إرادة النفاق في قلبك وليس لك طريق إلا طريق الإصلاح والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله تعالى ألم تسمع إلى قوله تعالى ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: (١٤٦)] ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيهًا وكان ﷺ يقول ارجع عن منازعة ربك تكن موحدا واعمل بأركان الشرع تكن سنيا واجمع بينهما تكن محققا وكان يقول قيل لي يا علي ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المنذري وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك وكان يقول من أحب أن لا يعصى الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته ورحمته وأن لا يكون لنبيه ﷺ شفاعة وكان يقول لا تشك رائحة الولاية وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها وكان ﷺ يقول أسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك فإن كنت أذنبت فاستغفر وإن كنت ذهبت عنك الدنيا فارجع إلى ربك وإن ظلمت فاصبر واحتمل هذا دواؤك وإن لم يطلعك الله تعالى على سبب القبض فاسكن تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة وكان ﷺ يقول رأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما حقيقة المتابعة فقال رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء وكان يقول الشيخ من دلك على الراحة لا من دلك على التعب وكان يقول من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو يدعي وكان يقول من آداب المجالس للأكابر التخلي عن الأضداد والميل والمحبة والتخصيص لهم وترك التجسس على عقائدهم وكان يقول إذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة إما أن تفيدهم وإما أن تستفد منهم وذلك غاية الربح منهم وإذا جالست العباد والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد والعبادة وحل لهم ما استمروه وسهل عليهم ما استوعروه وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه وإذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم تظفر بالعلم المكنون وكان يقول إذا انتصر الفقير لنفسه وأجاب عنها فهو التراب سواء وكان يقول إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعات فلا تعبأن به وكان يقول من غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة المراد وكثرته واختلاف أنواعه وأي وقفة تسعه حتى يحل أو يعقد أو يعزم أو ينوي شيئًا من أموره مع تعدد إرادته واضمحلال صفاته أين أنت من نور من نظر واتسع نظره بنور ربه ولم يشغله المنظور إليه عمن نظر به فقال ما من شيء كان ويكون إلا وقد رأيته الحديث وكان ﷺ يقول إذا

استحسنت شيئًا من أحوالك الباطنة أو الظاهرة وخفت زواله فقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله وكان يقول ورد المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا لغير محبوبه وفي رواية أخرى ورد المحققين رد النفس بالحق عن الباطل في عموم الأوقات وكان يقول لا يتم للعالم سلوك طريق القوم إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح وكان يقول لا تؤخر طاعات وقت لوقت آخر فتعاقب بوفاتها أو بفوات غيرها أو مثلها جزاء لما ضيع من ذلك الوقت فإن لكل وقت سهما فحق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية وأما تأخير عمر ﷺ الوتر إلى أخر الليل فتلك عادة جارية وسنة ثابتة ألزمه الله تعالى إليها مع المحافظة عليها وأنى لك بها مع الميل إلى الراحات والركون مع الشهوات والغفلة عن المشاهدات هيهات هيهات هيهات وكان ﷺ يقول من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا يومين فقال له القائل كيف لي بذلك قال فرق الأصنام عن قلبك وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت فإن الله لا يعب العبد على مد رجليه مع استصحاب التواضع ولا بأكل الشعير والنخالة وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: (٢٤)] وكان يقول من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك وكان يقول سبحان من قطع كثيرا من أهل الصلاح عن مصلحتهم كما قطع المفسدين عن موجدهم وكان يقول الزم جماعة المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين وأقم عليهم الحدود واهجرهم لهم رحمة بهم لا تعززا عليهم وتقريعا لهم وكان يقول كل من طعام فسقة المسلمين ولا تأكل من طعام رهبان المشركين وانظر إلى الحجر الأسود فإنه ما اسود إلا من مس أيدي المشركين دون المسلمين وكان ﷺ يقول سمعت هاتفا يقول كم تدندن مع من يدندن وأنا السميع القريب وتعريفي يغنيك عن علم الأولين والآخرين ماعدا علم الرسول ﷺ وعلم النبيين عليهم الصلاة والسلام وقيل له مرة من شيخك فقال كنت انتسب إلى الشيخ عبد السلام ابن مشيش وأنا الآن لا انتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر قال الشيخ أبو العباس المرسي ومات الشيخ عبد السلام بن مشيش ﷺ مقتولاً قتله ابن أبي الطواجن ببلاد المغرب وكان يقول من علم اليقين بالله تعالى وبمالك عند الله أن تتعاطى من الخلق ما لا تصغر به عند الحق تعالى مما تكرهه النفوس الغوية كحمل متاعك من السوق وجمع الحطب للطعام وجعله على رأسك والمشي مع زوجتك إلى السوق في حاجة من حوائجها وركوبك خلفها على الحمار وغيره وأما ما تصغر به في أعين الخلق مما للشرع عليه اعتراض فليس من علم اليقين فلا ينبغي لك ارتكابه وكان يقول إن كنت مؤمنا موقنا فاتخذ الكل عدوا كما قال إبراهيم ﷺ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وكان يقول الصادق الموقن لو كذبه أهل الأرض لم يزدد بذلك إلا تمكينا وكان يقول لا تعطى الكرامات من طلبها وحدث بها نفسه ولا من استعمل نفسه في طلبها وإنما يعطاها من لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بمحاب الله تعالى ناظر لفضل الله آيس من نفسه وعمله وقد تظهر الكرامة على من استقام في ظاهره وإن كانت هناك النفس في باطنه كما وقع

للعابد الذي عبد الله في الجزيرة خمسمائة عام فقيل ادخل الجنة برحمتي فقال بل بعملي وكان يقول ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في العلم بالصواب كمن أكرم بشهود الملك فاشتاق إلى سياسة الدواب وكان يقول كل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله والمحبة لله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص هالك مثبور وكان ﷺ يقول للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أو شيئا منها فليبرز أن يمد بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الأول عن الأول وما اتصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وحكم ما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدأ من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه وكان يقول سمعت هاتفا يقول إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي وبالإعراض عن معصيتي وكان يقول كأني واقف بين يدي الله ﷻ فقال لا تأمن مكري في شيء وإن أمنتك فإن علمي به محيط وهكذا درجوا وكان يقول لا تركن إلى علم ولا مدد وكن بالله واحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس وانشر علمك ليصدقك الله تعالى وكان يقول العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير في الأيدي إن شاء الله تعالى نفعك بها وإن شاء ضرك وكان يقول قرأت ليلة قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩] فنمت فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول أنا ممن يعلم ولا أغني عنك من الله شيئا وكان ﷺ يقول من أقبل على الخلف الإقبال الكلي قبل بلوغ درجات الكمال سقط من عين الله تعالى فاحذروا هذا الداء العظيم فقد تعلق به خلق كثير وقنعوا بالشهوة وتقبيل اليد فاعتصموا بالله يهدكم الله إلى الطريق المستقيم وكان يقول من الشهوة الخفية للولي إرادته النصرة على من ظلمه وقال تعالى للمعصوم الأكبر ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: (٣٥)] أي فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكهم وكان يقول إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لوم فيها فليكن الفرق في لسانك موجودا والجمع في سرك مشهودا وكان يقول كل اسم تستدعى به نعمة أو تستكفى به نقمة فهو حجاب عن الذات وعن التوحيد بالصفات وهذا الأهل المراتب والمقامات وأما عوام المؤمنين فهم عن ذلك معزولون وإلى حدودهم يرجعون ومن أجورهم من الله لا يبخسون وكان ﷺ يقول لو علم نوح عليه السلام أن في أصلاب قومه من يأتي يوحد الله ﷻ ما دعا عليهم ولكان قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون كما قال رسول الله ﷺ فكل منهما على علم وبينة من الله تعالى وكان يقول لا أجر لمن أخذ الأجر والرشا على الصلاة والصيام وتنعم بمطامح تلك الأبصار عند إطراق الرؤوس والاشتغال بالأذكار هؤلاء بالإضافات ورؤية الطاعات أكثر من جنايتهم بالمعاصي وكثرة المخالفات وحسبهم ما يظهر عليهم من الطاعات وإجابة الدعوات والمسارعة إلى الخيرات ومن أبغض الخلق إلى الله من تملق إليه في الأسحار بالطاعات ليطلب مسرته بذلك قال تعالى ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر آية: (٢، ٣)] وكان يقول

العارف بالله تعالى لا تنغصه حظوظ النفس لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك إلا إن كانت الحظوظ معاصي وكان يقول إذا أهان الله عبدا كشف له حظوظ نفسه وستر عنه عيوب دينه فهو يتقلب في شهواته حتى يهلك ولا يشعر وكان يقول إذا ترك العارف الذكر على وجه الغفلة نفسا أو نفسين قيض الله تعالى له شيطانا فهو له قرين وأما غير العارف فيسامح بمثل ذلك ولا يؤاخذ إلا في مثل درجة أو درجتين أو زمن أو زمنين أو ساعة أو ساعتين على حسب المراتب وكان يقول من الأولياء من يسكر من شهود الكأس ولم يذق بعد شيئا فما ظنك بعد ذوق الشراب وبعد الري واعلم أن الري قل من يفهم المراد به فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال وأما الشرب فهو سقيا القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر وأما الكأس فهو معرفة الحق التي يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المخلص الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها عالمية فالصورة حظ الأبدان والأنفس والمعنوية حظ القلوب والعقول والعلمية حظ الأرواح والأسرار فيا له من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه ودام وأطال في معنى ذلك وكان يقول إياك والوقوع في المعصية المرة بعد المرة فإن من تعدى حدود الله فهو الظالم والظالم لا يكون إماما ومن ترك المعاصي وصبر على ما ابتلاه الله وأيقن بوعد الله ووعيده فهو الإمام وإن قلت أتباعه وكان ﷺ يقول مريد واحد يصلح أن يكون محلا لوضع أسرارك خير من ألف مريد لا يكونون محلا لوضع أسرارك وكان يقول إننا لننظر إلى الله تعالى ببصائر الإيمان والإيقان فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان وصرنا نستدل به تعالى على الخلق هل في الوجود شيء سوى الملك المعبود الحق فلا نراه وإن كان ولابد من رؤيتهم فتراهم كالهباء في الهواء إن مستهم لم تجد شيئا وكان يقول إذا امتلأ القلب بأنوار الله تعالى عميت بصيرته عن المناقص والمذام المقيدة في عباده المؤمنين وكان يقول ذهب العمى وجاء البصر بمعنى فانظر إلى الله تعالى فهو لك مأوى فإن تنظر فيه أو تسمع فمنه وإن تنطق فعنه وإن تكن فعنده وإن لم تكن فلا شيء غيره وكان يقول البصيرة كالبصر أدنى شيء يقع فيها يعطل النظر وإن لم ينته الأمر إلى العمى فالخطرة من صفات الشر تشوش نظر البصيرة وتكدر الفكر والإرادة وتذهب بالخير رأسا والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام فإن استمر على الشر تفلت منه الإسلام سهما سهما فإذا انتهى إلى الوقيعة في العلماء والصالحين وموالاة الظالمين حبا للجاه والمنزلة عندهم فقد تفلت منه الإسلام كله ولا يغرنك ما توسم به ظاهرا فإنه لا روح له فإن روح الإسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة والصالحين من عباده وكان يقول نظر الله ﷻ لا يمتد منه شيء إلا خلقه ولا يقف في نظره ولا ينعطف عن منظوره جل نظر ربنا عن القصور والنفوذ والتجاوز والحدود وكان ﷺ يقول أركز الأشياء في الصفات ركزها قبل وجودها ثم انظر هل ترى للعين أينا أو ترى للكون كانا أو ترى للأمر شأنا وكذلك بعد وجودها وكان يقول من ادعى فتح عين قلبه وهو يتصنع بطاعة الله تعالى أو يطمع فيما في أيدي خلق الله تعالى فهو كاذب وكان يقول التصوف تدريب

النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية وكان يقول الصوفي يرى وجوده كالهباء في الهواء غير موجود ولا معدوم حسبما هو عليه في علم الله وسئل ﷺ عن الحقائق فقال الحقائق هي المعاني القائمة في القلوب وما اتضح لها وانكشف من الغيوب وهي منح من الله تعالى وكرامات وبها وصلوا إلى البر والطاعات ودليلها قوله لحارثة كيف أصبحت قال أصبحت مؤمنا حقا الحديث وكان ﷺ يقول من تحقق الوجود فنى عن كل موجود ومن كان بالوجود ثبت له كل موجود وكان يقول أثبت أفعال العباد بإثبات الله تعالى ولا يضرك ذلك وإنما يضرك الإثبات بهم ومنهم وكان يقول أبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية وكان يقول حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها وكان يقول حقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القربة وكان يقول لن يصل العبد إلى الله وبقى مع شهوة من شهواته ولا مشيئة من مشيآته وكان يقول الأولياء يغنون عن كل شيء بالله تعالى وليس لهم معه تدبير ولا اختيار والعلماء يدبرون ويختارون وينظرون ويقتبسون وهم مع عقولهم وأوصالهم دائمون والصالحون وإن كانت أجسادهم معرسة ففي أسرارهم الكزازة والمنازعة ولا يصلح شرح أحوالهم إلا الولي في نهايته فحسبك ما ظهر من صلاحهم واكتف به عن شرح ما بطن من أحوالهم وكان ﷺ يقول لا تختر من أمر شيئا واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار فرارك من كل شيء إلى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار لهم الخيرة وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء ولابد لك منه واسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهي وهي أرض لعلم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى فافهم وكان يقول كل ورع لا يثمر لك العلم فلا تعدله أجرا وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله تعالى فلا تعدلها وزرا وكان يقول لا ترقى قبل أن يرقى بك فتزل قدمك وكان يقول أشقى الناس من يعترض على مولاه وأركس في تدبير دنياه ونسى المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه وكان يقول مراكز النفس أربعة مركز للشهوة في المخالفات ومركز للشهوة في الطاعات ومركز في الميل إلى الراحات ومركز في العجز عن أداء المفروضات ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة: (٥)] الآية وكان يقول أن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها وكان يقول أن من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد وطالب نفسك بإكرامك ولا تطالبهم بإكرامهم لك لا تكلف إلا نفسك وكان يقول قد يئست من منفعة نفسي لنفسي كيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفس وكان يقول إن أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا هو اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنب وكان يقول لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين حب الدنيا بالإيثار والمقام على الجهل بالرضا لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة والمقام على الجهل أصل كل معصية وكان يقول إن أردت أن

تصح على يديك الكيمياء فأسقط الخلق من قلبك واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ما سبق لك ثم أمسك ما شئت يكون كما تريد وكان يقول إن أردت أن تكون مرتبطا بالحق فتبرأ من نفسك واخرج عن حولك وقوتك وكان يقول إن أردت الصدق في القول فأكثر من قراءة ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: (١)] وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك فأكثر من قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: (١)] وأن أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ [الفلق: (١)] وأن أردت السلامة من الشر فأكثر من قراءة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: (١)] قلت قال بعضهم وأقل الإكثار سبعون مرة كل يوم إلى سبعمائة وكان يقول أربع لا ينفع معهم علم حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر وخوف الناس وكان يقول أصدق الأقوال عند الله تعالى قول لا إله إلا الله على النظافة وأدل الأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا واليأس من أهلها على الموافقة وكان يقول لا تسرف بترك الدنيا فيغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة وكان ﷺ يقول لا تقوى لمحب الدنيا وإنما التقوى لمن أعرض عنها وكان يقول إذا توجهت لشيء من عمل الدنيا والآخرة فقل يا قوي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير وكان يقول إذا ورد عليك مزيد من الدنيا أو الآخرة فقل ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة: (٥٩)] وكان يقول خصلة واحدة إذا فعلها العبد صار إمام الناس من أهل عصره وهي الإعراض عن الدنيا واحتمال الأذى من أهلها وكان يقول إذا تداين أحدكم فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى ويتداين على الله تعالى فإن كل ما تداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه وكان يقول إن عارضك عارض من معلوم هولك فاهرب إلى الله منه هروبك من النار وهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة وكان ﷺ إذا تداين يقول اللهم عليك تداينت وعليك توكلت وإليك أمري فوضت وكان يقول خصلة واحدة تحبط الأعمال ولا ينتبه لها كثير من الناس وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: (٩)] وكان يقول لا يترك منازعة الناس في الدنيا إلا المؤمن بالقسمة وكان يقول رأيت في النوم صائحا يصيح في جو السماء إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك وهي خمسة لا سادس لها وكان يقول كل حسنة لا تثمر نورا أو علمًا في الوقت فلا تعدلها أجرًا وكل سيئة أثمرت خوفا من الله تعالى ورجوعا إليه فلا تعدلها وزرا وكان يقول حسنتان لا يضر معهما كثرة السيئات الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله وكان يقول إياك أن تقف مع الخلق بل أنف المضار والمنافع عنهم لأنها ليست منهم وأشهدها من الله فيهم وفر إلى الله منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم أو لك ولهم ولا تخف خوفا تغفل به عن الله وترد القدر إليهم تهلك وكان يقول ﷺ من فارق المعاصي في ظاهره ونبذ حب الدنيا من باطنه ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه ووكل به حارسا يحرسه من عنده وأخذ الله بيده خفضا ورفعا في جميع أموره والزوائد هي زوائد العلم واليقين والمعرفة وكان ﷺ يقول لا يوصف العبد بأنه قد

هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور هذا في حق الكاملين فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة والمجاهدة وكان يقول لا يتزحزح العبد عن النار إلا أن كف جوارحه عن معصية الله وتزين بحفظ أمانة الله وفتح قلبه لمشاهدة الله ولسانه وسره لمناجاة الله ورفع الحجاب بينه وبين صفات الله وأشهده الله تعالى أرواح كلماته وكان يقول الغل هو ربط القلب على الخيانة والمكر والخديعة والحقد هو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة وكان يقول اتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا وكان يقول عقوبة ارتكاب المحرمات بالعذاب وعقوبة أهل الطاعات بالحجاب لما يقع لهم فيها من سوء الأدب وعقوبة المراكنات ترك المزيد وعقوبة القلق والاستعجال هلاك السر وكان يقول من اعترض على أحوال الرجال فلابد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر موت بالذل وموت بالفقر وموت بالحاجة إلى الناس ثم لا يجد من يرحمه منهم وكان الشيخ مكين الدين الأسمر ﷺ يقول الناس يدعون إلى باب الله تعالى وأبو الحسن الشاذلي ﷺ يدخلهم على الله وكان الشاذلي ﷺ يقول من النفاق التظاهر بفعل السنة والله يعلم منه غير ذلك ومن الشرك بالله اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله قال الله تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤] وكان يقول من شفع طلبا للجاه والمنزلة أو لعرض الدنيا عذبه الله على ذلك ويتوب الله على من يشاء وكان يقول من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [الحج: ١٥] الآية وكان يقول أوصاني أستاذي رحمه الله تعالى فقال جدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وفوق كل شيء وقريبًا من كل شيء محيطا بكل شيء بقرب هو وصفه وبإحاطة هي نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن كان الله ولا شيء معه وكان ﷺ يقول من غفل قلبه اتخذ دينه هزؤا ومن اشتغل بالخلق اتخذ دينه لعبا وكان يقول إذا كان من يعمل على الوفاق لا يسلم من النفاق فكيف بغيره وكان ﷺ يقول الكاملون حاملون لأوصاف الحق وحاملون لأوصاف الخلق فإن رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر وإن رأيتهم من حيث الحق رأيت أوصاف الحق التي زينهم بها فظاهرهم وباطنهم الغنى تخلقا بأخلاق رسول الله ﷺ قال: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ [الضحى: ٨] أفتراه أغناه بالمال كلا وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع وأطعم الجيش كله من صاع وخرج من مكة على قدميه ليس معه شيء يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلا وكان يقول ضيق اليد شرف لكل الناس أو لقطب أو خليفة أو أمين لا يخون الله تعالى برؤية نفسه على من ينفق عليه من العيال والفقراء طرفة عين وكان يقول العلوم التي وقع الثناء على أهلها وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات وغموض الصفات فكانوا هناك بلا هم وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم فلهم فيها نصيب على قدر إرثهم من مورثهم قال النبي ﷺ العلماء ورثة

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي يقومون مقامهم على سبيل العلم والحكمة لا على سبيل التحقيق بالمقام والحال فإن مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم وكان يقول كل وارث في المنزلة الموروثة لا يكون إلا بقدر مورثه فقط قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الإسراء: ٥٥] كما فضل بعضهم على بعض كذلك فضل ورثتهم على بعض إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعين للحق وكل عين يشهد منها على قدرها وكل ولي له مادة مخصوصة وكان يقول الأولياء على ضربين صالحون وصديقون فالصالحون أبدال الأنبياء والصديقون أبدال الرسل فبين الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء والمرسلين منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله ﷺ يشهدونها عين يقين وهم قليلون وفي التحقيق كثيرون ومادة كل نبي وكل ولي بالأصالة من رسول الله ﷺ لكن من الأولياء من يشهد عينه ومنهم من تخفى عليه عينه ومادته فيفنى فيما يرد عليه ولا يشتغل بطلب مادته بل هو مستغرق بحالة لا يرى غير وقته ومنهم طائفة أيضا مدوا بالنور الإلهي فنظروا به حتى عرفوا من هم على التحقيق وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من ينكر كرامات الأولياء نعوذ بالله من النكران بعد العرفان وكان يقول أول منزل يطؤه المحب للترقي منه إلى العلا النفس فإذا اشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرق عليه أنوار المنزل الثاني وهو القلب فإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه ولم يبق منه عليه شيء أشرق عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح فإذا اشتغل بسياسته ومت له المعرفة هب عليه أنوار اليقين شيئًا فشيئًا إلى تمام نهاياته وهذه طريقة العامة وأما طريق الخاصة فهي طريق ملوك تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها وكان يقول ومن أمده الله تعالى بنور العقل الأصلي شهد موجودا لا حد له ولا غاية بالإضافة إلى هذا العبد واضمحلت جميع الكائنات فيه فتارة يشهدها فيه كما يشهد البناء يتنافى الهواء بواسطة نور الشمس وتارة لا يشهدها الانحراف نور الشمس عن الكوة فالشمس التي يبصر بها هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين وإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقى هذا الموجود فتارة يفنى وتارة يبقى حتى إذا أريد به الكمال نودي فيه نداء خفيا لا صوت له فيمد بالفهم عنه إلا أن الذي يشهده غير الله تعالى ليس من الله في شيء فهناك ينتبه من سكراته فيقول يا رب أثبتني وإلا أنا هالك فيعلم يقينا أن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله ﷻ فحينئذ يقال له أن هذا الموجود هو العقل الذي قال فيه رسول الله ﷺ أول ما خلف الله العقل فأعطى هذا العبد الذل والانقياد لنور هذا الموجود إذ لا يقدر على حده وغايته فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسمائه قطع ذلك كلمح البصر أو كما شاء الله تعالى نرفع درجات من نشاء ثم أمد الله تعالى بنور الروح الرباني فعرف هذا الموجود فرقي إلى ميدان الروح الرباني فذهب بجميع ما تخلى به هذا العبد وما تخلى عنه بالضرورة وبقي كلا موجود ثم أحياه الله تعالى بنور صفاته فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني فلما استنشق من مبادئ صفاته كاد يقول هو الله فإذا لحقته العناية الأزلية نادته إلا أن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن يصفه بصفة ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله لكن بنور

غيره يعرفه فإذا أمده الله بنور سر الروح وجد نفسه جالسا على باب ميدان السر فرفع همته ليعرف هذا الموجود الذي هو السر فعمى عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء فإذا أمده الله تعالى بنور ذاته أحياه حياة باقية لا غاية لها فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة ووجد نور الحق شائعًا في كل شيء لا يشهد غيره فنودي من قريب لا تغتر بالله فإن المحجوب من حجب عن الله بالله إذ محال أن يحجبه غيره وهناك يحي حياة استودعها الله تعالى فيه ثم قال يا رب أعوذ بك حتى لا أرى غيرك وهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العلي الأعلى وهو طريق المحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما يعطيه الله تعالى لأحدهم من بعد هذا المنزل لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة والحمد لله على نعمائه وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم فإنه ترق منه إليه إذ محال أن يتوصل إليه بغيره فأول قدم لهم بلا قدم إذ ألقى عليهم من نور ذاته فغيبهم بين عباده وحبب إليهم الخلوات وصغرت لديهم الأعمال الصالحات وعظم عندهم رب الأرضين والسموات فبينما هم كذلك إذا لبسهم ثوب العدم فنظروا فإذا هم لا هم ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم فصار نظرهم عدما لا علة له فانطمست جميع العلل وزال كل حادث فلا حادث ولا وجود بل ليس إلا العدم الذي لا علة له فلا معرفة تتعلق به اضمحلت المعلومات وزالت المرسومات زوالا لا علة فيه وبقي من أشير إليه لا وصف له ولا صفة ولا ذات واضمحلت النعوت والأسماء والصفات كذلك فلا اسم له ولا صفة ولا ذات فهنالك ظهر من لم يزل ظهور إلا علة فيه بل ظهر بسره لذاته في ذاته ظهورا لا أولية له بل نظر من ذاته لذاته في ذاته وهناك يحي العبد بظهوره حياة لا علة لها وصار أولاً في ظهوره لا ظاهرًا قبله فوجدت الأشياء بأوصافه وظهرت بنوره في نوره سبحانه وتعالى ثم يغطس بعد ذلك في بحر بعد بحر إلى أن يصل إلى بحر السر فإذا دخل بحر السر غرق غرقا لا خروج له منه أبد الآباد فإن شاء الله تعالى بعثه نائبا عن النبي ﷺ يحي به عباده وإن شاء ستره يفعل في ملكه ما يشاء فهذا عنبرة من طريق الخصوص والعموم فتنبه اهـ قلت وإنما سطرنا لك يا أخي هذه الأمور الخاصة بالمكملين من أهل الله تعالى تشويقا لك إلى مقاماتهم وفتحا لباب التصديق لهم إذا سمعتهم يذكرون مثل ذلك كما أشرنا إليه في خطبة هذا الكتاب يعني طبقاته وهذا الكلام لم أجده لغيره من الأولياء إلى وقتي هذا فسبحان المنعم على من يشاء بما يشاء والله أعلم اهـ كلام الشعراني رحمه الله وفي خاتمة نور الأبصار ما نصه تتميم في الكلام على مناقب القطب أبي الحسن الشاذلي ﷺ كانت ولادته ﷺ سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وقد نقل ابن عباد نسبه من كتاب اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين أبي سليمان داود السكندري بقوله هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي أبو الحسن علي الشاذلي عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ اهـ وفيه أنه لم يكن في أولاد الحسن بن علي من اسمه محمد له عقب وأن الذي أعقب من أولاد الحسن البسط زيد الأبلج وحسن المثنى كما نص عليه

غي رواحد قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم وهما الحسن وزيد اهـ فصوابه محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب اللهم إلا أن يقال أن ولد الابن ابن قال بعضهم علي أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية قرب تونس نشأ ببلده واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريرا ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار في الفضائل طيره وحمد في الطريق سراه وسيره نظم فرقق ولطف وتكلم على الناس فقرط الآذان وشنف وطاف وجال ولقي الرجال وقدم الإسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشي أكابر الفقراء والدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادي أمامه من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلي ﷺ ثم تحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية وسيرته النبوية وكان يقرأ ابن عطية والشفاء وأخذ عنه العز بن عبد السلام وله أجزاء محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة وقيل له من شيخك فقال أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش وأما الآن فإني أستقي من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية اهـ قال أبو الحسن صاحب الترجمة سألت الله أن يجعل القطب من بيتي فإذا النداء يا علي قد استجبنا لك وكان يقول قيل لي ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس عبد العظيم المنذري وما على وجه الأرض مجس في علم الحقائق أبهى من مجلسك وكان ﷺ يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبد السلام عز الدين وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وابن الصلاح وابن عصفور فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية من القاهرة ويقرأ ابن عطية والشفاء ويمشون بين يديه إذا خرج وكان ﷺ يقول إذا عرضت لك حاجة إلى الله فاقسم على الله بي قال الشيخ أبو العباس المرسي والله ما ذكرته في شدة إلا انفرجت ولا في أمر صعب إلا هان قال وأنت يا أخي إذا كنت في شدة فاقسم على الله به وقد نصحتك والله يعلم ذلك قال الشيخ أبو عبد الله الشاطبي كنت أترضى على الشيخ في كل ليلة كذا وكذا مرة وأسأل الله به في جميع حوائجي فأجد القبول في ذلك معجلاً فرأيت رسول الله ﷺ فقلت له يا رسول الله أني أترضى على الشيخ أبي الحسن في كل ليلة بعد صلاتي عليك واسأل الله به في حوائجي أفترى علي في ذلك شيئًا إذ تعديتك فقال لي أبو الحسن ولدي حسا ومعنى والولد جزء من الوالد فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل وإذا سألت الله بأبي الحسن فقد سألته بي اهـ من شرح البناني على الحزب وحج مرارًا قال ابن دقيق العيد ما رأيت أعرف بالله منه ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه يقدم عليكم مغربي زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فاحذروه فدخل الإسكندرية فآذوه فظهرت كرامات أوجبت اعتقاده ﷺ قال الشعراني في خاتمة المتن حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله أن سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي ﷺ كان يقول لا يكمل عالم في مقام العلم حتى يبتلى بأربع شماتة

الأعداء وملامة الأصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء فإن صبر على ذلك جعله الله إماما يقتدى به ولما شاع أمره في بلاد المغرب تجارأت عليه الأعداء والحسدة من كل جانب ورموه بالعظائم وبلغوا في أذيته حتى منعوا الناس من مجالسته وقالوا أنه زنديق ولما أراد السفر إلى مصر كتبوا إلى سلطان مصر مكاتبات أنه سيقدم عليكم مصر مغربي من الزنادقة أخرجناه من بلادنا حين أتلف عقائد المسلمين وإياكم أن يخدعكم بحلاوة منطقه فإنه من كبار الملحدين ومعه استخدامات من الجن فما وصل الشيخ إلى مدينة الإسكندرية حتى وجد الخبر بذلك سابقا على مقدمه فقال حسبنا الله ونعم الوكيل فبالغ أهل الإسكندرية في إيذائه ثم رفعوا أمره إلى سلطان مصر وأخرجوا له مراسيم فيها ما يباح به دم الشيخ فمد يده إلى سلطان المغرب وأتى منه بمراسيم تناقض ذلك فيها من التعظيم والتبجيل ما لا يوصف تاريخه عن مراسيمهم فتحير السلطان وقال العمل بهذا أولى وأكرمه ورده إلى الإسكندرية مكرما ولما تزايد عليه الأذى توجه إلى الله تعالى وذلك أنه أرسل له سلطان مصر يسأله الدعاء ويتعطف بخاطره فكف الناس عنه الأذى حرمة للسلطان وبعضهم داوم على الأذى وكتبوا فيه للسلطان وقالوا يا مولانا أنه سيماوي فتغير السلطان ثم أرسلوا إليه مكاتبات أنه يضرب الزغل وأنه كيماوي وحذروا الناس من مجالسته واتفق أن خازندار السلطان محمد بن قلاوون وقع في أمر يوجب القتل عند الملوك فأمر بشنقه فهرب واختفى بالإسكندرية وأقام عند الشيخ فبلغ الخبر السلطان فكتب إليه ما كفاك ضرب الزغل حتى أنك تؤوي غريم السلطان فأرسله ساعة وصول كتابنا إليك وإلا فعلنا بك وفعلنا فلم يرسله الشيخ فغضب السلطان وأرسل يتوعد الشيخ بالقتل ويقول له كيف تتلف مماليك السلطان فلما وصل إليه الخبر مع شخص من أخصاء السلطان قال له الشيخ معاذ الله أن نتلف أحدا من مماليك السلطان وإنما نحن نصلحه ثم قال لقاصد السلطان ائتنا بما شئت من الرصاص من حواصل السلطان حتى أريك الإصلاح فأتى بشيء كثير فألقاه الشيخ في فسقية جامع من غير ماء وقال للخازندار بل على هذا الرصاص فبال عليه فصار ذهبا خالصا فقال له أهذا إصلاح أم إفساد فقال إصلاح ثم أمر القاصد بحمل ذلك إلى خزانة السلطان فورنوا ذلك فوجدوه خمسة قناطير فقال هذا هدية لمولانا السلطان وقل له يرضى عن مملوكه فرضى عنه ثم أن السلطان نزل إلى زيارة الشيخ في الإسكندرية وأضمر في نفسه أن يعلمه صنعة الكيمياء فقال له كيماؤنا التقوى فاتق الله يعلمك حرف كن ثم لم يزل معظما للشيخ حتى مات اهـ وحكى المرسي ﷺ عن شيخه صاحب الترجمة قال صليت خلفه صلاة فشهدت ما بهر عقلي شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجوده حتى لم أستطع النظر إليه وقال المرسي ﷺ جلت في الملكوت فرأيت أبا مدين متعلقا بساق العرش فقلت له ما علومك فقال أحد وسبعون فقلت ما مقامك قال رابع الخلفاء ورأس السبعة قال فقلت فما تقول في الشاذلي قال زاد علي بأربعين علما وهو البحر الذي لا يحاط به ولما دخل الشاذلي ﷺ بالإسكندرية كان بها أبو الفتح الواسطي فوقف بظاهرها فاستأذنه فقال طاقية لا تسع رأسين فمات أبو الفتح في ليلته وذلك أن من دخل بلدا على فقير بغير إذن فمهما كان أحدهما

أعلا من الآخر سلبه أو قتله فلذلك ندبوا الاستئذان ومن كلامه ﷺ إن أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من الباقيات الصالحات وقال من أحب أن لا يعصى الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته ورحمته وقال ﷺ لا يشم رائحة الولاية من لم يزهد في الدنيا وأهلها إذا افتقرت فسلم وإذا ظلمت فاصبر واسكن تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة وقال ﷺ من آداب مجالسة الأكابر عدم التجسس على عقائدهم ومن آداب مجالسة العلماء عدم تحديثهم بغير المنقول وقال ﷺ رأيت أني مع النبيين عليهم الصلاة والسلام فقلت اللهم اسلك بي سبيلهم مع العافية عما ابتليتهم فهم أقوى مني فقال لي قل وما قدرت علينا من شيء فأيدنا فيه كما أيدتهم وقال ﷺ نمت ليلة في سياحتي فطافت بي السباع إلى الصبح فما وجدت أنسا كتلك الليلة فأصبحت فخطر لي أنه حصل لي من مقام الإنس بالله شيء فهبطت وأديا فيه طيور حجل فأحست بي فطارت فخفق قلبي رعبا فنوديت يا من كان البارحة يأنس بالسباع مالك وجلت من خفقات الحجل لكنك كنت البارحة بنا واليوم بنفسك وكلامه ﷺ كثير عال كبير تركناه مخافة التطويل وقد أفرد ابن عطاء الله ما يتعلق بالشيخ بالتأليف فكان مجلدا حافلا وقد ذكر الشيخ الشعراني في طبقاته نبذة عظيمة من كلامه فعليك به قلت وقد تقدمت برمتها ثم قال قال أبو الحسن صاحب الترجمة ﷺ رأيت الخضر عليه السلام فقال يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل وكان لك صاحبا في المقام والرحيل وصية عظيمة للشيخ وجدتها في حياة الحيوان قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ كن متمسكا بهذه الصفات الحميدة تفز بالدارين لا تتخذ من الكافرين وليا ولا من المؤمنين عدوا وارحل بزادك من التقوى في الدنيا وعد نفسك من الموتى واشهد لله تعالى بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة وحسبك عمل صالح وإن قل وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فمن كان متمسكًا بهذه الصفات الحميدة ضمن الله ﷻ له أربعة في الدنيا الصدق في القول والإخلاص في العمل والرزق كالمطر والوقاية بأمن الشر وأربعة في الآخرة المغفرة العظمى والقربة الزلفى ودخول جنة المأوى واللحوق لدرجة العليا وإن أردت الصدق في القول فداوم على قراءة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] وإن أردت السلامة من شر الناس فداوم على قراءة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١] وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة فداوم على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين نعم المولى ونعم النصير واقرأ سورة الواقعة وسورة يس فإنه يأتيك الرزق كالمطر وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقك من حيث لا تحتسب فالزم الاستغفار وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويفزعك فقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون وإن أردت أن تعرف أي وقت تفتح به أبوب السماء ويستجاب فيه الدعاء فاشهد وقت نداء المنادي فأجبه ففي الحديث من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادي والمنادي هو المؤذن وإن أردت أن تسلم من أمر يربكك فقل توكلت على الحي الذي لا يموت أبدا والحمد لله

الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك فقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم جلاء قلبي وذهاب همي وغمي فيذهب عنك همك وحزنك وإن أردت أن يداويك الله تعالى من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم فقل ما ورد في الحديث لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها دواء مما ذكر وإن أردت أن تنجو مما يصيبك من مصيبة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني وأبدلني خيرا منها ومنها حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله وعلى الله توكلنا وإن أردت أن يذهب همك ويقضى دينك فقل ما ورد عنه ﷺ حين سأله السائل فقال ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك ويقضى دينك قال بلى يا رسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والبخل وأعوذ بك من الدين وأعوذ بك من قهر الرجال وإن أردت أن توفق للخشوع فاترك فضول النظر وإن أردت أن توفق للحكمة فاترك فضول الكلام وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة فعليك بالصوم وقيام الليل والتهجد فيه وإن أردت أن توفق للهيبة فاترك المزاح والضحك فإنهما يسقطان الهيبة وإن أردت أن توفق للمحبة فاترك فضول الرغبة في الدنيا وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك فاترك التجسس على عيوب الناس فإن التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان وإن أردت أن توفق للخشية فاترك التوهم في كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق وإن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء فاترك الظن السيئ لكل من الناس وإن أردت أن لا يموت قلبك فقل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت وإن أردت أن ترى النبي ﷺ يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فأكثر من قراءة ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١] ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار: ١] ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١] وإن أردت أن ينور وجهك فداوم على قيام الليل وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجاسات وأكل المحرمات وارفض الشهوات وإن أردت أن تكون أغنى الناس فلازم القناعة وإن أردت أن تكون خير الناس فكن نافعا للناس وإن أردت أن تكون أعبد الناس فكن متمسكا بقوله ﷺ من يأخذ عني هؤلاء الكلمات ليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي وعد خمسًا وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وإن أردت أن يكمل إيمانك فحسن خلقك وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين ففي الحديث إذا أحب الله عبدا صير حوائج الناس إليه وإن أردت أن تكون من المطيعين فأد ما فرض الله

عليك وإن أردت أن تلقى الله نقيا من الذنوب فاغتسل من الجنابة ولازم غسل الجمعة تلق الله وما عليك ذنب وإن أردت أن تحشر يوم القيامة في النور الهادي وتسلم من الظلمات لا تظلم أحدا من خلق الله تعالى وإن أردت أن تقل ذنوبك فالزم دوام الاستغفار وإن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق كالمطر فلازم الطهارة الكاملة وإن أردت أن تكون آمنا من سخط الله تعالى فلا تغضب على أحد من خلق الله تعالى وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الربا وأكل الحرام وأكل السحت وإن أردت أن لا يفضحك الله على رؤوس الأشهاد فاحفظ فرجك ولسانك وإن أردت أن يستر الله عليك عيبك فاستر عيوب الناس فإن الله ستار يحب من عباده الستيرين وإن أردت أن تمحي خطاياك فأكثر من الاستغفار والخضوع والخشوع والحسنات في الخلوات وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلف والتواضع والتصبر على البلية وإن أردت أن السلامة من السيئات العظام فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار فعليك بإخفاء الصدقة وصلة الرحم وإن أردت أن يقضي الله عنك الدين فقل ما قاله النبي ﷺ للأعرابي حين سأله وقال ﷺ له لو كان عليك مثل الجبال دينا أداه الله عنك فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك وفي الحديث لو كان على أحدكم جبل من ذهب دينا فدعا بذلك لقضاه الله عنه وهو اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عمن سواك وإن أردت أن تنجو من هلكة فالزم ما في الحديث إذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء والورطة بفتح الواو وإسكان الراء الهلاك وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد في الحديث اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم أو نقول اللهم اكفنا بما شئت وكيف شئت إنك على كل شيء قدير وإن أردت أن تأمن سلطانا فقل ما ورد في الحديث لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك لا إله إلا أنت ويستحب أن يقول ما تقدم اللهم إنا نجعلك في نحورهم الخ وفي الحديث إذا أتيت سلطانا مهابا تخاف أن يسطو عليك فقل الله أكبر الله أكبر الله أعز من خلقه جميعا الله أعز وأكبر مما أخاف وأحذر والحمد لله رب العالمين وإن أردت ثبات القلب على الدين فادع بما أسند مرفوعا أنه كان من دعائه ﷺ اللهم ثبت قلبي على دينك وفي رواية يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك اهـ توفي أبو الحسن الشاذلي ﷺ سنة ست وخمسين وستمائة وهو قاصد الحج في شهر رمضان ودفن بصحراء عيذاب بحميثرا من الصعيد وكان ماؤها أجاجا فعذب ومن كراماته زيادة على ما سبق ما نقله ابن بطوطة في رحلته قال أخبرني الشيخ ياقوت العرشي عن شيخه الشيخ أبي العباس المرسي ﷺ أن أبا الحسن الشاذلي ﷺ كان يحج كل سنة فلما كان في أخر سنة خرج فيها قال لخادمه استصحب فسأوقفه وحنوطا فقال له الخادم ولماذا يا سيدي فقال في حميثرا سوف ترى وحميثرا بصعيد مصر في صحراء عيذاب فلما بلغ حميثرا اغتسل الشيخ أبو

الحسن الشاذلي ﷺ وصلى ركعتين فقبضه الله تعالى في أخر سجدة من صلاته ودفن هناك قال وقد زرت قبره وعليه قبة مكتوب عليها نسبه إلى الحسين ﷺ كذا بالنسخة التي بيدي وهو مخالف لما مر من أن نسبه ينتهي إلى الحسن ومن حفظ حجة والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب اهـ وفي سلوة الأنفاس في ترجمة الشيخ الإمام الفرد الهمام السيد الجليل الفاضل أبي حفص سيدنا ومولانا عمر ابن سيدنا ومولانا إدريس الأزهر ابن سيدنا ومولانا إدريس الأكبر ﷺ ما نصه وكفاه يعني سيدنا ومولانا عمر ﷺ فضلا وفخرا وشرفا وذكرا أن من ذريته الشيخ الإمام مفتي الإسلام القطب الشهير والغوث الكبير شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة تقي الدين أبا الحسن سيدي عليا بن عبد الله بن عبد الجبار الغماري المالكي الشاذلي العيذابي ﷺ على ما هو التحقيق في نسبه حسبما حرره الشيخ القصار والإمام الأقصرائي في كتابه نفحات الصفا وصاحب النبذة المفيدة قبلهما وهو تقي الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري سبط الإمام الشاذلي المذكور وما عند ابن عطاء الله في لطائف المنن وتبعه البوصيري في داليته وغيره من رفع نسبه من طريق محمد بن الحسن السبط غلط واضح نبه عليه القصار وغيره لأن محمدا هذا لم يعقب كما نص عليه ابن حزم في فهرسته وغيره وكذا ما في شرح المواهب من أنه من ذرية محمد بن الحنفية لا يصح أيضا وفي الروضة المقصودة للشيخ أبي الربيع مولانا سليمان بن محمد الحوات رحمه الله ما نصه والقطب الشاذلي ﷺ ينتهي نسبه إلى مولانا إدريس بن إدريس ﷺ من طريق ولده عمر دفين جامع الشرفاء من فاس مع أبيه حسبما حرره الشيخ النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي الغرناطي ثم الفاسي نقلا عن النبذة المختصرة المفيدة لسبط القطب الشاذلي ﷺ اهـ ورفع نسبه ﷺ على ما هو التحقيق هكذا أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم ابن قصي بن يوسف وقيل ثقيف موضع يوسف بن يوشع بن ورد بن علي المكنى بأبي طالب وقيل بطال بدل علي ابن أحمد بن محمد بن عيسى المكنى بأبي العيش بن يحي بن إدريس الثالث بن عمر المخاضي نسبة لسكناه بالمخاض ظاهر طنجة ابن إدريس المثنى بن إداريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين ومنشؤه ﷺ بالمغرب يبنى زرويل من الأخماس قرب شفشاون ومبدأ ظهوره بشاذلة قرية من قرى أفريقية قرب تونس سكنها مدة وإليها نسب ونزل الإسكندرية وحج مرارا ومات بصحراء عيذاب قاصدا الحج فدفن هناك بحميثرا من الصحراء المذكورة وذلك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة وكانت ولادته على الصحيح ببلاد غمارة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة على ما ذكره بعضهم وقيل بل إنما كانت بعد التسعين وخمسمائة وأشهر الطرق بالمشرق والمغرب طريقته وله طريقتان طريقة تبرك أخذها عن الشيخ الولي سيدي محمد بن حرازم ابن الشيخ أبي الحسن علي بن حرازم وطريقة إرادة وهي التي أخذها عن الشيخ القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش ﷺ واشتملت طريقته على السلوك والجذب والمجاهدة والعناية والأدب والقرب والرعاية وتشيدت بالعالمين الظاهر والباطن من سائر أطرافها وقرنت بصفات الكمال شريعة وحقيقة من جميع

أكنافها وقد نقل الشيخ زروق عن بعض المشايخ من أهل الورع أنه كان يقول للحالف أن يحلف ولا يستثنى على أن طريق الشاذلية عليها كانت بواطن الصحابة ﷺ وللبصويري رحمه الله:

إن الإمـــــام الشـــــاذلي طريقــــه في الفضـل واضـحة لعـين المقتـدى

فانقـــل ولـــو قـــدما علـــى آثاره فــإذا فعلــت فــذاك أخــذ باليــد

وأحواله ومناقبه أفردت بالتأليف اه قلت والتآليف في التعريف بالشيخ سيدنا ومولانا أبي الحسن الشاذلي ﷺ استقلالا كثيرة منها لطائف المنن لابن عطاء الله ﷺ والمفاخر العلية لابن عباد ﷺ والأذكار العلية والأسرار الشاذلية له أيضا ودرة الأسرار وتحفة الأبرار فيما للشيخ الولي العارف المحقق الصديق القطب الغوث أبي الحسن علي من الأحوال والمقامات والخوارق والكرامات والدعوات والأذكار للعالم الجليل أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي القاسم الحميدي المعروف بابن الصباغ ﷺ وغير ذلك من التآليف فيه وفي أسرار طريقه ووجوه فضيلتها جعلنا الله من أهلها وقد وقفت على تأليف عجيب للشيخ الإمام الجهبذ الهمام العارف الرباني والولي الصمداني القدوة الأمجد المربي الأوحد المرحوم بكرم الله أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد بن مسعود بن عبد الرحمن بن عقبة المدغري الحاجي قبيلة الفاسي الشاذلي طريقة المدني خرقة وإرادة ﷺ ونفعنا به ذكر فيه خمسة وعشرين وجها من الوجوه التي فضلت بها الطريق الشاذلية غيرها من الطرق ولنتمم الفائدة بذكرها هنا تقوية وتنشيطا لقلوب السالكين وترقية لهم الأخوان الصادقين غير أني أذكر مختصرها برمته نصا ومطولها مختصرا أو بالمعنى تقريبا وتسهيلا وتبشيرا وأشير إلى ما اندمج فيه أعني المطول من المباحث الرفيعة تنبيها لمن أراد مراجعتها فيه وعلى الله الكمال وإليه المرجع في الحال والمآل فنقول مستعينا بالله الكريم المفضال وعطفة سيد الأرسال صلى الله عليه وآله وسلم عدد ما وسعه علم الله الكبير المتعال الوجه الأول أنهم مختارون من اللوح المحفوظ الثاني أن مجذوبهم يرجع إلى الصحو الثالث أن القطب لا يكون إلا منهم الرابع أنهم مأمونون من السلب الخامس أن المريد إذا أتاهم يلقنونه الاسم الأعظم لأنه للتعلق وهو اسم الذات ولذلك يقال لهم الذاتيون وهذا الاسم مخصوص بهم وإذا أطلق عند القوم فالمراد بهم أهل الطريقة الشاذلية السادس أن شيخ التربية لا ينقطع من طريقهم إلى يوم القيامة السابع أن الولي لا تكمل ولايته إلا إذا ختم بالطريق الشاذلية الثامن أن بواطنهم منطوية على ما كانت منطوية عليه بواطن الصحابة ﷺ من التوحيد الخالص الذي هو توحيد الأنبياء والرسل عليهم السلام التاسع أن المبتدئ إذا دخل طريقهم بصدق طوية وحسن سريرة يجتمع من أول وهلة بالنبي ﷺ يقظة وتدوم معه إلى أن يحصل له الوصول ويتمكن فيه فحينئذ لا يفارقه النبي ﷺ أبدا م ساق مقالة الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ وهي والله لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين وذكر أن سيدي أبا العباس المرسي وسيدي أحمد بن عطاء الله وسيدي عليا وفا ووالده محمدا بحر الصفا وسيدي داود الباخلي وسيدي أحمد زروقا وشيخ شيوخنا سيدنا ومولانا العربي الدرقوي وتلميذه الشيخ سيدي محمد بن حمزة ظافرا المدني قدس الله أرواحهم الطاهرة وأسرارهم العزيزة كلهم قالوا

مثل مقالة الإمام الشاذلي ﷺ قال وهذا خاص بأهل الطريقة الشاذلية وإن كان غيرهم من أهل الطرق لهم الاجتماع به ﷺ لكن لم ينخرق الحجاب بينهم وبينه مثل ما انخرق لأهل الطريقة الشاذلية ﷺ وثبتنا على منهجهم القويم العاشر شهادة من عاصر الإمام الشاذلي ﷺ من سلاطين العلماء وسادات العصر الأعيان الفضلاء كالشيخ عز الدين بن عبد السلام والإمام القسطلاني وابن دقيق العيد والمنذري وشمس الدين الأصفهاني وتقي الدين السبكي وابن سراقة وابن عصفور بولايته وخصوصيته وظهوره بالحق المبين وكلهم أخذوا عنه العهود والأوراد وكانوا يحضرون معه في مجالس الذكر والسماع ويتبركون بدروسه التفسيرية والحديثية في المدرسة الكاملية بمحروسة مصر وذكر أن جماعة من أولياء وقته وعلماء زمانه أيضا وكذا من أتى بعدهم من أهل المشرق والمغرب مدحوا طريقه المباركة نظما ونثرا وسرد جملة منهم وذكر بعض ما لهم في ذلك ﷺ الحادي عشر أن أهل الديوان ﷺ وجعلنا منهم كلهم شاذلية ولا يدخل أحد من أهل الدائرة والعدد للديوان إلا إذا تشذل وإن بلغ الولاية في طريق غيرها فإذا دخل الديوان أخذ الطريقة الشاذلية عن الغوث لأنها أمان للولي من السلب وسوء الخاتمة والعياذ بالله الثاني عشر أن المريد إذا دخل الطريقة الشاذلية صادقا مخلصا قاطعا للعوائق والعلائق حصل له الفتح في أقرب وقت وأسرع مدة لأنها طريقة الاجتباء قال الله تعالى يجتبى إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب وإن كانت بدايتها إنابة ونهايتها اجتباء الثالث عشر أن الطريقة الشاذلية طريقة التربية بالهمة والحال والمقال ثم ساق ما يشهد لهذا الموضوع من كلام الله تعالى وكلام أهل التواضع والفتح والخشوع الرابع عشر أنهم جامعون بين الشريعة والحقيقة ظواهرهم معمورة بالمتابعة في الماضي والآن وبواطنهم مستنيرة بمشاهدة أنوار الذات وأنهم لا يحجبون بجمع ولا فرق يعطون كل ذي حق حقه ويوفون كل ذي قسط قسطه وهذه حالة كمل العارفين ﷺ وجعلنا منهم آمين الخامس عشر أن علومهم مؤيدة بالكتاب والسنة السادس عشر أن إمامها الأكبر سيدي أبا الحسن الشاذلي ﷺ كان هيكلا ذاتيا ولطيفة ربانية وأنه وكذا جميع من اتصل بسند طريقه إلى قيام الساعة كلهم ذاتيون وأنه لا تطلق هذه النسبة على غيرهم من أرباب الأحوال المجاذيب وأهل الشطحات ولو ظهرت منهم الخوارق بكثرة فإنهم من عامة الأولياء الصفاتيين لا من خواصهم الذاتيين وبين ﷺ معنى الذاتيين والصفاتيين بما يسر البال فراجعه تحظ بكل نوار وتطرب في الحال والمآل السابع عشر أن الإمام المهدي الذي يكون أخر الزمان رتبته في الولاية كرتبة سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما لأنه خليفة الله وهيكل ذاته لطيفة إلهية وذات صمدية ثم علل ذلك ﷺ بما يثلج الصدر الثامن عشر أنه لم يثبت عن أحد من مشايخ الشاذلية انجذاب أحد من مريديهم حتى غاب عن إحساسه وفني عن عالم جنسه حتى هتك أسرار الحقيقة وتفوه بما نهت عن إظهاره الشريعة إذ لا يصدر هذا إلا من ضعف المشاهدة أما من الشيخ حيث زقه بما لا يطيقه لعدم تمكنه وإما لضعف استعداد التلميذ وفتور مجاهدته أو وقوفه مع شهوته وبسط الكلام في هذا الموضوع بما يسر أهل الخشوع التاسع عشر أنه لا تطلق سلسلة الذهب عند أهل الله الأعلى أهل الطريقة الشاذلية لأنها مسلسلة

بالأقطاب ومعنعنة بهم العشرون أنهم لا يخفون أنفسهم ولا ويتهم ثم علل ذلك ﷺ بما يسر البال بحول الله الكبير المتعال الحادي والعشرون أن الطريقة الشاذلية طريقة الغنى بالله والفقر إلى الله ورفض ما سواه ثم بسط الكلام على هذا الموضوع وبين أسرار تخليهم ﷺ عن الدنيا القاطعة عن الله وذكر سندهم في لبس الخرقة والمرقعة وبعض الأكابر من السلف والخلف الذين لبسوها وسرد جماعة من تلاميذ الشيخ الأكبر مولانا العربي الدرقوي الذين كانوا يلبسونها ويلبسونها ﷺ وأكرمنا بما به أكرمهم بمنه آمين وذكر أن كثرتهم نفعنا الله بهم بلغت حدا لا يدخل تحت حصر وجلهم علماء فضلاء ثم ذكر سبب كثرتهم وانتشارهم في الوجود شرقا وغربا بدوا وحضرا وبين بعض أحوالهم في التوكل على الله وما أنتجه لهم من كمال الراحة الحسية والمعنوية ومقصود الأكابر المشايخ باجتماع المريدين عليهم بيانا يقضي بكمال الفتح والتيسير في الحس والمعنى في المقام والمسير الثاني والعشرون أن القطب الكامل مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ ضمن له النبي ﷺ أن طريقه لا ينقطع منها شيخ التربية إلى يوم القيامة ثم استدل على ذلك بدلائل قطعية لا متكلم فيها عند أهل النهي وبين بعض أحوال أهل هذه الطريقة المباركة في كمال التراحم والتناصح في الله وما هم عليه من كمال الغض والصفح والاعتناء بإصلاح بواطنهم التي هي بيت القصيد بإجماع أهل الرأي السديد الثالث والعشرون أنهم يعاملون أعداءهم بما يعاملون به أحبابهم من مكارم الأخلاق والسر في ذلك الرابع والعشرون انتشار رجال هذه الطريقة في الأرض انتشار الشمس في الطول والعرض وانتفاع الوجود بأذكارهم ومذاكراتهم والتوسل بإمامها إلى الله تعالى في قضاء الحوائج والمهمات في الماضي والآت وأن أهل المحشر يزدحمون يوم القيامة على الطريقة الشاذلية جعلنا الله منهم الخامس والعشرون الجواب عن كون أهل هذه الطريقة المباركة المحمدية مختارين من اللوح المحفوظ وهل ذلك كان في عالم الأشباح أو في عالم الأرواح ولماذا لا يكون القطب إلا منهم دائما وبسط الكلام ﷺ في أسرار هذا الموضوع وبين أن الشيخ الحي لابد لكل أحد منه وإن بلغ ما بلغ وأنه لا يصح الاكتفاء بالأموات في طلب الوصول لأن الولادة المعنوية كالولادة الحسيسة وذكر ما يؤيد ذلك نقلاً وعقلا وسنده في الطريق وذكر أيضا أن الشيخ الأكبر مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ سمع هاتفا ينوه بالشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش يوم ولادته وأنه مشى إليه من طريق الطي يومها ومسح عليه ودعا له ﷺ وأن سيدنا ومولانا عبد السلام ابن مشيش شيخ الأقطاب الثلاثة سيدي أبا الحسن الشاذلي وسيدي إبراهيم الدسوقي وسيدي أحمد البدوي ﷺ أجمعين وذكر أيضا السر في اختصاص هذه الطائفة بالقطبانية الكبرى دون غيرها من الطرق ثم ختم ﷺ بأسرار عجيبة وفوائد غريبة فعليكم بما بسطه فيها يا أهل الفتح تظفروا بكل خير وربح جزاه الله خيرا وكافاه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنه وكرمه آمين

وأما الدرقوية فنسبة إلى أصل مددها وعنصر مشربها وقطب دائرتها الذي تدور عليه وهو شيخ شيوخنا العارف الأكبر القطب الأشهر الشريف الحسني سيدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الدرقوي ﷺ ونفعنا

به وجعلنا على عهده وأثره إلى لقاء الله وحشرنا في زمرته آمين وقد بسطت ترجمته في الجملة في طبقاتنا وذكرت بعض مآثر طريقه ومناقبها ومزاياها ونقلت ما للأكابر في ترجمته ومنه ما ترجمه به العلامة الأمجد الصوفي الأوحد ملين القلب القاسي أبو العباس سيدي أحمد بن الخياط الفاسي ﷺ ونفعنا به ولنشر إلى ذلك باختصار فنقول هو الشيخ الإمام الغوث الهمام العارف الرباني المحقق الصمداني شيخ المشايخ العارفين وقدوة الصدور المربين الواصلين الكاملين من بالنظرة والعطفة يداوي ولغير سيده ومولاه لا يأوي الشريف الحسني أبو المعالي مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي قال الشيخ أبو العباس المذكور بعد التحلية المتقدمة فهو ﷺ من ساداتنا الشرفاء أهل بيت الرسول المصطفى الذين عنهم الرجس انتفى وشمس مجدهم ما لها خفا من الفرقة التي لقبها الدرقاويون وهم في بقاع من الأرض منتشرون وفي أماكنهم معظمون وبحيازة النسب الشريف معروفون ذكرهم غير واحد من أهل التآليف ورفع نسبهم الشريف في الكتب والتصانيف عند ملوك الإسلام بأيديهم ظهائرهم الآمرة بتعظيمهم بين الأنام سيما ظهائر الشريف الجليل أمير المؤمنين مولانا إسماعيل فقد بحث عن الأشراف وميز اليواقيت من الأصداف واستعمل النظر وتوج بطابعه الشريف من له الدليل المعتبر قال أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين سيدي محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا إسماعيل في ظهير له ما نصه ولا يحل لنا أن نهمل ما أظهره الله بالمواجب الشرعية والظهائر السلطانية لأن الملوك الأقدمين كانوا لا يجددون جديد إلا بعد شهادة أهل بلادهم لهم بتحقيق نسبهم وقال في هذا الظهير أيضا قبل هذا ما نصه ويعلم ويتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا على أن النسب المقطوع به في غربنا من غير شك ولا ريب هو ما أدخل في دفتر مولانا الجد رحمه الله بعدما تحقق أمره لأن ملكه اتبع القرى والمداشر والحواضر وشهدت لهم الكافة والجمهور وحقق من دفتر أبي العباس المنصور وبحث فيه أولاً وثانيًا فإذا هو مشهور وبوجوده رحمه الله انقطعت شوكة أهل الظلم والجور والجراءة والعناد بالكذب على سيد العباد اهـ المراد منه ونحوه لمولانا سليمان في ظهير له وذكر فيه مولانا العربي ﷺ ووصفه بالزهد والمعرفة بالله في قضية ذكرها في شأنه ولاشك أن هذه الطائفة من الأشراف منتشرة وفي مواضعها مشتهرة ففرقة منها بفاس دفع الله تعالى عنها كل بأس بالعيون تعرف بأولاد ابن عبد النبي وكانت في هذه الفرقة المباركة النقابة زمن مولانا إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولانا سليمان كما وقفت على ذلك في غير موضع ومنها فرقة بسوس الأقصى ومنها فرقة بساحل دكالة بثغر مدينة آسفى التي بها ضريح الولي الصالح الشهير الواضح أبي محمد صالح شيخ الشيخ الكبير أبي مدين الغوث نفعنا الله به والكثير منها بقبيلة بني زروال وكلهم أهل حياء وسخاء ومسكنة وعفة وجدهم الذي ينتسبون إليه هو الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف الملقب بأبي درفة كان ﷺ عظيم القدر شهير الذكر وكان ﷺ عالما عاملا زاهدا كثير القيام والصيام والصدقة يختم القرآن كل يوم مجاهدا في سبيل الله وكانت له درفة كبيرة يتوقى بها في الحروب فصار يقال له أبو درقة وضريحه مشهور للزيارة عليه قبة متقنة مسنة بقبيلة الشاوية قريبا من وادي أم الربيع وهو من ذرية مولانا أحمد ابن

مولانا إدريس ابن مولانا إدريس ﷺ وقد كان الشيخ مولانا العربي ﷺ في حال شبابه تحير في أمر نفسه فأراه الله تعالى ذلك عيانا وكشف له عن نور كالنور الذي تسميه العامة عروسة المطر ضاربا قوسا من النبي ﷺ إلى مولانا إدريس ومن مولانا إدريس إلى سيدي أبي درقة ومن سيدي أبي درقة إلى والد مولانا العربي ﷺ وهذا التحير كثيرا ما يعتري الأفراد من آل البيت ﷺ وسببه شدة التعظيم لهذا النسب الشريف وخوف الدعوى وهذا الخوف من الورع وإلا فكل من وجد قومه وآباءه يدعون نسبا حرم عليه أن يدعي خلافه إلا أن يتحقق خلاف ذلك وكذب آبائه اهـ قلت قول الشيخ سيدي أحمد بن الخياط فيما تقدم أبي محمد صالح شيخ الشيخ الكبير أبي مدين الخ خلاف الصواب ولعله تحريف من أهل المطبعة والصواب تلميذ الشيخ الكبير الخ لأن الشيخ أبا مدين بن الغوث هو شيخ الشيخ أبي محمد صالح وعمدته في الطريق حسبما في المنهاج الواضح ولد الشيخ المترجم له ﷺ بعد الخمسين والمائة والألف بقبيلة بني زروال ذات البركات المتكاثرة والأنوار الساطعة بعطفة سيد الأرسال فهي قبيلة مباركة ولها منافع وخواص شهيرة منها حسبما نقله أبو العباس المذكور أن بها أولاد الخلفاء الأربعة ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ ومنها أن الولي الكبير الأستاذ الشهير سيدي الحاج ابن فقيرة الزرو إلى قرأ سلكة برواية السبع في الروضة الشريفة روضة النبي ﷺ فلما ختمها أجابه ﷺ وقال له هكذا أنزل علي أيها الإمام الزرو إلي بارك الله فيك وفي قبيلتك الزروالية ومنها ما جمع الله فيها من الزروع والضروع والعنب والزيتون والفواكه وشجاعة أهلها وكان هذا الشيخ مولانا العربي ﷺ يقول الناس يقولون من مس ثوبه ثوب الزروالي يربح ولا يخسر وكأنه ﷺ أشار بهذا الكلام لنفسه تحدثا بنعم الله تعالى ونصيحة لعباد الله فإن أولياء الله تعالى إكسير القلوب من رآهم سعد بهم سعادة لا يشقى بعدها وكونه ﷺ زرواليا ولادة ومنشأ ونسبه لا ينافي كونه من أعيان آل بيت الرسول ﷺ لما اشتهر عند المحدثين أن من أقام بموضع أربع سنين ذهب إليه وصحت نسبته إليه نشأ ﷺ عند أهله في عفاف وصيانة وحياء ومروءة وكان وقت صباه مشتغلا بالقراءة والزيارة لا يعرف إلا الأخيار مؤيدا محفوظا قال ﷺ هممت مرة بمعصية في حال الصبا مع بعض من تتعلق الشهوة به فخرجت بجسمي قروح كثيرة عند ورود خاطر السوء على قلبي فاستغفرت الله فذهب ما بي في الحين فضلا من الله ونعمة حفظ القرآن في السلكة الأولى حفظا متقنا وكان محبوبا عند جميع من رآه قال ﷺ كنت أسلك للطلبة ألواحهم وكثيرا ما أقبض اللوح بيدي وأقول لصاحبه قبل أن أنظر فيه هذا اللوح ثقيل فيه كذا وكذا خسارة أو خفيف ما فيه إلا كذا وكذا أو لا شيء فيه فلا أجد إلا ما أخبرتهم به إلهاما من الله سبحانه وكانت حاله في القراءة عدم التكلف بل يكتب اللوح ويتأمله قليلاً ويتركه ويشتغل بالكتابة لألواح الطلبة والسرد معهم وكذلك كانت قراءته للسبع حتى حفظها ثم اشتغل بقراءة العلم بفاس بالمدرسة المصباحية مدة صالحة ثم لقي الشيخ الكبير العارف الشهير الشريف المنيف أبا الحسن سيدي عليا المعروف بالجمل نفعنا الله به بعدما تكررت منه الزيارة لمولانا إدريس ابن إدريس رضي الله عنهما قيل قرأ بضريحه ستين سلكة في طلب الشيخ المرشد ولما

ختم الختمة المكملة للستين بكى بكاء شديدا إلى أن احمرت عيناه وخرج من ضريح مولانا إدريس فمر بالشريف سيدي حميد من حفدة القطب الشهير العارف الكبير مولانا عبد العزيز الدباغ من ابنته فقال له وكان منظورا عنده وعند غيره بالتعظيم مالي أراك على هذه الحالة وألح عليه فأخبره بأنه اضطر إلى من يأخذ بيده فقال له أنا أدلك عليه إذا لم تشاور عليه أهل الرأي القاصر والعقل الفاتر وقد قال الشريشي في رائيته:

ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة خلي من الأهواء ليس بمغتر

قال فقلت ومن هو فقال هو الشيخ الجليل الشريف الأصيل الغوث الجامع والبحر الواسع أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمل ﷺ وقد قال الشيخ المترجم ﷺ وكان عادتي أن لا أقدم على أمر من الأمور جليلا أو حقيرا إلا بعد الاستخارة النبوية فاستخرت الله في تلك الليلة فبت أخوض في صفاته كيف هو وكيف تكون ملاقاتي معه حتى لم يأخذني النوم تلك الليلة ولما صليت الصبح قصدته لزاويته بالرميلة التي ضريحه بها الآن مشهور مقصود للزيارة فدققت الباب فإذا به قائم يشطب الزاوية إذ كان لا يترك تشطيبها بيده المباركة كل يوم مع كبر سنه وعلو شأنه فقال إيش تريد قلت يا سيدي أن تأخذ بيدي لله فقام معي قومة عظيمة ولبس الأمر علي وأخفى عني حاله وصار ي قول من قال لك هذا ومن أخذ بيدي أنا حتى آخذ بيدك وزجرني ونهرني وكل ذلك اختبارا لصدق فوليت من عنده قال فاستخرت الله تلك الليلة أيضا فصليت الصبح وقصدته لزاويته أيضا فوجدته على حاله يشطب الزاوية ﷺ فدققت الباب ففتح لي وقلت تأخذ بيدي لله فقبض على يدي وقال لي مرحبا بك وأدخلني لموضعه بالزاوية وفرح بي غاية الفرح وسر بي غاية السرور فقلت له يا سيدي كما لي أفتش على شيخ فقال لي وأنا كم أفتش على مريد صديق فلقنني الورد وقال لي أمش وجئ فكنت أمشي وأجئ كل يوم فيذكرني مع بعض الإخوان من أهل فاس حرسها الله من كل بأس ولزم شيخه سنين ولما فجأه الفتح المبين وتمكن من حاله غاية التمكين وأراد الله نفع العباد به خرق عنان عنايته إلى الانتقال من فاس إلى بلده قبيلة بني زروال حيث هو الآن بها فاستأذن شيخه حينئذ في الرحيل بأولاده فأذن له بذلك ﷺ ونفعنا به وأما سيرته وأحواله وأقواله وأفعاله فقد كان بحرا لا ساحل له وقد تكلم على ذلك في الجملة غير واحد من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه كمولانا الوالد في الفتح الوهبي والشيخ سيدي المهدي ابن القاضي في النور القوي والعارف بالله أبي العباس المتقدم وغير هؤلاء السادات ﷺ وكل ذكر رشحة من بحره الطامي بحسب ما سمح له به الوقت وتجلت له به الحضرة ومن ذلك ما نقله الشيخ أبو العباس المذكور جزاه الله الكريم الشكور ونصه ولنذكر جملة من سيرة مولانا العربي ﷺ في بدايته وسلوكه وبيان روايته ونسكه وجملة من أحواله التي أدركه أصحابه عليها أما أحواله ﷺ في بدايته وسلوكه فمعظمها زهده في الدنيا وتجرده عنها حسا ومعنى وتحققه بوصفه ومخالفته لنفسه وتركه للأخف عليها ومتابعته لما يثقل عليها إذ لا يثقل عليها إلا ما كان حقا وأسرع إجابة فتحا كما قال ﷺ وإقباله على الحق وإعراضه

عن جملة الخلق لا يبالي بهم مدحوه أو ذموه وتمسكه بالفاقة والافتقار وإيثار للذلة والاحتقار وحذره مما ألفه الناس من الجمع والادخار لا يترك من عشائه لغدائه ولا من غدائه لعشائه بل يأخذ قدر ما يقيم به بنيته وبنية عياله ويخرج الباقي لعباد الله وهذا مسلك عظيم لا يقدر عليه إلا من أقدره الله عليه قال الشيخ الإمام العلامة النحرير العارف المكاشف الكبير ولي الله تعالى أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة المنجري الحسني مكث مولانا العربي على هذه الحالة الموصوفة خمسا وعشرين سنة لا يترك من عشائه لغداء ولا من غدائه لعشائه بل حتى ما يكون في المصباح من دهن الفتيلة ثقة بالله واعتمادا على الله واعتصاما بالله وكان تأتيه الفتوح من عند الله ولا يأخذ منها إلا قدر ضرورته وزوجه وأولاده منها وهم جماعة كالطير في وكرها غدوا وأصيلا حتى أتاه الإذن من الله فكان يأخذ بالله كما كان يترك لله وصار يزيد بكل شيء ولا ينقص منه شيء وكان ﷺ في ابتداء أمره يلبس الخشن كالتليس وكالدربال والغرارة والكساء الغليظ جدا المخطط بالسواد أو القشابة المقلوبة وحدها والشاشية البالية النقية المرشوقة بل كان يردف الشواشي على بعضها فوق رأسه ثلاثا أو أربعا ويحمل على ظهره قرابين أو ثلاثة وأما تعرية الرأس والمشي بالحفاء والسؤال بالأسواق وغيرها والجلوس على المزابل مع الحذر من النجاسة والرقاد بالطريق وحمل القربة على الظهر وإعطاء الماء لله إلى غير ذلك من أحوال الملامتية وأفعالهم التي تبعد من الخلق وتقرب من الملك الحق ولا يفعلها إلا المخلق الذي لا يبالي بنفسه ولا يرائي أبناء جنسه فكان على كثير منها بل كان على أحوال غريبة ونوافل شاقة على النفوس صعبة وكلامه في رسائله مشحون بما يدل على ذلك وقد نال ﷺ من الله تعالى بهذه الرواتب الحظ الأوفر والنصيب الأكبر ولا يزال يتقرب إليه تعالى بها وبغيرها حتى اجتباه ولحضرته بمنه حباه فكان آية في المعرفة بالله والعمل والكرم والحلم والصبر والتأني والعفة والخشية والهيبة والسكينة والتواضع والحياء والجود والسخاء والزهد والورع والرحمة والتوكل والشفعة والقناعة والاكتفاء بعلم الله والإنس ولاطمئنان بالله والسكون إليه في جميع الأحوال والعشق والشوق والعزم والقريحة والنية الصالحة والمحبة والظن الحسن والصدق والهمة العالية وسعة القدر والأخلاق الكريمة والمحاسن العظيمة والأحوال السنية والمقامات السمية والمواهب اللدنية والمواجيد الربانية صاحب محو وفناء وصحو وبقاء وغيبة ف بمولاه وشهود لما به تولاه قد أغرق في بحر الحقيقة وأوتي الجذب حقيقة وأعطى القوة والتمكين والرسوخ في المعرفة واليقين وسلك من السنة منها منهاجا قويما وصراطا مستقيما وشرب من الخمرة الأزلية صفوا وورد منهلها الأروى فقويت أنواره وفاضت في الأفاق بيناته وأسراره وسقي الجم الغفير من شرابه كؤوسا وملأ قلوبهم وأرواحهم أقمارا وشموسا فتوالت بذلك إرادته ودامت لديهم مناولته ومداومتها على الأبد بمدد جسيم ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١] وهذا مما ليس شأنه أن تقام عليه البراهين والبينات لاسيما عند أهل الاعتقادات الكاملة والنيات الصالحات على أن مآثر هذا السيد الجليل قد بلغت مبلغ التواتر القطعى وخصوصا عند هذه الطائفة الشريفة المنيفة المنتشرة انتشار الشمس في الأفاق وبالجملة فظاهر هذا السيد كغيره من العارفين ﷺ

كالناس في أحوال بشريتهم من الأكل والشرب والنوم والنكاح والبيع والشراء والتسلف والتعجب والضحك مما يضحك الناس منه والسهو والنسيان والسؤال عما لا يدرونه والضعف والمرض والاحتياج والافتقار والعجز وغير ذلك من أوصاف البشرية التي لا تناقض العبودية بل بها وفيها كمالها وباطنهم وحقيقتهم والله ليس كالناس وإن وافقوهم في الصورة فمشاهدتهم لم تكن لهم في نفوسهم وفي الكائنات محصورة فهم كالإكسير الذي يقلب الأعيان حقيقة لا محالة وهم كلمة الله التي لا حصر لها ولا نفاد فلا تحصى شمائلهم ولا تنتهي فضائلهم حتى قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ لو كشف عن حقيقة الولي لعبد وحسب من لم يصل إلى مقامهم ولا خرج من سجن نفسه ولا سلك سبيل هذا الطريق أن يسلمها لأهلها ويحسم مادة الإنكار من أصلها ويدخل في حيزه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت إذ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فينتفع بالتسليم كما ينتفع بالإيمان بالغيب وأما من أراد تفقها فقد دخل حتما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ [يونس: ٣٩] ومبنى طريق القوم ﷺ كله على التسليم والانقياد أو تصميم الإيمان والاعتقاد لا على الإنكار والانتقاد فقد قال الشيخ زروق ﷺ مبنى الفقه على البحث والتحقيق ومبنى التصوف على التسليم والتصديق وبالله تعالى التوفيق وأما عبادته ﷺ فقد كانت على منهاج الشرع من غير تعمق ولا فتور متوسطة ليست بالإفراط ولا بالتفريط لا رخصة عنده في مؤكد السنن والرغائب ولا في النظافة والطهارة والتلاوة والاستخارة والزيارة وصلاة الضحى وتحية المسجد وقيام سويعة قبل الفجر ويوقظ أهل داره كلهم في ذلك الوقت وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وإطعام الطعام للصادر والوارد حتى كان نادرة الزمان شائع خبره ذائع في جميع الأوطان والصدقة كل يوم وكل ليلة حتى كادت تبلغ عنده حد الفرائض أمر مخصوص فوق ما هو عليه من إطعام الطعام للخاص والعام والمسارعة للفضائل في كل وقت والتواضع لله مع كل خلق حتى مع من لا خلاق له يعظمه ويكرمه ويواسيه ويجالسه ويباششه فوق ما يرفع ونصنع نحن مع العلماء والصالحين لكن من ذاق عرف قد علم كل أناس مشربهم فليس من اطلع على حقيقة الوجود وعرفها بالعيان والشهود كمن لم ير الأسماء وأرضا ومخلوقات مختلفات الألوان والأسماء والصفات واللغات والذوات هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أم هل تستوي الظلمات والنور لا والله مع ذلك كان يحب التخشن في اللباس والمأكل والفراش والجلوس ويختار الصلاة والجلوس على التراب ويقول الجلوس على الأرض من غير فراش يورث الغنى وكان رحمه الله كثير التحفظ على الاستبراء قولا وفعلا ويحض عليه غاية أكثر من كل شيء ولا يتوضأ إلا أن تنقطع عنه بواقي البول بالكلية ويطمئن قلبه بذلك ويقول من توضأ قبل أن يتحقق بانقطاع بواقي البول لا وضوء له ولا صلاة له ولا دين له وكان يؤكد أصحابه على المواظبة والدؤوب على الوضوء دائما ومهما أحدث والصلاة عقبه والدعاء عقب الصلاة وكان يؤخر قلنسوته وعمامته في السجود ويباشر الأرض بجبهته وأنفه ويرتل القراءة ويفصل بين الفاتحة والسورة قدر ما يبلغ الإنسان ريقه وكذا بين السورة والشروع في تكبير الركوع وكان يبسمل قبل

الفاتحة في الفريضة والنافلة ويسر بها في الفريضة في محل الجهر للوفاق بين الأئمة كما اختاره الإمام المازري وغيره وكان يذكر الذكر الوارد عقب صلاة الفريضة أستغفر الله ثلاثا اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ويقرأ آية الكرسي إلى أخرها وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة مجموعة ويرفع يديه ويسأل الله من فضله الهداية والعافية لجميع العباد وكان أحب الأعمال والأذكار والعبادات إليه ﵁ الصلاة ويقول كررنا أعمالا كثيرة سنين عديدة وقد وجدنا لسائرها بركة كبيرة وبركة تكرار الصلاة قد وجدناها والله تفوق بركة كل عمل ولولا ما تعرض لنا من قول المشايخ ﵃ الذي هو من لا شيخ له فالشيطان شيخه ومن لا شيخ له لا قبله له ومن لا شيخ له فهو بطال إلى غير ذلك لقلنا أنها أي الصلاة تقوم مقام الشيخ وكذلك الصلاة على رسول الله ﷺ وكذلك الهيللة وكذلك تلاوة القرآن وغير ذلك من أعمال البر لأنه ﵁ كان يرى للدؤوب على العمل مع حضور القلب وترك ما لا يعني بالكلية والمحافظة على الفرائض والسنن يقوم مقام الشيخ لمن لا يجده وأما من وجده فقد قال في شأنه ما نفع القلب شيء مثل الزهد في الدنيا والجلوس بين يدي الأولياء وكان يحض على الصلاة غاية لما رأى فيها من المصافاة والمناجاة ولكونها محل تنزل البركات والرحمات وجامعة لجميع العبادات قال ﵁ ونرى والله أعلم أن من صلى الصلاة كاملة الشروط والأدب بشرط أن لا يتوضأ إلا بعد استبرائه من بوله حتى لا يبقى أدنى بواقيه فإنه يفتح عليه الفتح الكبير الذي لا مثل له ولا نظير إن شاء الله تعالى وكان يقول اغتنموا الصلاة فبل الفوت بالضعف والكبر أو الموت ومن عليه فوائت فليقضها وإلا فسيندم عليها والحاصل أنها كانت قرة عينه ومطمح نظره ومفزعه في الرخاء والشدة والملا والوحدة وأعظم الكنوز والذخائر فلا يعجز عنها ولا يكسل ولا يقنط من تكرارها ولا يمل حضرا وسفرا قياما وقعودا صحة وسقما مع كبر سنه لأنه كيمياء الأدباء التي تقلب الأعيان وقد قال ﷺ وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان ﵁ يسرد كتب الصوفية ﵃ على طبقاتهم أهل المجاهدة والرياضة والسلوك وأهل الجذب والحقائق بداية ووسطا ونهاية ويقتطف من بساتينها الأزهار والأنوار ويجني منها الفواكه والأثمار ويطالع بعض كتب الفقه كالعبادة وشراح الرسالة وشرحي الشيخ ميازة الكبير والصغير على المرشد المعين لابن عاشر وشرح الوغليسية للشيخ زروق وطبقات الأولياء ﵃ للشيخ الشعراني وطبقات العلماء ﵃ للشيخ سيدي أحمد بابا السوداني والمعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى وغيرهم وكتب التفسير كالإمام ابن عطية والإمام الخازن وذي الجلالين ولم يكن يستوعب كتابا بالمطالعة من أوله إلى أخره سوى صحيح الإمام البخاري ﵁ والشفا للقاضي عياض ﵁ وكان يحب التجريد ويأمر به ويلبس المرقعة ويقول التجريد من الدنيا ظاهرا وباطنا يصلح لجميع الناس وعندي ما من رسول ولا نبي إلا كان متجردا من الدنيا ومحذرا متبعيه منها قال والتجريد عند أهله كالإكسير عند أهله فلا

ينكره إلا من جهله ولم يعرف قدره أما حلقة الذكر التي شاع أمرها وذاع عند كافة أصحابه بأرض المشرق وأرض المغرب والصحراء وسوس الأقصى والأدنى في المدن والقرى والمداشر والخيام في المساجد والزوايا والديار ليلا ونهارا بالجهر والقيام والقعود والإجلال والتعظيم جماعة بلسان واحد وميلة واحدة بالإشباع والتوسط والقصر في الهيللة واسم الجلالة باللسان والصدر على حسب المراتب وتشبيك الأيدي في القيام وفي الجلوس كحالة التشهد إلى غيره ذلك من آدابها وإنشاد الأبيات بالمعاني الرقيقة وتغزلات الحقيقة التي اصطلح الصوفية ﷺ عليها فهي دأبه وديدنه ومنها كان فتحه واستمداده وعليها دار مذهبه ومشربه والمبتدئ والمتوسط والمنتهى وطالب التبرك وذو المحبة كلهم فيها سواء كالصلاة وكل واحد يجني ثمرة ذكره بحسب مكانته من ربه وقدره إلا النساء فلا يحب حضورهن بل ولا قربهن للرجال نعم إن كن وحدهن بموضع خلوي بحيث لم تسمع لهن أصوات فيحبهم يذكرن حينئذ بجماعة على لسان واحد جهرا كحال حلقة الذكر عنده وبالله التوفيق تخرج على يده ﷺ خلق كثير وانتفع به من عباد الله جم غفير حدثنا شيخنا الفقيه العلامة أبو حفص سيدي الحاج عمر بن سودة المري رحمه الله أنه ما توفى الشيخ مولانا العربي حتى خلف نحو الأربعين ألف تلميذ كلهم متأهلون للدلالة على الله سبحانه انتهى كلام الشيخ سيدي أحمد بن الخياط ﷺ وأما علومه ومقالاته في الطريق وحكمه ووصاياه التي انقادت وخضعت لها أهل الحق والتحقيق فرسائله المباركة الجليلة كفيلة بها ومشتملة على قدر وافر منها ونفع الوجود بها لا يشك فيه اثنان ولا يمتري فيه أهل سلامة الأذهان فمن أراد فليراجعها وقد طبعت بالمطبعة الفاسية فلتطلب حيث توجد وبالله التوفيق

وأما الدباغية فنسبة إلى أصل مددها وعنصر مشربها وقطب دائرتها الذي تدور عليه وهو شيخ شيوخنا العارف الأكبر القطب الأشهر الشريف الحسني سيدنا ومولانا عبد الواحد ابن مولانا علال الشهير بالدباغ ﷺ ونفعنا به وجعلنا على عهده وأثره إلى لقاء الله وحشرنا في زمرته آمين وقد بسطت ترجمته في الجملة أيضا في طبقاتنا وذكرت بعض مآثره ومناقبه ومزاياه ﷺ ونقلت ما للأكابر في ترجمته ومنه ما ترجمه به العلامة الأمجد الصوفي الأوحد ملين القلب القاسي أبو عبد الله سيدي محمد ابن مولانا جعفر الكتاني الفاسي ﷺ ونفعنا به ولفظه في أول ترجمة من اشتهر أو وقف على التعريف به من صلحاء وعلماء حومة السياج والدوح والجرف والعيون وما هو منضاف إليها منهم الولي الكبير الصوفي الشهير المربي النفاع الكثير التلامذة والأتباع أبو مالك وأبو المواهب سيدي عبد الواحد ابن علال بن إدريس الشريف الحسني الإدريسي الشهير بالدباغ كان رحمه الله جبلا راسخا وطودا شامخا عارفا مربيا كاملا وفاضلا محققا وأصلا دالا على الله بسائر أقواله مشيرا إلى التعلق به في جميع أحواله وكان لا يتكلف تحسين العبارة ولا يحاول تزيين اللفظ عند المذاكرة بل يتكلم بحسب ما سمح له به الوقت وربما اكتفى بالتلويح عن التصريح ويقول كثيرا كلامنا منافي في الطريق كله إشارة وإذا صار عبارة خفي وكان يقول الحق عند المذاكرة ولا يخشى من أحد أشد الناس كراهية للكذب لا يغضب لشيء من الكبائر كغضبه

عنده تاركا للجدال والمراء متكلما مع الفقراء والزائرين له كلام الناصح المشفق ويكثر من ذكر حديث الدين النصيحة ويقول الفقير إما ذاكر أو مذكر أو متفكر وإلا فهو غافل ولا يتكلم مع الفقراء إلا في المباح شرعا وأما غيره من واجب ومندوب وحرام ومكروه فقد تكفل الشرع ببيانه فعلا وتركا ولا محيد للفقير عن امتثال أمر ربه فيه وكان لا يدعو أحدا بفلان ولا بالسي فلان بل يسيد الكل ويكره دعاء الناس لبعضهم بالسي فلان دون ذكر الدال ويقول أن ذلك من رعونات النفس وتكبرها وتجبرها وكان في أفعاله من أهل الصدق مع الله لا يتصنع لمخلوق ولا يقف مع عبادة خاصة ولا يتقيد بمسجد مخصوص ولا بمكان مخصوص ولا بلباس ولا بطعام مخصوص بل يعمل بحسب ما سمح له به الوقت ولا يداوم إلا على الفرائض وما تأكد من السنن والمندوبات والرغائب ويحض أصحابه على مداومة الوضوء والاستعداد للصلاة قبل دخولها ويتعجب من جلوس الفقير بلا وضوء من غير ضرورة وكان يتعاطى الأسباب الشرعية ما أمكنه بنية صالحة من غير حرص ولا طمع في مخلوق ويرى الأسباب مع سكون القلب وثقته بالله أفضل من تركها مع تشويش القلب وتشوقه إلى الخلق ولا يسأل إلا لضرورة كبيرة ولا يزيد عند السؤال فوق الحاجة ويؤثر على نفسه وإن كان محتاجا ويتصدق بالكثير ولا يبالي ولا يقول بالادخار ويعيب على من يقول به وكان قانعا باليسير من الدنيا مكتفيا بأقل القليل منها رفيع الهمة عن أبنائها متواضعا هينا لينا رفيقا رحيما حليما يعفو عمن ظلمه ويتجاوز عمن شتمه دائم البشر وطلاقة الوجه لا يعبس في وجه أحد ولا يعنفه دائم الصمت والجولان والاعتبار ولا يتكلم إلا بذكر أو مذاكرة ويتودد إلى الناس ويحبهم ويوافق أصحابه ويتألفهم ويؤثر محبتهم على محبة غيرهم ولد رحمه الله في حدود التسعين ومائة وألف وأخذ أولاً عن الشيخ سيدي محمد بن بكار تلميذ أخيه أبي العلاء مولانا إدريس قلت وكان نقشبندي الطريق ﷺ ثم قال في السلوة بعد وفاته عن سيدي عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي تلميذ أخيه المذكور أيضا وبعد وفاته عن سيدي محمد ابن إبراهيم تلميذ العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وخليفته على فقرائه بفاس ولم يزل في صحبته وخدمته إلى أن قدم لفاس مولاي العربي من بني زروال فجدد عليه الورد وسلب له الإرادة وتولى هو تربيته حينئذ إلى أن أكمل أمره وفاض بحره وانتصب لتربية المريدين فكانت له تلامذة وأتباع وأصحاب وأشياع ظهرت عليهم بركته وشملتهم عنايته ونفحته وذكر بعض أصحابه في تأليف له أنه أدرك القطبانية وأن حلوله فيها كان في شعبان من عام تسعة وستين ومائتين وألف وتوفي رحمه الله طلوع فجر يوم السبت أو بعده بقليل ثامن أو سابع عشر ربيع النبوي سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف وحضر جنازته جم غفير ودفن أولاً بالرميلة بضريح شيخه العارف بالله سيدي علي الجمل يسار الداخل لقبته من ناحية الصحن في القوس الذي بني عليه هناك ثم بعد ذلك يوم الأحد بعد الفجر سابع عشر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف نقل إلى محل جعل له زاوية بالسياج قريبا من سويقة ابن صافي وجعل عليه به دربوز وهو مشهور مزار متبرك به وقد ألف فيه وفي شيخه المذكور بعض تلامذته تأليفا في مجلد صغير سماه النور القوي في ذكر شيخنا مولاي عبد

الواحد وشيخه مولاي العربي الدرقوي فلينظر انتهى كلام السلوة والتلميذ المؤلف للنور المشار إليه هو الشيخ الإمام الجهبذ الهمام الصوفي الأمجد المحقق الأوحد أبو عبد الله سيدي محمد المهدي ابن القاضي المتوفى فجر يوم الاثنين عاشر شوال عام أحد وسبعين ومائتين وألف بالطاعون عن نحو من أربعين سنة ودفن بقبة سيدي علي الجمل بينه وبين القبر الذي كان به شيخه مولاي عبد الواحد ثلاثة قبور وهو أول من شرح تائية الشيخ العارف بالله تعالى أبي عبد الله سيدي محمد الحراق نفعنا الله به بإذن شيخه مولانا عبد الواحد هذا ولما وقف عليه الناظم المشار إليه أثنى عليه غاية وقال إنصافا واعترافا لكمال شرفه الحسي والمعنوي والله لقد عثر الشارح ونص على معان أعلا مما قصدت في نظمي أو لفظا هذا معناه حسبما سمعته من أكابر علماء هذا الطريق زادها الله شرفا وثبتنا على خدمة أعتابها حتى نلقاه تعالى وهو عنا راض ونحن عنه غير مفتونين آمين وهذا مما يكفي في مناقب الشيخ المترجم له وأما لو وقف الإنسان على تآليف تلميذه مولانا الوالد قدس سره واستنشق عرف طيبها وكشف له عن أسرار مخبآتها لحكم بأعجب من هذا بفضل الله وغير خفي على كل نبيه إن الولد سرابيه لكن ما كل واقع يقال عند كمل الرجال والمقصود لله سبحانه وأما علومه ومقالاته في الطريق وحكمه ووصاياه التي انقادت وخضعت إليها أهل الحق والتحقيق فكان بحرا لا ساحل له في ذلك وتآليف مولانا الوالد ومؤلف النور وغيرهما من تلاميذه رضي الله عنه وعنهم وعنا بهم مشحونة بها وأما هو ﷺ فلم يترك تأليفا مستقلا له كالشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ فيما نعلم وتلاميذه ﷺ كتبه ولنذكر شيئًا من مقالاته العظيمة ومذاكراته الفخيمة تبركا به ﷺ وليعلم الواقف عليه جلالته وجلاله طريقه ومشربه أكرمنا الله بالحظ الأوفر منه آمين فنقول ومن الله أرجو التوفيق والقبول كان ﷺ يقول ما قامت الحجة على أهل البدايات إلا لعدم ضبط شريعة الطريق وما قامت الحجة على أهل السير في المقامات إلا لعدم ضبط شريعة التحقيق وما قامت الحجة على أهل النهايات إلا لعدم ضبط شريعة التفريق وما اندحضت الحجة على أهل نهاية النهايات إلا لعدم ضبط الاعتدال بين الفريقين وكان ﷺ يقول كم من أقوام يصطلحون مع الهوى بالعلم فيكتسبون الدنيا ويدخرونها لأنفسهم فيها بالتوسعة والرفاهية ويقولون نحن فيها بالله لا بأنفسنا وهذا كلام حق أريد به باطل من حيث أن لكل حق حقيقة وحقيقته التي يتحقق بها هي الخروج عنها بالإيثار والاكتفاء بالله واعلم أنه ما عرف الله حق معرفته إلا من جاهد فيه حق جهاده وما شاهده في مكنوناته إلا من اتقى الله حق تقاته ولا قام بحق عبوديته إلا من اعتصم به في جميع أحواله ولم يذكره كثيرا إلا من سكن حبه بقلبه ولم تصح محبته إلا لمن استوى عنده جلاله وجماله ولم يصح الاستواء إلا لمن آثره على نفسه وكان ﷺ يقول الفقير الصادق ما له التفات إلى العالم من حيث المدح ولا من حيث الذم لأنه بصدد الزوال عن سماع ذلك والتفاته إلى ذلك ركون إلى بلده والركون غرور بمدح الناس من طريق الظن وهو يعلم خلاف ما قالوا وإذا اغتر الفقير بالإمداح فلا ترج له الفلاح بل انتظر قطيعته عن التوجه في المساء قبل الصباح على أن حسن الثناء من الخلق يوجب صرف الثناء إلى الحق إيفاء بشكر النعمة وانسلاخا من

شهود المزية إذ العبد لا وصف له يستحق عليه المدح قيد نعمتك بالشكر تجن ثمراتها عاجلا وآجلا فثناء العباد عليك نعمة أسبغها عليك مولاك فأرجع الثناء إلى أصله في الورود والصدور وقل بلسان الجمع في عين الفرق ألا إلى الله تصير الأمور إذ بهذا يكون الإنسان وارثا للمقام الأحمدي ولا يكون الفقير فقيرا إلا إذا أنعم المولى عليه بنعمة مدح الخلق وغاب عنهم بشهود الملك الحق فكان المادح هو الممدوح فعند ذلك يصح له الفقر الحقيقي وكان ﷺ يقول أول اختبار يقع للفقير في أول قدم يضعه في الله إقبال العالم عليه بالمدح لما يرون عليه من أحوال الجذب والأحوال من حيث هي معشوقة وقليل من الفقراء من يسلم من العالم إذا أقبل عليه ولذلك كان سيدي علي العمراني يسميهم حراس الحضرة فلا يسلم من حراسها إلا من أعرض عنهم واشتغل بمولاه وكان ﷺ يقول وقد اشتدت إذاية بعض أهل علوم الرئاسة له عفا الله عنا وعنهم يرحم الله القائل لما فتح الله علي عذرت من يعذرني وعذرت من لا يعذرني وعذرت نفسي التي بين جنبي قال مولانا الوالد قدس سره فهؤلاء السادات الكمل ﷺ لا حرج عليهم إن فرحوا بمدح المادح وقالوا له لا فض الله فاك ولا نقص يلحقهم إذا انقبضوا لذم الذام أدبا وسجودا لقهرية المتجلي بل هؤلاء كما يفرحون بمدح العالم يفرحون بمدح أنفسهم بأنفسهم من حيث حلولهم في الشهود الجمعى الذي يحسن معه كل حال ولذلك لما تمكن فيه نبي الله يوسف صح له أن يمدح نفسه بقوله إني حفيظ أي شديد الحفظ والعلم ولا يحتاج هنا إلى ما تكلفه أرباب العلوم الرسمية من التأويل في صدر هذه المقالة من يوسف لأن مقام الشهود والعيان لا يحتاج معه الموقن إلى دليل وبرهان ولقد سمعت شيخنا يعني المترجم له ﷺ يقول لبعض الفقراء والله إننا لحاجة كبيرة في العالم عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا فافهم اهـ وكان ﷺ يقول الفقير الذي وقف فقره على الصح هو الذي لا حاجة له في العطاء والمنع في العز والذل بل حاجته هي وجه الله وإلا فالعبد قن ما بقي عليه درهم وكان ﷺ يقول إن أردت أن يدوم بسطك وفرحك ويشتد يقينك ورجاؤك فاشهد إحسان الله إليك وإن أردت أن يدوم قبضك وحزنك فاشهد ما جبلت عليه من التقصير كون عبد الله فاشهد ما من الله إلى الله كان الله ولا شيء معه فهذا شأن فتح باب الرجاء وإذا أردت أن يفتح لك باب الحزن والقبض ودوام الغم والنكد فاجعل شهودك مقصورا على ما يصدر منك من الطاعات الممزوجة بشوائب النقائص المشوبة بجميع أصناف العلل النفسية مع مطالبة الحق لك بصفاء المعاملات وركوب مطية الإخلاص في جميع الحركات وكل ذلك ليس في طوقك فإنه يشتد بذلك حزنك وانقباضك ويأسك بل ربما تيأس بسبب ذلك من رحمة الله أنه ﴿ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] وكان ﷺ يقول في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] وجه التكرمة له أنه جهل قلبه محلا لبزوغ شمس العرفان ومحلا لطلوع أقمار التوحيد ونجوم الهداية والبيان فكان هو بلا هو من حيث تبديل الوصف والنعت بالنعت وكان ﷺ يقول إنما حجب الفقير عن التمتع بأنوار معرفته الكامنة فيه من يوم ألست بربكم كون قلبه محشوا بحب الشهوات ومقيدا بقيود الغفلات وإلا فما ثم حجاب إذ الحجاب من وصف الحادث يا عجبا كيف

يحجبه شيء وهو الظاهر بكل شيء وكان ﷺ يقول نحن أهل غيب ومددنا من الغيب الذاتي وباطن الهوية ولا يعرفنا حقيقة إلا من كان غائبا في أسرار الذات غريقا في بحر باطن الصفات ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وكان ﷺ يقول باطن العارف هو ظاهره وباطنه كله نور ومدده من النور الباطن في الصفات الفائض من أسرار هوية الذات فلا يعرف العارف إلا العارف إذ لا يعرف الله إلا الله وكان ﷺ يقول قرة نور القلوب بقدر التشوق إلى حضرة علام الغيوب والتشوق بقدر الأسباب والشرائع وكان ﷺ يقول رؤية أنوار الشموس والبدور تفيدك إرخاء الحجاب والستور ورؤية أنوار اليقين والعرفان تفيدك حقيقة الشهود والعيان وهذه الصور لها استئناس بوجود ظل الهياكل الإنسانية وأنوار الحس تزيدها إلى ذلك الظل تعشقا وإلى ذلك الوجود تملقا ولا تحصل الراحة من رؤية الهياكل والصور إلا بفيض نور الإيقان الكاشف لك عن ينابيع التحقيق والعرفان المستمد من عنصر الصفات الإلهية وكان ﷺ يقول كل علم ليس له حقيقة في الباطن فليس بعلم وكل حقيقة ليس لها أثر في الخارج فليست بحقيقة وأشرف أثر الحقائق شهود أنوار الشموس فتدخل بسبب ذلك إلى حضرة الملك القدوس لأن أدلة الظاهر ترجمان يخاطبك على لسان الحقيقة بالمرور والتجاوز عنه إلى شهود أنوار السرائر فالأدلة الظاهرية لا نقول بتركها ولا نقول بالوقوف معها وكل علم أعطاك الترك أو الوقوف فليس بعلم وإنما هو وسواس يخالج الصدور ويعوق السفينة عن السير في لجج البحور فاطلب الخوض في بحر العهد القديم واسلك سبيل ذلك على الفلك المستقيم تكن بفضل الله قد أعطيت الشريعة التي هي شهود أنوار الظواهر حقها وأعطيت الحقيقة التي هي شهود أنوار السرائر حقها وتكن حينئذ أنت البرزخ بين بحر الربوبية والعبودية كما قال تعالى: ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن آية: ١٩، ٢٠] وقد قال مولانا الوالد قدس الله سره وجعلنا على عهده وأثره عقب سوقه هذه المقالة العظمى في شرحه على الحكم لدى قول المصنف نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه وفي ذكر هذا الدليل الذي صانته أيدي السنة والكتاب من طريق الشك والارتياب منافع عظيمة وأسرار جسيمة للمتوسمين أي العارفين فرضى الله عن هذا الشيخ ما ألطف ذوقه وما أعظم نوره مع أنه ﷺ كان لازال على أصل الولادة الحسية ولم يتعاط العلوم الرسمية غير أنه كان كما قال مولانا جل علاه ﴿ عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾ [الكهف: ٦٥] نفعنا الله بمحبته وقوانا على خدمته بجاه جده مولانا محمد ﷺ وآله اهـ وكان ﷺ يقول إنما أنكر علماء الرسوم مواجيد الرجال لأنهم قصروا النظر على دائرة الفكر ولو نفذوا عنها إلى دائرة الكشف لسجدوا وكان ﷺ يقول لو ظهرت أنوار الموحدين لتلاشت رسوم العالمين ولكن الحق تبارك وتعالى جعل ظاهرهم حكمة وباطنهم قدرة رحمة بالضعفاء وكان ﷺ يقول العارف الحقيقي من يكون ظاهره موافقا للعالم أو باطنه مشاهدا للحق على الدوام وكان ﷺ يقول أهل الحضرة الإلهية صانتهم حجب الجلال التي هي أوصاف البشرية فلا يعرفهم إلا من وفقه الله لخرق حجب الجلال وتحلى بحلية الجمال التي هي أوصاف الروحانية ومعرفة أهل الجمال من باب العقل والفهم عندنا محال

من أجل ما حفهم من سرادقات العز التي هي شهب الجلال حفت الجنة بالمكاره بل لا يعرفهم إلا من أنفتق عن قلبه حجاب الوهم ونور بنور العلم والفهم وهناك يصح للمريد أن يكون صادقًا في سلب الإرادة منقطعًا عن مادة الوقوف مع العبادة والعادة وكان ﷺ يقول وقد اشتد به مرض أصابه ما رأيت ولا سمعت أصعب من معرفة الله إذ معرفته لا تحصل إلا بمعرفة أوليائه وأولياؤه قد تولى سبحانه حراستهم بأنوار جلاله فلا يرى الرائي منهم إلا أوصاف البشرية من سقم وفقر وذل واضطرار مع أن ذلك إنما هو صورة لمن فتح الله بصيرته ونور سريرته وإلا فالفقير الحقيقي قدرة محضة فافهم وكان ﷺ يقول فتح الفقير موكول إليه إذ بقدر صدقه يكون مدده من عالم غيبه إن الله يرزق العبد على قدر همته أي نيته أي صدقه ولا يلوم الفقير شيخه بعد هذا بين له سبيل الوصول وإنما يلوم نفسه حين لم تركب مطية العزم والصدق واعتبر حال رسول الله ﷺ إنما جاء داعيًا إلى سبيل النجاة فمن صدق ظفر بالنجاة ومن قصر صدقه عادت الخيبة عليه وكمال الرسول لا خلاف فيه عندنا وكان ﷺ يقول الفقير الصديق قد يعامله الحق في أول بدايته بكشفه الغطاء له عن أسرار الضمائر تأييدًا له وإعلامًا له بأنه على بينة من ربه لكنه عند أهل التحقيق بمنزلة الحائض يجب عليه أن يتطهر من رؤية ذلك حتى لا يكون ذلك حظه من الله والحق تبارك وتعالى قد تولى حفظ أوليائه من كل ما يعوقهم عنه مثل الكشف عن أسرار العباد وما هو من خواص العباد والزهاد بغيبتهم في مشاهدة الربوبية التي لم تدع في قلوبهم محلاً لشهود غيرها فهم مشغولون بأسرار الحق عن شهود أسرار الخلق وكان ﷺ يقول من لم يتخلق بالصفات الربانية ويتحقق بالصفات الرحمانية ويتعلق بالصفات الإلهية وفتح عليه في درجة الكشف كان الفتح طمسًا والراحة بؤسًا وما الفتح إلا فتح خزائن الذلة والحقارة وكشفه عن درجة البلاء والخسارة وكان ﷺ يقول إنا لنفرح بدخول العاصب علينا أكثر من فرحنا بدخول المطيع إذ العاصي منكسر القلب والحق يقول أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ولا انكسار يضاهي انكسار القلب من أجل ضياع دينه ولا كذلك المطيع فإن له صولة رؤية الطاعة فإن لم يتخلص منها فهي الداهية العظمى وهو لا شعور له بها وكان ﷺ يقول الله أكبر لازلت أستحسن قول بعض العارفين منذ أربعين سنة وأنا متهم لنفسي هذا شأن أهل الصدق مع الله الذين تحققوا بعظمة كيدها وخفاء مكرها وكان ﷺ يقول لا تتحقق العبودية إلا بموت النفوس عن جميع الإرادات وإلا فالرياء مشيد الأركان مشعشع بداخل الجنان وكان ﷺ يقول تشوف الفقير إلى علم الناس بما لديه من أنواع الكرامات قبل تمكنه في شهوده دليل على عدم اكتفائه بعلم الله وهو سبب في حرمانه لأنه طلب الشيء قبل إبانه فعوقب بحرمانه ويه دليل على أنه غير صادق في عبوديته إذ من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء وعبد الله منزه عن الظهور والخفاء وكان ﷺ يقول علامة صدق الفقير في فقره تلبسه بجميع الأحوال العلوية والسفلية ولا يكبر في عينه أحد سوى الله إذ لا وجود للسوى ومادام الفقير يراقب الناس في أموره إلا وهو محجوب عن ربه وكان ﷺ يقول العارف الحقيقي هو الذي يكون معنى بلا حس فلا يحجبه شيء عن شيء لأنه جسه تابع لمعناه وكان ﷺ يقول

صحة دعوى الفناء بلا خبرة عن الفناء وعدم صحة الفناء الإخبار بوجود الفناء إذ الفاني في شهود عظمة من تجلى له قلبه أسير في حكم سلطان ما بدا له فلا مجال فيه للغيرية ولا مطمع فيه لحلول الاثينية وكان ﷺ يقول علامة محبة الحبيب محو صفاتك بصفاته وذاتك بذاته وأفعالك بأفعاله حتى ربما غلب الوجد على صاحب ههذ الحالة فيقول بلسان العشق والمحبة أنا من أهوى ومن أهوى أنا وكان ﷺ يقول والله ما رأيت أجرأ على الله من شخص يدعي محبة حبيبه وهو يعمل بغير ما يرضيه هذا شيء تنزه عنه العقول السقيمة فضلاً عن القول السليمة وكان ﷺ يقول العجب من ابن آدم الحق أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه ومع ذلك لازال يطلب الدلائل الخارجية كي تهديه إلى شهوده هذا عين الخذلان وكأنه ما سمع قول الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] فوالله ما حجبنا عن إدراك الحقيقة القدسية مع شدة قربها إلا ما خالج أسرارنا وخامر أفكارنا من طلب الدليل من خارج فافتقرنا إلى المعارج فاشتبك الحس وارتبك البلاء فغبنا عن قرب الحق بقربه في قربه ولا حول ولا قوة إلا بالله وكان ﷺ يقول الحق تبارك وتعالى سمى نفسه بالظاهر والباطن فهو الظاهر بلا بطون الباطن بلا ظهور لأسرار الموحدين من أستار جماله وبطن عن إدراك أبصار الحادثات بعظيم أنوار جلاله فهو الظاهر بلا كيف الباطن بلا تشبيه ولا تمثيل حجابه النور وهو الموجب للظهور فهو أجلى من الشمس ظهورا وأخفى من الشمس بطونا قال الشاعر:

لقد ظهرت فما تخفى على أحد	إلا على أكمه لا يبصر القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا	وكيف يعرف من بالعزة استترا

وكان ﷺ يقول ما قدره الله كائن لا محالة ومن كان له شيء في الغيب لم يمت حتى يناله فالدعاء عبودية ودعوى العلية بطالة يعني ﷺ أن ما تعلقت به القدرة وخصصته الإرادة وعينته المشيئة لابد منه من حيث إنه لا راد لحكمه وتصديقا لقوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [ق: ٢٩] ومن قدر له شيء لم يمت حتى يظفر به على أي وجه فلم يبق إلا كون شريعة الدعاء عبادة طلبها الحق منا فمن يدعي بعد هذا كون الدعاء علة وسببا في نيل ما قدر فهو ملقى في بحر البطالة من حيث أنه ينفي وصف الاختيار عن الواحد القهار ولذا قال الشيخ المترجم له أيضًا ﷺ دعاء العارف إنما برز منه امتثالاً لوارد الوقت وإلا فالله هو الفاعل المختار وكان ﷺ يقول مالي وللتصرف ف يالعوالم والحق سبحانه يتصرف فيها بلا علة ولا سبب كما أوجدها بلا علة ولا سبب جل الغني بذاته عن ذاته عن افتقاره إلى مخلوقاته وكان ﷺ يقول جميع ما ترى من الأسرار الحسية والمعنوية إنما هي من كرامته سبحانه لعبده لا تنال بالحيل ولا تفتقر إلى العلل بل ما ثم إلا بسط مائدة الفضل لعباده أدنى منها من شاء وبعد من شاء من مخلوقاته كشف الحجاب عمن شاء فأشهده أنوار جماله وأسبله دون من شاء فحققهم بأنوار جلاله والكل في فضله ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ [الإسراء: ٢٠] وما رأيت أجهل ممن يدعي نيل ما عند الحق من المعارف والأسرار من باب الكسب بل ما ثم إلا مجرد الفضل

والكسب عبودية غير معقولة المعنى ولما قال لنا الله أعلم حيث يجعل رسالاته أيس العبد من نيل ما لله بالكسب والأسباب ولم يبق إلا محض فضل الكريم الوهاب وكان ﷺ يقول نحن لا نعتبر طقطقة اللسان وإنما نعتبر ما ينتجه العلم من ثمرات الأحوال لأن الشرائع تخبر عن المقامات وإنما كان شبر من الحال خيرا من مائة ذراع من العلم من حيث إن الحال لا يكون إلا عن علم بخلاف العلم فإنه لا يلزم من وجوده وجود الحال ومجموع العلم والحال هو المعتبر إما مجرد العلم فإنه لا فائدة فيه وأما وجود الحال من دون علم فلا يتصوره من أنه ثمرة العلم وكان ﷺ يقول الجاهل الظالم الذي لا يبلغه أحد من شم رائحة من طريق القوم منغير تحقيق للفن فتصدر للعبارة وتبرج للإشارة ظنا منه أن ذلك مرمى القوم فضل وأضل ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] وكان ﷺ يقول من لم يخالف نفسه فيما تهواه أصيبت مقاتله وما وصل أحد إلى ضريح الحرية وفيه شهوة نفسية وكان ﷺ يقول مسكين ابن آدم تريد همته انفعال الأشياء لها ومشيءة الحق التي هي عين إرادته لم تشأ ولم ترد فيطول تعبه ويقوى حرصه وتشوقه وهو بطالة من حيث إن مشيئة الحق وإرادته لها التصرف الكامل لإطلاقها في غناها حتى لم تستند ولم تفتقر في أحكامها لغيرها أما مشيئة الخلق فهي معلولة ومفتقرة إلى المشيئة الحقيقية لاستحالة وجودها بطريق الاستقلال قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] وقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢] وكان ﷺ يقول والله إنالعارف ليمنعه الحياء من سؤال غرضه نظرا لما سبق به علمه ونفذ به حكمه فلا راد لما حكم به عطاء أو منعا فالاشتغال بما ضمنه لك والتقصير فيما طلبه منك بطالة وتضييع للعمر في غير ما خلقت له وكان ﷺ يقول لو يعلم الفقير ما كمن في صور التجليات الجلالية من المعارف والأسرار لم يكن له مطلب سواها لكن حفت الجنة بالمكاره وإذا رأيت الفقير يتمنى دفع التجليات الجلالية فاعلم أنه موجود غير صادق في فقره وإذا رأيته يطلب التأييد في المراد فاعلم أنه قد تحقق بفاقته وعدم مقاومته لسطوة التجلي بل الفقير الصديق يمشي إلى الجلال قبل إتيانه اختيارا منه إليه إذ به تشتد بنيته ويحكم أمره فتراه يختار الذلة على العز والذم على المدح إلى غير ذلك مما يشهد لصاحبه بأنه قدع القواطع ودار دورا سريعا وقال أيضًا ﷺ في قول القائل:

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد

مخاطبت مولانا الوالد قدس سره أتدري بماذا سكن الفؤاد قلت لا قال سكن بتجليات الجلال إذ هي عيد الصديقين وعرس العارفين فافهم أني لما أنزلت إلي من خير فقير وكان ﷺ يقول في بعض وصاياه إياكم ورخص العلم فإنها محض وبال على الفقير ولا نجاح لمن توسع في علمه فإن ينبوع الحقائق وعنصر الدقائق مولانا رسول الله ﷺ ما تغير عن حاله الذي ظهر به حتى لقي الله مع وفور علمه الذي لا مطمع لأحد في بلوغه الأكابر من الصحابة وخيار السلف لازالوا على قدمه حتى أتاهم اليقين ولو يعلم الفقير ما في جلوسه على بساط الفقر والفاقة والترك من المواهب والأسرار ما ساوى عنده غير جناح بعوضة

ولاشك أن من خرج عن دائرة الفقر إلى الغنى رجع من حالة شريفة إلى حالة دنية كما يشهد لذلك حالة الرسول ﷺ فالزموا الفقر والفاقة تهب عليكم نسمة الحضرة الإلهية فهذه وصيتي لي ولكم إلى لقاء الله والله حسيب من بدل أو غير وكان ﷺ يقول ما أوقع الناس في وادي التيه إلا هواهم طلبوا الأشياء في غير مظانها فأهلكوا أرادوا الغنى مع كراهتهم الفقر والفاقة وهذا هو العجب الكبير من حيث أن الفقير يرى الباب وهو يريد أن يتسور المحراب فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وكان ﷺ يقول والله ما خصنا علم ولا عمل سوى صفة الفقر إذ هو اسم الله الأعظم الذي لا ترد لصاحبه طلبة ولا تعسر على صاحبه حاجة ولكنها صفة جامعة لأوصاف الجلال تنفر منها النفوس كما تنفر النعجة من الذئب وقل من ظهر بها وثبت فيها ولا يثبت فيها إلا محمدي القدم إذ ما فارق صفة الفقر ﷺ حتى لقي الله ﷻ هكذا يكون الفقير الحقيقي وإنما صعبت طريقتنا على عامة الناس وخاصتهم لكونها جلالية الظاهر جمالية الباطن حف ظاهرها بمكاره الصفات وأساس بنيان هذه الطريق الفقر حسا ومعنى إذ لا حول على الله إلا من باب الفقر ولو عبد الإنسان ما عبد وصام ما صام وصلى ما صلى ما تقبل منه إلا إذا تحلى بصفة الفقر في الحس والمعنى إذ التحلي لا يكون إلا بعد التخلي ومن هذا الباب وصل من وصل وانفصل من انفصل وقد جالت فكرتي في سبب كون الفقير يأتي إلى شيخ التربية ويبقى معه الزمن الطويل ولا يشم رائحة ما نحن فيه فوجدته كون الفقير يأتي بلا زاد فيطول سفره في الطريق لكونه يسير بقدر قوته بل ربما تتهدم دعائم عزيمته فينقطع ولا زاد للفقير سوى صفة الفقر إذ بمجرد ما يتلمح عليه أثر الفقر تعطى له الصدقة أينما توجه قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠] وكان ﷺ يقول الناس يتوهمون أن الشرف في أوصاف الحرية وهو ليس كذلك وإنما الشرف في أوصاف العبودية ولا شرف يعادل شرفها لأنه مقرون بالأمن ولا كذلك الحرية فإنها محل تهلك فيه النفوس فالواجب على الفقير التحقق بأوصاف العبودية فإذا أنتجت له وصف الحرية كان بنيانه مؤسسًا على التقوى فلا حرج عليه إن غلبت الأحوال ولا ملام عليه إن تبدلت الأشكال وكان ﷺ يقول ما قامت الحجة على أهل التقصير إذ أشاروا إلى الحق إلا بوجود نفوسهم ونطقهم بها ولو اضمحلت نفوسهم بشهود إحسان الله إليهم لأفادوا في كلتا الحالتين ولا جادوا في النصح حالة القيام وحالة التقصير لفناء ما سواه في نظرهم واندماج الوحدة ف يعين الكثرة هذا شأن أرباب الفتح الرباني والسر النوراني وأيضًا الذي يكون قيامه بالله وجلوسه بالله وحركاته بالله وسكناته بالله فكل ما يصدر منه فهو من الله والأدب واجب امتثالاً للحكم الإلهي والقانون الشرعي فلا يعوقه عن المعرفة ولا يحسبه عن العبارة ما يصدر منه من التقصير لأنه غائب عن عمله قل أو كثر في شهود منة الله عليه فحاله وإن ساءت بوجود التقصير فقد حسنت بشهود المنة في عين التقصير فافهم وكان ﷺ يقول في قول بعض أهل القلوب المأذون مأمون يعني أنه مأمون من سلب أنوار عبارته فلا ترد عليه ويضرب بها وجهه بل لا تجدها إلا غزارة فتاكة في قلوب السامعين وأما غير المأذون فإنه إذا عبر رأيت عبارته لا تفيد

شيئًا ويكون صاحبها كالضارب في الحديد البارد أو مثل الجهاد مع غير المجاهد وكان ﷺ يقول نحن نتكلم في صورة الحق بطريق الإجمال والسامع لنا عليه بتقوى الله فمن وافقه شيء أخذه وإلا ترك الأمر على ما هو عليه حتى يفتح الله علينا وعليه وكلامنا ظاهره صغير وباطنه كبير وهو رحمة لكل واحد فالضعيف يسير بظاهره حتى يصل إلى باطنه والقوي يسير بباطنه حتى ينتهي إلى ربه ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنتَهَى ﴾ [النجم: ٤٢] ولا منتهى إلى غير ذلك من حكمه البهية ومقالاته المرضية وعلومه اللدنية وأسراره الوهبية وكراماته الزكية ﷺ ونفعنا به آمين

وأما البنانية فنسبة إلى أصل مددها وعنصر مشربها وقطب دائرتها الذي تدور عليه وهو العارف الرباني الولي الصمداني الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدنا والدنا ومولانا أبو بكر ابن الفقيه العلامة سيدي محمد ابن الفقيه العلامة القاضي الأمثل سيدي عبد الله ابن الفقيه العلامة سيدي محمد ابن الفقيه العلامة سيدي عبد السلام البناني الذي هو أعني سيدي عبد السلام هذا أول قادم من أجدادنا من فاس إلى حضرة رباط الفتح لنشر العلم بها ﷺ وأرضاهم وبيتهم بيت علم وعمل ودين وصلاح وولاية خلفا عن سلف بمنة الله وقد بسطت ترجمته أعني مولانا الوالد قدس سره في الجملة في طبقاتنا المشار إليها ثم لخصتها بعد ذلك وألحقت التلخيص برسائله ﷺ ونص التلخيص بفضل المرجو في الخلاص والتخليص أن سيدنا ولي نعمتنا والسبب في كل خير وصل أو يصل إلينا هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة قطب دائرة المحققين وصفوة صدور المقربين قدوة الأولياء الواصلين وعمدة الأتقياء العارفين مربي المريدين ومرشد السالكين ووارث علوم سيد الأولين والآخرين مفتاح أنوار الحقائق ومصباح رموز الدقائق صاحب الكشف والتحقيق والعرفان والتدقيق والعلم الخافق على رؤوس الخلائق مظهر الولاية وعين العناية المحفوف بصنوف عوارف اللطائف ولطائف العوارف من بروج سماء معرفته كواكب العناية ومنشور رياض حضرته أعلام الولاية روح مجمع أهل الكمال ودوحة أهل المعارف والأحوال تاج الأتقياء وعلم الأصفياء وسراج الأولياء غيث الأنام وغوث الإسلام بقية السلف وعمدة الخلف محي معالم الطريق بعد دروسها ومظهر آيات التوحيد بعد أفول أقمارها وشموسها خلاصة أهل العرفان المتخلق بمقام الإحسان من أنعشت أرواح السامعين إشارته وسحرت ألباب الموفقين عبارته وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق من خلال جنانه وانبثت أشعة أنواره في الكائنات وانبعثت جيوش أسراره في الموجودات وتوالت بفضل الله هباته الوافرات ووالت بركاته جميع المخلوقات وسطعت شموس معارفه وزكت غروس عوارفه في قلب من اصطفاه لصحبته عالم الخفيات من خطف بيد مواهبه قلوب الناسكين فعكف بها في مساجد المشاهد ورقي على معراج معارفه بأرواح السالكين إلى حظائر القدس وهاتيك المعاهد ذو الكرامات الظاهرة والمقامات الفاخرة والأحوال الخارقة والأنفاس الصادقة والواردات الرحمانية والمحاضرات القدسية والأوقات الأنسية والأسرار المكلوتية والأنوار اللاهوتية من له المعراج الأعلى في المعارف والمنهاج الأسنى في الحقائق والعوارف واليد البيضاء في علوم

الموارد والباع الطويل في استنباط عجائب الإشارات وبدائع الفرائد والكشف الخارق عن حقائق الآيات والفتح الفارق بين الحق والباطل في غياهب الظلمات القطب الرباني والعارف الصمداني سيدنا وسندنا ومولانا أبو بكر بن محمد بن عبد الله البناني الرباطي دارًا وضريحًا ومولدًا الفاسي أصلاً ومحتدًا الدباغي نسبة الدرقوي طريقة الصوفي حقيقة كان ﷺ ونفعنا المسلمين به من أكابر العلماء العاملين جامعا بين الشريعة والحقيقة برزخا بينهما يعطي الوسيلة فيهما اشتغل أولاً ﷺ بعلم الظاهر ببلده رباط الفتح ثم ارتحل إلى فاس بقصد قراءة العلم أيضًا فعكف على القراءة بمدرسة الصفارين سنين عديدة حتى حصل على علوم الشريعة كلها بحسب الإمكان بحيث صار يقال فيه ما قيل في نادرة الزمان الشيخ الأكبر سيدي ابن عربي الحاتمي رفع الله له الشأن بجاه سيد ولد عدنان هو أعلم بكل فن من أهل ذلك الفن ثم جذبه الحق إلى حضرته فصرف عنان وجهته إلى علوم الحقيقة وطريقة الصوفية ﷺ فأخذها هناك عن مشايخ عديدة ﷺ وعمدته في الطريق والوصول إلى مقام التحقيق هو الشيخ الإمام العارف بالله تعالى شيخ الطريقة وإمام الطالبين للحقيقة الكامل المحقق المدقق المربي الواصل أبو المواهب الإلهية والمعارف الربانية والعلوم اللدنية والأخلاق النبوية الشريف الحسني سيدنا ومولانا عبد الواحد ابن مولانا علال القصار الشهير بالدباغ ابن مولانا إدريس ابن مولانا محمد ابن مولانا محمد ابن مولانا علي ابن مولانا القاسم ابن مولانا الحسين ابن مولانا أحمد ابن مولانا صالح ابن مولانا محمد ابن مولانا علي ابن مولانا هيدور ابن مولانا الحسن ابن مولانا عبد الواحد ابن مولانا منصور ابن مولانا محمد ابن مولانا عثمان ابن مولانا علي ابن مولانا يخلف ابن مولانا عبد العزيز ابن مولانا نازيان ابن مولانا إبراهيم ابن مولانا محمد ابن مولانا أحمد ابن مولانا داود ابن مولانا إدريس ابن مولانا إدريس ابن مولانا عبد الله الكامل ابن مولانا حسن ابن مولانا الحسن ابن مولانا علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله وهو أعني مولانا عبد الواحد الدباغ أخذ الطريقة عن شيخه الشريفة الحسني سيدنا ومولانا العربي ابن مولانا أحمد الدرقوي وهو عن شيخه سيدنا ومولانا علي العمراني الملقب بالجمل وهو عن الشيخ سيدي العربي بن عبد الله الفاسي دارًا وضريحًا عن أخيه الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله عن الشيخ سيدي قاسم الخصاصي دفين باب الفتوح من فاس عن الشيخ سيدي محمد بفتح الميم بن عبد الله عن الشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي عن أخيه الشيخ سيدي يوسف الفاسي عن الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب دفين مكناسة الزيتون عن الشيخ سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار دفين باب الفتوح من أرض فاس عن الشيخ سيدي إبراهيم الحاج المعروف بالفحام عن الشيخ سيدي أبي العباس أحمد زروق ﷺ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن الشيخ العارف أبي الحسن سيدي علي بن وفا هكذا في رواية ساداتنا المغاربة وفي رواية السادات المشارقة زيادة الشيخ الإمام سيدي يحيى القادري ﷺ ونفعنا به بين الشيخين الإمام الحضرمي والإمام ابن وفا رضي الله عنهما انظر النور القوي وغيره عن والده أبي عبد الله سيدي محمد بحر الصفا عن الشيخ سيدي داود

الباخلي عن الشيخ الكامل تاج العارفين أبي العباس سيدي أحمد بن عطاء الله عن الشيخ الكامل أبي العباس المرسي عن الشيخ الكامل والعارف الشهير سيدي أبي الحسن الشاذلي عن الشيخ الكامل الشريف مولانا عبد السلام بن مشيش عن الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن الزيات المدني عن الشيخ تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما عن الشيخ فخر الدين عن نور الدين عن تاج الدين عن شمس الدين عن زين الدين القزويني عن إبراهيم البصري عن أحمد المرواني عن القطب سعيد عن القطب سعد عن فتح عن سعيد الغزواني عن جابر عن سيدنا الحسن عن سيدنا علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه وتعالى وحصل له رضي الله عنه ببركة شيخه مولانا عبد الواحد المذكور وملازمته له من الفتح ما لا يمكن التعبير عنه بحيث صار إماما يقتدى به وسراجا يستضاء به وأذن له رضي الله عنه في التصدر لتربية الخلق ودلالتهم على الله والكل بإذن من الله ومن مولانا رسول الله ﷺ حسبما هو مشهور عند أكابر أصحابه رضي الله عنهم فصدع رضي الله عنه بما أمر به فأقبل الناس عليه بدوا وحضرا وخرج على يده جماعة ممن لبسوا الخرقة وأما غيرهم فأكثر من أن يحصى وشهرته رضي الله عنه في مشارق الأرض ومغاربها جنها وإنسها تكفي وقد حكى لي بعض الثقات من أصحابه رضي الله عنه أن بعض الفقراء صدر منه ما أوجب تأخره أعني سيدنا الوالد رضي الله عنه عن الخروج للزاوية فوقع الهرج بين الفقراء لذلك وماج أمرهم فرأى النبي ﷺ وقال له يا أبا بكر أخرج عن إذن ربك إلى الفقراء وإلا سلبت الإيمان أو لفظًا هذا معناه فخرج رضي الله عنه إليهم فسكن أمرهم والحمد لله ولا يخفى أن هذا من أعظم وجوه الإذن عند أهل الله رضي الله عنهم وهو أن الولي لا يخرج لتربية الخلق ودلالتهم على الله إلا بعد التهديد بالسلب حالاً أو مقالاً والعياذ بالله ومما وجدته بخطه رضي الله عنه ونفعنا به بعد الحمدلة ما نصه وفي ٢٠ صفر الخير سنة ١٢٧٣ التقيت بالنبي ﷺ في عالم الأرواح وأمرني بتحسين عمامته وشدها على رأسه فقدمت لذلك فأخذتني الهيبة من مواجهته ﷺ فعمدت إلى تحسين ذلك من وراء ظهره أدبا معه ﷺ فلما فرغت أتيت أمامه مطرقا وأنشدت:

أمحمـــــد أني بجاهـــــك عائـــــذ	ممــا عــرى جســمي مــن الضــراء
ولقـد دعوتـك حـين جلـت كـربتي	لم ألـــف غـــيرك كاشـــفا لبلائـــي
والحـال إن عظمـت فـلا يـدعى لهـا	إلا العظـــيم وأشـــرف الشـــفعاء

وهذه الأبيات للشيخ سيدي محمد الحراق وليست من محفوظاتي في عالم الأشباح لكنني لما رمتها في عالم الأرواح وجدت حفظي بها منوطا فلما فرغت من الإنشاد نظر إليّ ﷺ نظرة العطف والبشاشة واستيقظت عقب ذلك فوجدت الأبيات لازالت منوطة بالحفظ فراجعت ديوان الشيخ فإذا بالوفاق حاصل وتعبير ما أشار به ﷺ من شد العمامة وتحسينها معروف وغايته الأخذ بالعزائم والرفض للرخص وهو إشارة إلى سلوك طريق الجادة وفي ضمن ذلك الإذن بالمعروف الذي يوجب حسن وجه الحقيقة والنهي عن المنكر الذي يوجب حسن وجه الشريعة والأمر إن كان من عند الله يمضه والسلام اهـ ووجدت أيضا بخطه ما نصه الحمد لله من منح الله لعبده أن هتف بي هاتف وقال يا أبا بكر الناس

يقولون من نازعك في دنياك اجعلها له في نحره وأنت زد على ذلك ومن نازعك في آخرتك اجعلها له في حظه ومن نازعك في ربك اكتف بعلمه ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] اهـ ما وجد بخطه ﷺ بتمامه وكان له ﷺ القلم البارع في جودة التأليف قل أن يوجد له نظير وجل تآليفه ﷺ فيوضات إلهية وفتوحات ربانية بحيث لو رأيت مسودة تآليفه لقطعت بأنها مخرجة ﷺ وأرضاه وأكرمنا والأحباب بما به أكرمه بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ الذي قال من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم آمين وتآليفه ﷺ في التصوف وطريق القوم وغير ذلك تنيف على الستين تأليفًا وكلها في غاية الإتقان وحسن الترتيب قد حازت من الرونق والمهابة والبهاء والقبول ما لا يخفى على أهل الفتح بعطفة النبي الرسول ﷺ وهي من أعظم الدلائل على جلالة قدره وعلو منصبه ﷺ كما قال مولانا علي كرم الله وجهه المرء مخبوء تحت لسانه تلكموا تعرفوا وقال بعضهم الرجال صناديق ومفاتيحها ألسنتها وفي الحكم العطائية كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه برز ولا يخفى أن القلم أحد اللسانين فمنها رسائله المسماة بمدارج السلوك إلى مالك الملوك ومنها كتاب الفصول المسمى ببغية السالك وإرشاد الهالك ومنها شرح الحكم العطائية المسمى الغيث المسجم في شرح الحكم في أربع مجلدات ومنها الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية التي أولها:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه

ومنها الفتوحات الغيبية في شرح الصلاة المشيشية ومنها بلوغ الأمنية في شرح حديث إنما الأعمال بالنية ومنها شرح الأبيات الثلاثة المنسوبة لابن عربي الحاتمي قدس سره التي أولها:

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

ومنها تحفة الملوك والممالك في شرح ألفية ابن مالك شرحها ﷺ بالإشارة ومنها تفسير القرآن العظيم بالإشارة ومنها الفتح الوهبي في التعريف بشيخه مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي ومنها إشراق الحلك في شرح حديث يتجلى ربنا في صورة ملك وهو حديث التحول ومنها كتاب الفصول الفاصلة في بيان الزاد والراحلة ومنها تحفة الملوك في قول الرسول لعلي أنت أخي وأنا أخوك ومنها حديقة الأزهار في نتائج الصمت وعلومه وما فيه من الأسرار جعله ﷺ على عشر منازل كل منزلة احتوت على مائة وعشرين علما وجعل له خاتمة كالتكملة جمع فيها أسرار المنازل وعلومها وجعلها تفسيرا لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِياً ﴾ [مريم: ١٠] وقد ذكره ﷺ أخر الرسالة السابعة والعشرين من رسائله وقال بعد ذكره ما نصه لقد فتح الله علينا فيه بعلوم لم تخطر على بال ولا علمت أن أحدا سبقني إليها من النساء والرجال كل ذلك ببركة رسول الله ﷺ وبركة شيخي وشيخه ولولا ورود الإذن عاريا عن التقييد ما أبديت علم ذلك في شاهد التقييد لأن ذلك من موانع المزيد والحمد لله على فضله وإحسانه اهـ وهذا منه ﷺ تحدث بنعمة الله لقول الله العظيم خطابا لنبيه الكريم ومن كان على قدمه من العلماء بالله العاملين الدالين على الله الفضلاء الكاملين الواصلين ﴿ وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] ومنها حكمه العجيبة وهي من أحسن ما يكون اشتملت على وصايا نافعة ونصائح لوجوه الخير جامعة أولها من لم تسقه رياح العناية وتحمه شوارق الرعاية من أين له أن يدعي الهداية وأخرها سافر بظاهر وجودك عن المماثل من الناس واهرب بباطن شهودك من حلاوة الاستئناس إذ العبادة لا تكون بالشركة ولا تنجح مع تلبيس الوسواس ومنها شرح نوابغ الزمخشري عفا الله عنه التي أولها بعد الخطبة السنة منهاجي ومنها أجي ومنها كتاب فتح المتعال في كشف آفات المنازل والأحوال وهو كتاب عظيم الموقع ومنها طبقات مشايخه ﷺ ومنها رائيته هدية المريد وهي من بحر الطويل اشتملت على وصايا نافعة أولها:

حقيقـة جمعـي في افتراقـي وهمـتي تمد جميع الكون في الطي والنشر

وأخرها:

فخـذها مريـد الحـق مـني هديـة تسدد حالاً منك إن كنت ذا حجر

ومنها لاميته الجليلة في مدح النبي ﷺ سماها الجوهرة في مدح من جاء بالحق وشهره أولها قدّت فؤادي ذات الحلي والحلل الخ وغير ذلك من التآليف التي لم تظهر بعد وفاته ﷺ فلا حول ولا قوة إلا بالله وكان ﷺ محمدي الخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللازم والخلق بضمهما ومن ذلك ما كان متصفا به من خلق الكرم فقد كان ﷺ أكرم أهل زمانه وأجودهم حسا ومعنى حسبما هو شهير عند أصحابه وغيرهم من أهل الوقت بحيث كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وكان إذا لم يجد ما يتصدق به يعطي ثيابه التي على ظهره فكثيرا ما يخرج من بيته ﷺ لابسا العمامة فيرجع بدونها ويخرج لابسا القميص مثلا فيرجع بدونه ويخرج لابسا النعل فيرجع حافيا إلى غير ذلك مما يطول ذكره وقد حدثني الشيخ الإمام العلامة الصوفي الهمام الجامع بين الشريعة والحقيقة أبو حفص سيدي الحاج عمر عاشور ﷺ ورحمه بعدما أطال معي النفس في المذاكرة في أحوال سيدنا ومولانا الوالد ومناقبه ومآثره وزهده وكرمه وقال لي ما رأيت في وقتنا أكرم وأجود من الشيخ سيدي أبي بكر والدك جدد الله عليهما سحائب الرحمات وأكرمنا بما به أكرمهم آمين ويكفي شاهدا لما ذكر أنه كان لا يدخر شيئًا لغد في الغالب ﷺ وأنه كانت تجبى إليه عطايا وهدايا تحار فيها العقول فيتصدق بها وينفقها على الأشراف والأفاضل والفقراء ولا يترك منها شيئًا وطالما طلب منه أصحابه ﷺ شراء دار لسكناه وسكنى أولاده من بعده فيمتنع من ذلك وكانوا إذا ألحوا عليه في ذلك يقول لهم تركت لأولادي الله ورسوله وقد وعدت من قبل الحضرة بأن الله تعالى لا يكشف عني وعن أولادي رداء ستره الجميل بمنه وكرمه سبحانه وعطفه سيد الوجود ورثته ساداتنا المشايخ وبركة أسلافنا قلبا وصلبا ﷺ ولما توفي ﷺ ترك دينًا له بال في الوقت في نفقة عياله وأصحابه فقضاه الله تعالى عنه في أقرب مدة من غير تكليف أحد وترك أولاده على بساط الفقر ساكنين في دار من دور الأحباس الكبرى منفذة لهم من قبل سلطان الوقت نصره الله وهو السلطان الأمجد الموفق الأسعد الشريف الحسني سيدنا ومولانا محمد ابن السلطان الأرشد سيدنا ومولانا عبد الرحمن رحمهما الله وجعل الخلافة والبركة

فيهم وفي نسلهم وثبتنا وإياهم على المنهج المحمدي وكمال الاجتهاد في نصر دين الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها آمين وكان السلطان المذكور يجله غاية الإجلال أجل الله قدره وكان يلتمس منه الخير والبركة والدعاء الصالح وكان لا يرد له مطلبًا على أنه كان كامل رفع الهمة عن الكون بأسره ﷺ وكان إذا كتب بشيء له وأولاده يقول في ظهيره ﷺ أعطوه كذا أو أعطوا أو نفذوا لأولاده كذا لما هو عليه من إرشاد الخلق ودلالته على الله أو لما كان عليه أبوهم من إرشاد الخلق الخ جزاه الله خيرا وكافاه فإنه ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠] قلت وكذا نسله وأولاده المباركون فإنهم معنا على هذا المنهج قواهم الله وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله وأكرمهم بكمال العدل والإنصاف لتبقى دولتهم محفوظة فإن العدل أساس الملك بإجماع الأشراف وقد ذكر الأفاضل الأعيان أن أعظم أسباب عمارة الديار وبقاء الخير والصلاح الولاية فيها على مدى الأزمان الاعتناء بأهل بيته ﷺ وورثته ساداتنا العلماء والمشايخ الكرام الدالين على الله وكل من انتمى إليهم وحسب عليهم بفضل الله أكرمنا الله والأحباب الحظ الأوفر من ذلك بمنه وكرمه آمين وكان أي الشيخ المترجم له نفعنا الله به أزهد أهل وقته حسًا ومعنى وكان لباسه في الغالب مرقعة من صوف وجبة كذلك وقميصا وعمامة من كتان وكان لا يملك زرعا ولا ضرعا ولا بغلة ولا فرسا ولا جملا ولا حمارا ولا غير ذلك كما يملكه غيره من المشايخ المدعين ﷺ ونفعنا ببركة الجميع آمين وذلك بحسب ما فهم عن الله في تجليه ومن المقرر أنه ما تجلى الله لولي بمثل ما تجلى به لآخر كما قاله شيخ شيوخنا سيدنا ومولانا عبد الواحد الدباغ المتقدم الذكر نفعنا الله به فافهم وإياك والتخليط والاعتراض ولو كنت محصلاً على ما لم يحصله أقرانك وأمثالك من العلم فإن ما غاب عنك أكثر مما علمت وحضر عندك

لا تكـــن راقبـــا فـــثم أمـــور لطـــوال الرجـــال لا للقصـــار

وإذا لم تـــر الهـــلال فســـلم لأناس رأوه بالأبصـــــــــار

فافهم وسلم تسترح مع أنه ﷺ قد مكنه الله تعالى من ناصية الدنيا بحيث كان ممن جعلهم الله تعالى يقولون للشيء كن فيكون بإذن الله وكان له باع كبير في سر الحرف والكيمياء وعلم جابر مستجمعًا لشروطه وضوابطه أصلاً وفرعًا ولما التقي بشيخه سيدنا ومولانا عبد الواحد الدباغ ﷺ ونفعنا به وأخذ عنه الطريق أخذ عليه العهد بعدم الالتفات إلى ذلك وعدم تعاطيه اكتفاء بالله تعالى فإن من وجد الله وجد كل خير وما عند الله باق وقد حدثني الثقة من أصحابه أنه كان يقصده أناس من بلاد بعيدة لطلب العلم المذكور فيدلهم على الإكسير المعنوي الذي يقلب الأعيان بسرعة بحيث بمجرد النظر إليه والجلوس بين يديه واستفهامهم عن غرضهم وسبب مجيئهم ينظر إليهم نظرة خاصة فيغنيهم بفضل الله وإذنه عن الالتفات إلى ما سوى الله مطلقًا وتنقلب صفاتهم الظلمانية بالنورانية وقصدهم الدنيوي بالأخروي وهكذا يكون شور الناصحين الربانيين لأن من ذلك على الله فقد نصحك ومن ذلك على الدنيا فقد غشك وقد ورد الدين النصيحة ومن غشنا فليس منا والعياذ بالله ومن غريب ما كان وقع له

ﷺ أن بعض الناس كان ورد إليه من بلدة بعيدة لزيارته والتبرك به فلما التقى به ﷺ وتكلما في الأدب المناسب في الوقت التفت إليه وقال له يا سيدي بلغني عنك أن لك أصحابًا وأتباعًا وزوايا ولا حركة ولا حرفة حسية لك ولابد من ضروريات وأغراض وذلك متوقف على أموال لها بال وقد أتيتك بهدية وتحفة تستعين بها على قضاءها مآربك فتبسم مولانا الوالد ﷺ وفهم مراده وقال مرحبا بك وبما جئت به أتحفك الله بكل خير وما هي هذه التحفة فأمره بإحضار شيء من كاغط خاص وبخور كذلك وشيء من النار ومقص فأمر بإحضار الجميع فحضر في الحين فصار يقص الكاغط على قدر الدراهم المتعامل بها في الوقت ثم صرها في ثوب وصار يقرأ ويكتب ويبخر وسيدنا ساكت ينظر حتى فرغ من عمله ففتح الصرة فوجدها دراهم مماثلة للدراهم الوقتية ثم أراد أن يبين له كيفية الاستعمال فقال له سيدنا أيده الله اصبر حتى نريك كيفية أرفع من هذه فأخذ قطعة كاغط ثم قصها على شكل الضبلون المعروف من الذهب عمل الصنيول وجعلها في كفه ثم ضم أصابعه عليها وحرك شفتيه ﷺ ولم يحتج لبخور ولا غيره ثم فتحها فإذا هي ضبلون ذهب خالص فتعجب المدعي المذكور من ذلك وهاله أمره وسقط ما في يده ثم قال له سيدنا هكذا ينبغي لك أن تعمل وهكذا تنبغي الدعوى ومع هذا كله قد زهدنا في هذا وغيره من وجوه الدنيا وأطعنا أمر الله تعالى ورسوله ﷺ في ترك كل ما يقطعنا عن حضرة الله كالسحت الذي تتعاطى ثم نفخ في تلك السكة فصارت كاغطا مثل ما كانت أولاً ثم قال له هذا شيء يشغل عن الله ويبعد من حضرة الله والزوايا أمرها قائم بالله ومن كان لله كان الله له أبى الله أن لا يرزق أولياءه من حيث لا يحتسبون إلى غير ذلك مما يناسب الموضوع فرجع ذلك الزائر إلى الله وتاب من ارتكاب ما يبعد من الله وألقى زمامه إلى سيدنا ليقوده لحضرة مولانا رسول الله على شريعته المطهرة من دنس الأغيار الحاجبة عن الله فهنيأ لنا وله به وبالاجتماع به وبأمثاله من سائر ساداتنا أولياء الله جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم بمنه وكرمه آمين وقد قال الشيخ الإمام القطب الكامل الهمام أبو محمد سيدنا ومولانا عبد الله بن حساين الرقي حسبما نقله عنه الشيخ سيدي أحمد بناصر في رحلته رضي الله عنهما ما نصه وذلك لما بلغه أن بعضهم اتهمه بعلم الكيمياء خدمنا لا إله إلا الله حتى وجدنا لها بركة ومن ظننا بخلاف ذلك فقد ظلمنا وقال الشيخ سيدي أحمد بن محمد بناصر المذكور ﷺ وكان الشيخ عبد الرؤوف نقيب كسوة الكعبة المشرفة بالديار المصرية يبحث عن سر الحرف وعلم الكيمياء كثيرًا وقد ذهب بنا يومًا إلى داره وبالغ في الإكرام والمبرة والاحترام وظن أننا نتعاطى شيئًا من ذلك أي من سر الحرف وعلم الكيمياء وأعظم كوننا غير معتنين بتلك الحرفة ولم يدر أن طريقتنا كطريقة أشياخنا عدم استعمال الأسماء والأوفاق بل والأذكار طلبًا لفائدتها العاجلة بل والآجلة في الغالب وإن كانت حاصلة في ضمن ذلك والكفاية بالله أولى من التعلق بالآثار اه وقد سئل والده سيدي محمد المذكور ﷺ عن الكيمياء والحكمة الكاغدية وما أشبه ذلك فقال ذلك حرام حرام حرام اه اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه واكفنا ما أهمنا وما لم يهمنا من أمر الدنيا والآخرة بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم آمين وقد حدثني أخونا في الله

وحبنا من أجله المرابط البركة الذاكر لله تعالى في الكون والحركة نسل الاختيار وسلالة الأبرار أحد خواص أصحاب مولانا الوالد قدس سره سيدي الحاج الطنجي بن محمد بن الشرقي الشرقوي آل الشيخ الصالح القطب الواضح سيدنا محمد الشرقي البجعدي العمري ﷺ ونفعنا به أنه كان ذات يوم جالسًا مع شيخه سيدنا ومولانا الوالد قدس سره وكان قد أخذ عنه الطريق وتجرد للعبادة وظهر عليه حال قوي ومجاهدة كبيرة في طاعة الله سبحانه وأنجر بهم الموضوع في المذاكرة إلى الكلام على رفع الهمة عما سوى الله تعالى وتعليقها به سبحانه واستغرق معه الوقت في ذلك وتجلى في مولانا الوالد عظيم كعادته حين الدرس والمذاكرة ﷺ بحيث كان لا يقدر أحد أن يواجهه أو يرفع إليه بصره ويطيل النظر إليه من شدة ما يتجلى فيه ﷺ ثم قال له يا سيدي الطنجي نحبك أن تكون بإذن الله تعالى وحوله وقوته من الرجال الذين يمدون يدهم في الكون هكذا ويأخذون ما شاءوا أو مديدة في الهواء وضم أصابعه ثم فتحها فإذا هي مملوءة ذهبا فرعب السيد الشرقوي من ذلك وسرى فيه سر الشيخ السالك في طاعة الله أحسن المسالك ثم قال له نفعنا الله به ومع هذا كله لا حاجة لنا يا أخي بسوى الله تعالى وضرب يده بالأرض ونفخ فيها فلم يبق شيء بإذن الله وترقى بفضل الله وبركة شيخه وأسلافه إلى مقام رفع الهمة وصار بمكانة عظيمة في ذلك ولم يبق له شغل بسوى طاعة الله والتوجه إليه تعالى ومن المقرر عند أكابر أهل الله أن رفع الهمة عما سوى الله تعالى أعظم ما يمنحه الحق تعالى لعبيده وقد قال مولانا الوالد قدس سره في الفصل الثامن والعشرين من بغيته ما نصه علم يا فقير أن هذا الطريق هو طريق رفع الهمة وعلوها عن أن تنزل على شيء لا يساوي قيمتها لأن نفسك عندك محبوبة بالطبع والشيء المحبوب لا يبذل إلا فيما هو أشرف منه وأنت إذا تأملت الدنيا وزينتها المذكورة في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية علمت أن ذلك شيء حقير لا يعدل قيمة نفسك ثم قال فالعاقل من رفع همته عن الكون بأسره وأنزلها بالمكون سبحانه فنال مقصوده وحصل على مطلبه من الله الخ كلامه فراجعه تستفد وقد أكرم الله تعالى هذا السيد بالثبات على هذه الحالة إلى الآن ولازال بقيد الحياة أطال الله بقاءه بخير وعافية في الحس والمعنى وقوانا وإياه على طاعته تعالى وجعلنا جميعًا من الحائزين قصب السبق في ذلك بمنه وكرمه أنه أرحم الراحمين آمين إلى غير ذلك مآثر سيدنا ومولانا الوالد وزهده وورعه في الحس والمعنى في الظاهر والباطن وغير ذلك من مناقبه ﷺ وتتبع ذلك يستدعي أسفارًا عديدة ولسنا بصدد ذلك الآن وما كل واقع يقال

وسحاب الخير لها مطر فإذا جاء الإبان تجيء

وتظهر مناقبه ومآثره للخاص والعام بفضل الملك الديان ومدد سيد الموجودات ونخبة الأعيان صلى الله عليه وآله وسلم ما تعاقب الملوان توفى سيدنا ومولانا الوالد قدس سره صحوة يوم الأربعاء السابع عشر من جمادى الثانية سنة أربع وثمانين بعد المائتين والألف وحضر موته خلق كثير من أصحابه وغيرهم بحيث ملأ الحاضرون الدار ولما قرب خروج روحه ﷺ أمر الفقراء بذكر الاسم الأعظم الذي هو الله فلم يزالوا يذكرون الله ﷻ بلسان واحد وصيغة واحدة إلى أن وصلت روحه إلى صدره فشرعوا في قراءة صلاة

الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش وهي اللهم صل على من منه انشقت الأسرار الخ فلما وصلوا إلى قوله فيها ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥] فارق الدنيا رحمه الله عليه وجعلنا على أثره وكانت له جنازة عظيمة حضرها خلق كثير أكثر ممن حضر موته ﷺ ودفن بزاويته التي كانت وهبت له في حال حياته بحومة السويقة من بلده رباط الفتح وبناها أصحابه ﷺ بعد وفاته بقريب وأسسوها على تقوى من الله ورضوان وأتقنوا بنيانها غاية الإتقان وعمروها بذكر الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وتدريس العلم وإقامة الصلوات آناء الليل وأطراف النهار وكل من أوى إليها من الفقراء والغرباء أكرموه سواء عرفوه أو لم يعرفوه والحمد لله زاد الله في معناهم وقوى عددهم ومددهم وكان لهم بما كان به وأزكى السلام آمين وعلى هذه الزاوية المباركة من أنوار المهابة والإجلال والأنس ما يبهر العقول حسبما شهد بذلك الفحول وليس الخبر كالمعاينة والحس له شاهد يصول وما قصدها أحد بكمال النية والصدق في مطلب حسي أو معنوي من المطالب الخيرية إلا قضاء الله في الحين وكم من مقعد في الحس والمعنى أتى به إليها فمشى في الحين بفضل الله وكم من أبكم كذلك ورد إليها فنطق بإذن الله وكم من محموم حل بها فعوفي لوقته بسر الله وكم من مجنون بل مسلوب العقل بالمرة طرح في ساحتها فرد عليه عقله وعوفي بعناية الله وكم من معوج الوجه حسا ومعنى نظر إليها وإلى ضريح من حل بها فرد الله هيئة وجهه فوق ما كانت بمدد مولانا رسول الله وغير ذلك من الكرامات التي تظهر لقاصديها من أرباب العاهات في الحس والمعنى ويرحم الله الإمام ابن الفارض إذ يقول في خمريته مشيرًا إلى هذه المزايا التي تظهر على يد كمل البرايا أكرمنا الله بما به أكرمهم من جزيل العطايا بمنه وكرمه آمين

ولـو طرحـوا في فـئ حـائط كرمهـا	علـيلاً وقـد أشـفى لفارقـه السـقم
ولـو قربـوا مـن حانها مقعـدًا مشـى	وينطـق مـن ذكـرى مـذاقتها الـبكم
ولـو جليـت سـرا علـى أكمـه غـدا	بصـيرا ومـن راووقهـا تسـمع الصـم
ولــو أن ركبـا يممـوا تـراب أرضــها	وفي الركـب ملسـوع لمـا ضـره السـم
ولـو رسـم الراقي حروف اسمها على	جبـين مصـاب جـن أبـرأه الرسـم

كما أنه ما رامها أحد بسوء الأخذل وأهلك في الحين أو بعد الحين في الحس والمعنى في الظاهر والباطن والغالب الثاني استدراجا ومكرا نعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء بجاه مولانا محمد ﷺ وجاه ورثته ﷺ وجزئيات كليات هذه الوقائع يطول ذكرها ولو كما بصدد بسط الكلام في هذا الموضوع لأبدينا من وقائعه ما فيه عبرة لأولي النهي لكن ليس بعد العيان بيان والأمر لله الملك الديان اللهم أكرمنا بالأدب معك ومع مظاهر أنوار حضرتك بمنك وكرمك آمين وكيف لا وجلالة إمام هذه الحضرة ومكانته من الولاية والقرب من الله غير خفية على أرباب البصائر المنوّرة بنور التوفيق والتسليم والإذعان في السر والإعلان ونفع الخاصة والعامة به بدوًا وحضرًا رجالاً ونساء كبارًا وصغارًا جنًا وإنسًا في حياته وبعد وفاته

شهير وليس له لدى المخصوصين المهديين من نكير وأما الضالون المضلون المنكرون فلا عبرة ولا مبالاة بهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

والأمكر لله كيف شاء فعل وكان ﷺ مبتلى بأهل الإنكار من المعاصرين المحجوبين بأهويتهم وظلمانيتهم واستيلاء الجهل والسفه عليهم وغير ذلك من أنواع الاغترار ونصبوا له شبكات الخداع غير مرة فوقعوا فيها وحفظ هو بإذن الله وبركة مورثه أمام الحضرة صلى الله عليه وآله وسلم ما فهم موفق لبيب عن الله وسلم أموره كلها وفوضها إلى الله وقد أشار قدس سره إلى شيء من هذا في الرسالة السابعة والثلاثين من رسائله وغيرها ككتابة بغية السالك ونصه في الفصل الخامس والخمسين منه فصل من فتح الله عليه في علم المعرفة لم يتشبع ما يرد عليه من المعاند الذي جعله الله مفتاح الخيرات الأبدية ولا يتضجر من تزوير الحاسد بردة الباطل كي يصد الناس عن دين الله وعن استقامة وجوههم إليه فإنه لا يتشبع ذلك إلا من لا علم عنده بسر ذلك المفتاح وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِّنَ المجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٣١] فقد عرفنا الحق بهذه الآية أن الشر قديم وفي كل زمان وأنه تعالى قيض لإيذاء كل صادق معلونًا ومن جملة من كان يؤذي نبينا سيدنا محمدًا ﷺ أبو عامر الفاسق لعنه الله وكان راهبًا يأمر المنافقين أن يبنوا مسجدًا ضد مسجد قباء رياء وسمعة ونفاقًا صد الدخول الناس في دين الله وقد أرغم الله أنفه وذهب مسجده وأكمل تعالى دينه الحق الذي هو دين الإسلام وبقي المسجد الذي أسس على التقوى كذلك من فتح الله عليه في علوم المعرفة وإقامة الحق في دعاء الخلق فلا يتحرج من دخول مثل هذا العدو على الناس بالوساويس الشيطانية فإن مسجده ساقط ومسجد المأذون له المفتوح عليه الدال على الله قائمها بحول الله والحمد لله على هذا المعنى والشكر له على ما أولانا من الثبات والتأييد على أن السعيد من بطن أمه والشقي من بطن أمه وأن الشيطان لا يتسلط إلا على الكافر ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزاً ﴾ [مريم: ٨٣] فافهم والسلام اهـ كلام البغية ويكفي شاهدا في خصوصية مولانا الوالد وفضيلته الانتفاع المذكور بفضل الكريم الشكور الرحيم الغفور وقد قال العار ف بالله تعالى سيدي أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي ﷺ أن شهود النفع بمشايخ الوقت وأولياء الزمان وصالحيه الذين لا يحصون كثيرة يحصل القطع بخصوصيتهم وقربهم من ربهم وسريان مادتهم ونورهم متيقن عند ذوي الألباب والبصائر ومن له مسكة من حياة حقيقية وشم وإدراك روحاني وإنما ينتفع بالقطع بخصوصيتهم وأما من كان على ظن وشك فيهم فإنه لا ينتفع بهم لأن مبنى النفع الصديقية وهي الأصل في الطريق ومن حرم الأصل حرم الفرع ولذلك قيل إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول والكلام هنا يطول اهـ والزاوية المدفون بها ﷺ المتقدمة الذكر كانت قبل بنائها بقعة خالية فوهبت له وحسبت عليه حال حياته وعلى أصحابه ما تناسلوا من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وقد كان ﷺ بشره في وقعة عظيمة يطول ذكرها بأن مدده ﷺ لا ينقطع وأصحابه لا ينقرضون

بفضل الله وقال له مر أصحابك أن يجعلوا أول وردهم بسم الله الخالق الأكبر حرز لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله صلى الله عليه وآله سلم ورضى عن هذا الإمام والبقعة المذكورة كان وهبها له أخونا في الله ومحبنا من أجله التاجر الأمجد الموفق الأسعد أبو عبد الله سيدي الحاج محمد ضما المتوفى بحضرة فاس صانها الله من كل بأس كان قدم إليها الغرض فاخترمته المنية بها وذلك سنة ست وتسعين ومائتين وألف نجل المرحوم بكرم الله سبحانه الفقيه الأجل سيدي الحاج المهدي بن جلون رحمهما الله وسبب التحبيس يطول ذكره ولما حبسها عليه ﷺ أمر الإخوان بعقد الباب الكبير وجعل دفتين له ففعلوا فورًا وسدها وتركها على حالها ﷺ وكانوا إذا كلموه في بنائها أجابهم ﷺ بأنه لا غرض له في ذلك وأن الأمر إن كان من عند الله يمضه ويقول لهم إني وعدت من قبل حضرة الله بأن بناءها يكون بعد وفاتي وإن مددي بعد الوفاة أكثر منه في الحياة أي لحجاب المعاصرة والعياذ بالله وقد قال ﷺ في الفصل الرابع والأربعين من بغيته ما نصه اعلم وفقني الله وإياك أيها الفقير الصادق الذي من الله عليه بالصدق والتصديق إننا كثيرًا ما نتذاكر مع فقهاء وقتنا ونشرح أحوال العلماء العاملين بالعلم الرباني ونتكلم في دسائس النفوس وغوائلها ويفتح الله على العبد المضطر بما لا يجدون له جوابًا إلا الاعتراف بعدم العلم والمعرفة ومع لك غيرة المماثلة والمشاكلة ونكتة شنيعة أوجبت للإنسان الصد عن الله نسأل الله السلامة والعافية إذ الإعراض عن الحق عند ظهور من المكابرة في الدين وعدم الصدق مع رب العالمين ويرحم الله ولي الله سيدي عبد الوهاب الشعراني إذ يقول من أشد الحجاب عن معرفة أولياء الله ﷻ شهود المماثلة والمشاكلة وهو حجاب عظيم قد حجب الله به الأكثر من الأولين والآخرين اهـ وأقول لك أيها الفقير أنه لا ينتفع الإنسان من الإنسان إلا إذا شاهد فيه الكمال وشاهد الأفضلية فيه وأما إذا شاهده مثله أو دونه فكيف يصدر منه الإذعان الذي يقتضي حط الرقبة هذا لا يكون فلذلك والله أعلم نرى كثيرًا من أهل العلم يلتقون بالأكابر من أهل الله ويبقون معهم الزمان الطويل ولا ينالون شيئًا إنما ذلك من عدم الصدق فيما ذكرنا وقد رأينا وسمعنا بأشخاص عديدة من أمثال ذلك فنسأله سبحانه أن يمن علينا بحلية الإنصاف التي حلي بها الأشراف وأن يسلك بنا مسالك أوليائه وقد علمت يا فقير أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيرا عكس أشعة بصره إلى مرآة بصيرته فيصير ناظرًا بعين روحانيته التي من شأنها أن تصير الغيب شهادة والكثافة لطافة ويدرك بشهوده روحانية الولي دون بشريته التي قد صارت غيبا في شمس روحانيته وعند ذلك ينفعه الله به إذ نفع المريد من الشيخ هو أمر بيد المريد بفضل الله تعالى وإذنه وإرادته وسابق توفيقه وعنايته إن أراد النفع في الحين استعمل أجنحة الشوق المستنبتة من أصول شريعة الطريق وإن أراد تأخير النفع ترك الأجنحة وهذا الحال لا ينال إلا بكمال الشهود في روحانية أستاذه الذي هو عين حقيقته وأما شهود بشرية الولي من أهل الله فإنها الحجاب الأعظم الذي منت به الحقيقة الأولية على سفرة أنوارها ترجمان حضرتها ولا تزيد الناظر إليها إلا وبالا وضلالاً وهي التي أعطت صورة الباطل القوة على شهود المماثلة والمشاكلة حتى صدت عن الإقرار بالحق وأعرضت عنه بعد ظهور بسابق

عدله ولا حول ولا قوة إلا بالله وبالجملة فالصدق خالة كبيرة لا تعطى إلا لكبير منصف معترف بأن فضل الله لا يقصر لا على زيد ولا على عمرو اهـ المراد منه وقال أيضًا ﷺ في الفصل الثامن والستين من الكتاب المذكور ما نصه اعلم يا أخي أن الموفق الذي فطر الله فطرته على الهداية في سابق أزله فهو وإن ظهر عليه قهر الجلال وصرف فطرته عما جبلت عليه إظهار القهرية الواحد سبحانه لكنه بمجرد ما يتبين له سبيل الرشد إلا وقد اتبعه وأما أرباب الشقاوة والعياذ بالله وهم أرباب الدعوى فإنهم من أجل ما سبق لهم من البلاء لو رأوا ألف طريق من طرق الأولياء إلى الله تعالى ما زادهم إلا فسادًا وتكبرًا وطغيانًا ولا يتخذونها سبيلاً توصلهم إلى الحق وإلى سعادتهم لأن سجيتهم سجية الضلال قال الله ﷻ وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً وما ذلك إلا لما وقع في قلوبهم من الكبر حتى صدهم عن قبول الحق فلما امتنعوا من إتباع الحق منعهم الحق شهود أسراره وحجبتهم بسطوات جهلهم يقول الله سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق بل تكبروا بأنفسهم ودعاويهم المزورة قطع الله أعناقهم حتى أنهم من شدة الغباوة والعمى الذي بقلوبهم كلما رأوا آية الله الحاملة لأسرار توحيده كفروا بها فكان جزاؤهم من الله سبحانه أن منعهم أسرار خطابه كما قال ذو النون أبي الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن فالعارف تكبر بالله والجاهل تكبر بالنفس فالتكبر بالحق نعت الفقير والتكبر بالجهل نعت الغني فافهم والله الفتاح اهـ بغية وكان أعني مولانا الولد ﷺ يجتمع مع أصحابه قيد حياته في دار متهدمة كانت وهبت قبل لشيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة سيدنا الغازي بن العربي الصحراوي الشاذلي وهو شيخ العارف بالله تعالى الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي الحاج محمد لزارو الشاذلي رحمهما الله وكان أي الشيخ لزارو ومدفونًا بها قبل بعض بيوت لازالت على بنائها الأول فطلب من المكلف بها الإذن في الاجتماع بها مع أصحابه ﷺ وذلك بعدما أخرج من الزاوية الدرقوية لسبب يطول ذكره حاصله القضية المشهورة في السنة المشار إليها بقوله ﷺ أو مخرجي هم فافهم وقد ندم المتصدر لذلك غاية الندم ولم يخرج من الدنيا حتى كان من أخص أحباب مولانا الوالد قدس سره تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ ﴾ [الأنفال: ٨] الآية وقوله تعالى: ﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ [التوبة: ٣٢] الآية والحمد لله على التوفيق والتوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وبقي مولانا الوالد على ذلك مع أصحابه حتى لقي الله تعالى ولما توفى أجمع رأي أكابر أصحابه على دفنه بإشارته حال حياته رحمه الله في البقعة المذكورة في الركن الأيمن من الصحن الأول الذي فيه المحراب ولم يدفنون وسطها تحريًا من جعل قبره بتابوته ﷺ وسط حلقة الذكر وذلك يورث التشويش وتقطيع دائرة الحلقة وصفوف الصلاة وغير ذلك من المحذر منه شرعًا ﷺ وجزاهم خيرًا وهذا شور أهل الفطنة الكاملة والجمعية الخاصة جعلنا الله منهم وفي يوم دفنه ﷺ نقلوا حصر الزاوية وبسط الفقراء المنقطعين وغير ذلك من الحوائج التي كانت في الدار المذكورة إلى ضريح مولانا الوالد وشرعوا في تهيئة بيت من الخوص والقصب فما مرت ثلاثة أيام حتى كمل فوق ما ينبغي وصار ساداتنا الفقراء

المتجردون وغيرهم يجتمعون فيه لذكر الله تعالى وإقامة الصلوات ورتبوا إمامًا وحزابين ومؤذنًا وقام أمر الزاوية بإذن الله تعالى في أقرب مدة تحقيقًا لما كان وعد به إمامها ﷺ حسبنا تقدم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾ [الرعد: ٣١] وما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر ثم لازال المدد في الزيادة وساداتنا نواب مولانا الوالد رحمهم الله تعالى ورضي عنهم قائمون على ساق الجد في عمارة الزاوية ودلالة الخلق على الله ونفع من سبقت له سابقية الخصوصية من الله ثم بعد مدة قريبة وجهوا هممهم لبناء الزاوية على ما هي عليه الآن فيسر الله ذلك في أقرب مدة من غير تكليف أحد بما لا يطاق وإنما هي مواهب ونفحات بإذن الملك الخلاق وعطفة أصل المدد والإمداد أفضل المخلوقات بالإطباق ومن المقرر عند الخواص أنه ما تعسر مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك فكل من توجه لغرض بالله لله وكان مطهر الظاهر والباطن من الحظوظ النفسانية والأغراض الشيطانية تيسر أمره في أقرب مدة بإذن الله وأعين على ذلك وتهيأ له مراده بفضل الله وجاءت بعناية الله أرفع وأبهى ما يكون قد حازت من الرونق والبهجة والمهابة ما لا يمكن تسطيره ومن أحب تحقيق الخبر بالمشاهدة فعليه بالحلول فيها والكون من أهلها ظاهرًا وباطنًا ينل سر ما أشرنا إليه ويحقق بحول الله وقوته لطيفة ما رمزنا إليه

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

اللهم أكرمنا بكمال محبتك ومحبة رسولك سيدنا محمد ﷺ ومحبة ورثته الكرام ساداتنا أهل الله ﷺ ونفعنا ببركاتهم في الحس والمعنى إنه كريم سلام آمين والحمد لله رب العالمين

خاتمة نسأل الله حسنها

في بعض فضائل المؤاخاة في الدين وأسرار مصاحبة أهل طاعة رب العالمين

واعتقادهم وتحسين الظن بهم نفعنا الله بهم وحشرنا في زمرتهم آمين

اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لما يقربنا من حضرته وجمع قلوبنا عليه سبحانه وختم لي ولك بخاتمة الحسنى والزيادة بجاه من حاز أعلا رتب السيادة أن التواخي في طاعة الله ومصاحبة أهل الله الدالين على الله بالله ومواصلتهم ابتغاء رضوان الله واعتقادهم وتحسين الظن بهم ورد الأمر به في كتاب الله وسنة مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله وحض عليه الأكابر قديمًا وحديثًا وذكروا أنه سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة إلى الألفة والإخاء فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لأوليائه من الكرامة إذ حعلهم إخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله ﷺ الإخاء وندب إليه وآخى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الألم إذ يقولون ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١] وفي المباحث الأصلية:

وافتقــــروا أيضًـــــا للائـــــتلاف لـــيعلم المســـتوفي حـــال الـــوافي

لا خـــير فـــيمن لم يكـــن ألوفـــا ولم يكـــــن لغـــــيره مألوفـــــا

ومـــن يكـــن يصـــحب غـــير جنســـه فجاهــــل تالله قــــدر نفســــه

أفضـــل للمـــرء جلـــوس وحـــده ولا يكـــن جلـــيس ســـوء عنـــده

قـــد يرتجـــي الشـــفاء للســـقيم مهمـــا يكـــن مـــلازم الحكـــيم

ومـــن ينـــازع فـــاطرح نزاعـــه فالـــدين مبـــني علـــى الجماعـــة

وقال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين ومن كلامه أيضًا كرم الله وجهه في هذا المعنى:

عليـــك بإخـــوان الصـــفاء فـــإنهم عمـــاد إذا اســـتنجدتهم وظهـــور

وإن قلـــيلا ألـــف خـــل وصـــاحب وإن عـــــدوا واحـــــد الكثـــــير

وقال زياد خير ما اكتسب المرء والإخوان فإنهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء وقال الأوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب إن لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والإخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبزًا لحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطئ والنظر إلى الحسن من كل شيء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتي إلا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية ﷺ نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الأشربة حتى رجعت إلى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلي ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقي من اللذات ما تتوق إليه نفسي إلا محادثة أخ كريم وقيل لابن السماك أي الإخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد إن دنوت منه داناك وإن بعدت منه راعاك وإن استعنت به عضدك وإن احتجت إليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله وأنشدوا في المعنى:

إن أخـاك الصدق من يسعى معك ومـــن يضـــر نفســـه لينفعـــك

ومـــن إذا ريـــب الزمـــان صـــدّعك شـــتت فيـــك شملـــه ليجمعـــك

قيل لخالد بن صفوان أي إخوانك أحب إليك قال الذي يسد خلتي ويغفر زلتي ويقيل عثرتي وقيل من لا يؤاخي إلا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه وقالوا إذا رأيت من أخيك أمرًا تكرهه أو خلة لا تحبها فلا

تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمته واسترعورته وابقه وابرأ من عمله قال تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٦] فلم يأمره بقطعهم وإنما أمره بالبراءة من علمهم السيئ وقال ﷺ الأرواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال ﷺ إن روحي المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفي المعنى قيل:

تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا ... من طيب ذكركم نشرا فأحيانا

فمن هناك عشقناكم ولم نركم ... والإذن تعشق قبل العين أحيانا

وفي الوارد ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه وورد أيضًا ما زار أخ في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا نادته ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الإخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الإخوان الواصل في الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا إن من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقًا ولعدو صديقك عدوًا وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقد قيل إنما سمي الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه من المودة وسمي العدو عدوًا لعدوه عليك إذا ظفر بك وقال رسول الله ﷺ أكثروا من الإخوان فإن الله حيي كريم يستحي أن يعذب عبده بين إخوانه وقال ﷺ المرء كثير بأخيه وقال عليكم بإخوان الصدق فإنهم معونة على حوادث الزمان وشركاء في السراء والضراء وقال المغيرة بن شعبة التارك للإخوان متروك وقالوا من لم يرغب في الإخوان بلى بالعداوة والخذلان وقالوا اتخاذ الإخوان مسلاة للأحزان وقالوا مثل الصديق كاليد توصل باليد والعين تستعين بالعين وقال الإمام الثعالبي الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين وقال الصديق ثاني النفس وثالث العينين وقال في لقاء الإخوان روح الجنان وراحة الجبان وقال لا فاكهة أطيب من مفاكهة الإخوان ولا نسيم أروح من مناسمة الخلان وقيل لبعضهم أيما أعز عليك شقيقك أم صديقك قال شقيقي إذا كان صديقي وقالوا الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير وقالوا اصطف من الإخوان من كان ذا عقل موفور يهتدي به إلى مراشد الأمور فإن الأحمق لا يثبت له وصال ولا يدوم لصاحبه على حال وقالوا اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب فإنه ردء لك عند حاجتك وركن عند نائبتك وأ،س عند وحشتك وزين عند عاقبتك وقال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أخلاء الرجال هم كثير ... ولكن في البلاء هم قليل

فلا يغررك خلة من تصافي ... فما لك عند نائبة خليل

وكم خل يقول أنا وفي ... ولكن ليس يفعل ما يقول

سوى خل له حسب ودين ... فذاك لما يقول هو الفعول

وقال علي ﷺ الأخ رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه وقال العتابي لا تستكثرن من الإخوان إلا إن كانوا أخيار فإن الإخوان غير الأخيار بمنزلة النار قليها متاع وكثيرها بوار وقال ابن مسعود ﷺ ما شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال حكيم كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه ومن النوادر حكيمًا رأى غرابًا مع حمامة فعجب من تآلفهما مع مباينتهما في الجنس فأثارهما فإذا كل منهما مكسور الجناح فقال إنما جمع بينهما العلة وقالت الحكماء الأضداد لا تتفق والأشكال لا تفترق وقالوا على قدر تشاكل الأجناس تتألف قلوب الناس وأقر بهما مشاكلة أحسنهما مواصلة وأكثرهما تنافرًا أطولهما تهاجرًا وحكي أن عبد الله بن جعفر جاء مكة ليلاً فبات خارجها فلما أصبح دخلها فقال يا أهل مكة عر فنا أخياركم من أشراركم في ليلة واحدة نزلنا ومعنا أخيار وأشرار فنزل أخيارنا على أخياركم وأشرارنا على أشراركم وقال بعضهم من شأن الأجناس أن تتواصل ومن عادة الأشكال أن تتقاوم والشيء يتغلغل إلى معدنه ويحن إلى عنصره فإذا صادف منبته ولاقى عنصره وشج بعروقه وسبق بفروعه وتمكن على الإقامة وثبت ثبات الطينة وفي سلسلة الأنوار للشيخ سيدي أحمد بن محمد بن عطية ﷺ وأرضاه اعلم وفقني الله وإياك أن الإخوة في الدين والصحبة ورد فيها الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية وأما السنة فقوله ﷺ من أراد الله به خيرًا رزقه خليلاً صالحًا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه الحديث سئل الشيخ أبو بكر بن هواره البطائحي العراقي ﷺ عن الصحبة وما حقيقة الصحبة فأجاب ﷺ أن قال اعلم أن الصحبة على ستة أقسام القسم الأول الصحبة مع الله سبحانه بحسن الأدب ودوام الهيبة وملازمة المراقبة والرضا وترك الاختيار مع الله تعالى الثاني الصحبة مع رسول الله ﷺ بإتباع سنته وسيرته وملازمة العلم والعمل به الثالث الصحبة مع الأولياء بالاحترام والخدمة والمحبة وترك الاعتراض عليهم إلا فيما حرم الله تعالى الرابع الصحبة مع الأهل بالبشاشة وحسن الخلق والصبر الخامس الصحبة مع الإخوان أهل المحبة بدوام البشر والمحبة والنصيحة لهم وحفظ أسرارهم ما لم يكن إثمًا ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] السادس الصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة والإعراض عنهم لقوله تعالى: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية اهـ المراد من كلامه ﷺ قيل إن الصحبة لها شروط ثلاثة لا سر مكتوم ولا مال مقسوم ولا غيظ يدوم وعن بعض الحكماء قال ليس العجب من جاهل يصحب جاهلاً إنما العجب من عاقل يجعل الجاهل صاحبا فصحبة الجاهل لا تحصل منها فائدة وصحبة العالم فيها حكمة زائدة اهـ روي في الحديث عنه ﷺ أنه قال ما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا وقال ﷺ ما اصطحب اثنان إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه الحديث قال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ في لطائف المنن اعلم أن الصحبة والإقتداء لا يكون إلا بشيخ دلك الله عليه وأشهدك ما أودعه من الخصوصية لديه أو أخ صديق مرشد فإن قلت أين من هذا وصفه فاعلم أنك تجده في آيتين من كتاب

الله في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ المضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢] فإنك لو وفقت للدعاء رزقت الإجابة وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١] فإنك لو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله سبحانه اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف إلى الأمان لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك اهـ وقال ابن أبي الحواري ﷺ قال لي أستاذ أبو سليمان بن عطية العبسي الداراني ﷺ يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجل ترتفق به في دنياك أو رجل تزيد به معرفة تنتفع بها في أخراك وذكر سيدي عبد العظيم المنذري في الترغيب أن من آخى أخا في الله تعالى رفع الله له درجة في الجنة لا ينالها بشيء من علمه وقيل إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلا من صاحبه مقامًا رفع الآخر إلى ذلك المقام فيلحق به كما تلحق الذرية بالأبوين فينبغي لمن أراد الصحبة أن لا يصحب إلا الأخيار كما قال الشيخ سيدي أبو الحسن علي الحارثي ﷺ في عقيدته:

غضوا الأبصار خوفًا من القهار ولتصحب الأخيار لا إله إلا الله

وكان بعض الصالحين ﷺ يقول لا تصحب من يتغير حاله معك في أربعة أشياء عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لأن هذه المعاني تتغير لها الطباع وقال بعضهم ﷺ كن في صحبتك مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع الصوفية كيف شئت وقال أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب ﷺ شر الأصحاب من أحوجك إلى المداراة وألجأك إلى الاعتذار وكان الثوري ﷺ يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع كما وقعوا وهلك كما هلكوا وقال جعفر الصادق ﷺ لا تصحب كذابا فإنه كالسراب يقرب لك البعيد والأحمق والبخيل والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها قيل له ما هو أقل منها قال الطمع فيها ثم لم ينلها قال بعض الحكماء الأصحاب أربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه وآخر مر كله فلا تأكل منه وآخر فيه حموضة فخذ منه قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذه عند الحاجة فقط ودعه بعد ذلك وكان بعض الصالحين ﷺ يقول لا تصحب إلا من يكتم سرك ويسترعيك ويكون معلقًا في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسناتك ويطوي سيئاتك وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ لا تصحب من الناس من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم ومن يؤثرك على نفسه فإنه لا يدوم لك واصحب من إذا ذكر الله فإنه ينوب عنه إذا فقد ويغني عنه إذا شوهد وكان بعض الصالحين ﷺ يقول لا تصحب من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم فإذا كان تزيد عنده ببر وتنقص عنده بإثم فالفرقة أسلم للدين واحذر كل الحذر من صحبة أبناء الدنيا ومخالطتهم فإنهم يدلونك على ترك العمل وطول الأمل قال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله لأن الطباع تسرق الطباع قال سهل بن عبد الله ﷺ احذر من صحبة ثلاثة أصناف الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وفي وصية الترمذي الحكيم قال لا تصحب من يمدحك بخلاف ما أنت عليه فإذا غضب منك ذمك بما ليس فيك اهـ قيل لبعض الصالحين ﷺ أي الصاحب أصحبه قال من يسقط عنك التكليف ويأذن لك بالتخفيف واصحب كل متدين عاقل ولا

تصحب كل جاهل غافل لقوله ﷺ خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجيرانه وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلحسن إلى جاره رواه البخاري واعلم أن الصحبة على قسمين صحبة من هو خير منك في الحقيقة خدمة وصحبة من هو دونك شفقة ورحمة فإذا صحبت من هو أعلا منك في الرتبة والديانة فأدبك معه ترك الاعتراض عليه وإذا صحبت من هو دونك فخيانتك له إذا لم تنبهه بما فيه من نقص في حالته وديانته وإذا صحبت من هو مساو معك فحقه عليك وحقك عليه أن ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] الآية لقوله ﷺ مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وكان بعضهم رحمه الله يقول لا تصحب إلا من لم تخر له كلاما ولا طعاما ولا جلسة لأنه إذا تغيرت أحواله في شيء من هذه المسائل الثلاث فإنه ليس بصاحب إنما هو صاحب هوى نفسه فالفرقة منه سلامة والقرابة إليه ندامة لقوله ﷺ الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من الجليس السوء الحديث قيل أول ما يختبر به الصاحب إفشاء السر له فإنه إذا كتم سرك وأعانك على دينك ونصحك في حضورك وحفظك في مغيبك فاشدد على صحبة يدك وكان بعض الصالحين ﷺ يقول فاكهة الزمان محادثة الإخوان وأخذ العارفين خلان وكان بعض العارفين يقول إياك وصديق العافية فإذا صحبت فاصحب من يشكر اليسير ويرضى بالقليل ويبذل النصيحة وينف يعنك الفضيحة فذلك هو الصاحب على الحقيقة جاء في الخبر عنه ﷺ أنه قال لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له الحديث واعلم وفقني الله وإياك أنه إنما نهى المشايخ عن صحبة هؤلاء الأصناف وعن صحبة من لا يدلك على الله لثلاثة أوجه أحدها لئلا ينطبع فيك ما فيه الثاني لئلا يرى محاسنك فتقنع بحالك دون علمك فتعجب بأعمالك الثالث لئلا تتعب في صحبته لأنه راض عن نفسه لأن الصوفية ﷺ إذا صحبت أحدًا منهم أغناك عن غيره كما قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ الولي إذا أراد أغنى وقال ﷺ والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته وقال فيه شيخه سيدي أبو الحسن الشاذلي أبو العباس الرجل الكامل والله أنا ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسى عليه الماء إلا ووصله إلى الله سبحانه ولذلك قال السهروردي ﷺ حاكيًا عن شيخه أنه قال لله رجال إذا نظروا إلى الشخص نظرة أكسبوه سعادة لا يشقى بعدها أبدًا وقال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف ﷺ لله رجال كالترياق النافع إذا نظر أحدهم إلى الرجل نظرة واحدة يشفى ويكسب بنفوذ بصره حسن السعادة اهـ وقال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ والله لقد صحبت أقوامًا يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فتثمر فمن صاحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وإنما هم الكيمياء لمن وفقه الله لصحبتهم وأدخله في حزبهم وسلكه في سلك عقدهم وقد كان رسول الله ﷺ حسن الصحبة جميل المعاشرة يظهر ذلك من سيرته ﷺ مع أصحابه وإكرامه لصحبتهم اهـ كلام السلسلة ببعض اختصار وفي الفصل السابع عشر من بغية مولانا الوالد قدس سره ما نصه فصل اعلم أيها الفقير أن صحبة أهل الله لا يوازيها شيء ولا يعادلها شيء وليس لها قيمة إلا القيام بآداب صحبتهم فمن تأدب معهم نال ما يرجو من الخيرات ومن لم

يتأدب معهم لم يكن جزاؤه الرجوع بالحسرات لأنهم كرام والكريم يقبل المعوج والمستقيم كما لا يخفى وحاشا من خالطهم أن لا ينال شيئًا منهم هذا لا يكون والله ما صاحبهم إلا كما قال بعض العارفين الصحبة لأهل الله كالسفر على ساحل البحر إن لم تخرج جواهره لا تخلو من نظافة ثيابك وأعضائك وطالما سمعت شيخنا مولاي عبد الواحد الدباغ قدس الله سره يحدث عن شيخه مولاي العربي ﷺ ويقول الرجل ينتسب علينا ولا ينال شيئًا منا هذا عار علينا والله إن لم يحسن ظاهره وباطنه فلابد من إصلاح ظاهره وهذا معنى السفر على ساحل البحر الذي لا يعدم صاحبه نظافة ثيابه وأعضائه وقال أيضًا من عرفنا ثلاثة أيام يصلح دينه وتزول الدوسة من دماغه إلى غير ذلك وقد قال ولي الله سيدي محمد الهبطي دفين فاس ﷺ أقل ما يستفيده الإنسان منا معرفة الحق من الباطل ويا لها من معرفة ما أجلها ويا لها من صحبة ما أعظمها ويكفيك شرفًا أيها الفقير في صحبة هؤلاء أن الإنسان لا يخدع لمن يغره من طريق الأحوال والكرامات قد يغرك بعد معرفتهم عالم بعلمه ولا زاهد بزهده ولا صالح بصلاحه وهذا معنى زوال الدوسة من الدماغ سيما وفي صحبتهم من المزايا ما لا يعلمه إلا الله سبحانه إذ هم أهله مع تنزهه سبحانه عن الأهل ولو لم يكن إلا ما قاله أبو طالب المكي ﷺ لكان كافيًا ونص ما قال وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون إلا على استواء أربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض إن أكل صاحبهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الدهر كله لم يقل له صاحبه أفطر وإن نام ليله كله لم يقل له صاحبه قم فصل وإن صلى الليل كله لم يقل له صاحبه ثم بعضه وتستوي أحواله كلها عنده فلا مزيد لأجل صيامه وقيامه ولا نقصان لأجل نومه وإفطاره قالوا وإن كان عنده يزيد بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين الخ كلامه وهذه الحالة يا فقير لا تجدها محققة إلا عند أهل الله الذين تحققت عندهم الصحبة لله لا غير وقد علمت أن ما لله لا يلحقه التغيير بالزيادة والنقصان وقد قال أبو القاسم الجنيد من أراد الله به خيرًا أوقه في صحبة الصوفية وقال حمدون القصار اصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوهًا من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به ولله در يوسف بن الحسين إذ يقول:

أحب من الإخوان كل مواتي ... وفي غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أحبه ... ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليتني لو وجدته ... لقاسمته مالي من الحسنات

الحاصل يا فقير والله ما خلق الله ناسًا إلا الفقراء ولا آدمي حقيقة إلا الفقراء الذين هم أهل الله فإذا صفا لك الزمان بواحد منهم فعض عليه بالنواجذ وأين هو ذلك الواحد ولاشك أن من ذاق حلاوتهم لا يقدر على مفارقتهم كما هو الأمر معروف ذوقا عند صاحب المعنى وأما الأبله الغبي فلا كلام معه اهـ كلام مولانا الوالد قدس سره في البغية وقال في الفتوحات القدسية له أيضًا ما نصه قال في العوارف أن نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستنشق بنفوذ

بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله مواهب الله تعالى الخاصة فيقع في قلبه محبة الصادق المريد وينظر إليه نظرة محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالاً سنية ويهبون آثارًا مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله إن الله سبحانه وتعالى كما جعل في بعض الأفاعي من الخاصية أنه إذا نظر إلى الإنسان يهلكه بنظره قادر بأن يجعل في بعض خواص عباده أنه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالاً وحياة قال وكان شيخنا يطوف في مسجد الخيف بمنى فقيل له في ذلك فقال لله عباد إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه سعادة فأنا أطلب ذلك اه وإلى جميع هذا الإشارة بقوله ﷺ إن لله عبادًا من نظر إليهم لا يشقى بعدها أبدًا وقال أنس ﷺ ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه ﷺ حتى وجدنا النقص في قلوبنا قال زروق أفاد أن رؤية شخصه الكريم كان نافعًا لهم في قلوبهم فكذلك من له نسبة بطريق الوراثة العلمية ومن ثم كان النظر إلى العالم عبادة اه وقال مولانا عبد السلام بن مشيش لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم ولا من يؤثرك على نفسه فإنه قل ما يدوم واصحب من إذا ذكر الله فالله يغني عنه إذا شهد وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتح الغيوب اه وقال أبو الحسن الشاذلي والله أني لأوصل الرجل من نفس واحد وقال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه وقد أغنيته وقال أيضًا والله لو جاءني أعرابي يبول على ساقيه لأوصلته من حينه إلى الله وقال غيره والله لو جاءني يهودي أو نصراني لأوصلته من حينه إلى الله وقال غيره والله لو جاءني عالم واقف مع علمه لأوصلته من حينه إلى الله إلى غير ذلك مما لا يحصى فمشاهدة أنوار العارف رحمة وهداية واتصال شعلة المريد الصادق وصلة وولاية وقد أشفيت الغليل بما يبرئ العليل على صاحب هذا المقام في رسالتنا مطية السالك وإرشاد الهالك فعليك بها ففيها ما يغني عن أعادته هنا ولقد قلت في هذا المعنى:

لله قوم سما لفضل طبعهم	فخولوا بلطيف الصنع إحسانا
قوم مكارمهم تغضى العيون حيا	ويمنحون لذيذ الأنس أحيانا
ما شمتهم زمنًا إلا اهتديت بهم	ترى الفؤاد غدا بالروح ولهانا
ما عودوني سوى الإحسان مكرمة	يا حسن ما صنعوا والله أزمانا

اه كلام مولانا الوالد قدس سره تنبيه وإيقاظ ذكر في سلسلة الأنوار ما نصه ببعض اختصار وتقديم وتأخير تقريبًا لنفع إخوان الصدق في السر والجهار بتوفيق الكريم الغفار إياك أن تقول طلبت أخا أحبه في الله أو شيخا يدلني على الله فلم أجده فإنك لو طلبته بصدق ونية خالصة لوجدته وتستفيد منه كل خير في الظاهر والباطن لكن بعد حصول التوبة وخلوص النية وترك البدعة والإقتداء بالسنة إذ بذلك تنال هذه المنزلة إن شاء الله واعلم وفقني الله وإياك لما فيه رضاه أن السادات الأولياء ﷺ لا يخلو منهم زمان لكن حجبوا عنا لكثرة فجورنا حتى لا نراهم إلا بشرا مثلنا أخفاهم الحق سبحانه عن أبصارنا فإذا

قال قائل أن فلانا ولي من أولياء الله قلنا هذا محال لا يتصور في العقل أن فلانا ولي لاسيما إن كان أقيم في الأسباب نفوا عنه الكمال وقالوا ليس هذا من أحوال الرجال إنما هو بشر مثلنا وقد قالها الذين من قبلهم حيث قالوا ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [المؤمنون: ٢٤] الآية وفي معناه قال الشيخ سيدي عبد الله العثماني في قصيدته:

فعسكر الأبرار مكمل العدد ... مادامت الأرحام تحمل الولد

يبعثهم مدبر الأحيان ... من شكل أهل ذلك الزمان

يخفيهم في خلقه عن خلقه ... وذاك فاعلم من عظيم لطفه

وقال أبو المواهب التونسي:

اختفاء الرجال في كل عصر ... تحت سوء الظنون قدر جليل

قال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ اختفاء أهل الله أكثر من ظهورهم مع بقاء وجودهم لأن الله تعالى سلب التصديق من قلوب الخلق فلا تهزهم الموعظة ولا يذكرهم الحديث والآية قال بعضهم والله لأخلت الدنيا من الرجال لأنهمك دعائم الوجود على كل حال ذكره الشطبي قال الشيخ الإمام الخروبي الطرابلسي ﷺ في كفاية المريد ما نصه لقد أدى الحال في هذا الزمان أن الناس إذا سمعوا ما كان عليه الرجال في الصدر الأول من الأحوال والمقامات والمجاهدات وما فتح الله على أيديهم من الفتوحات وصفاء المعاملات وترقي الدرجات وما أظهر الله على أيديهم من الكرامات من الحكم الربانية والعلوم اللدنية تعجبوا من ذلك وقالوا تلك أمة قد خلت وطريق اندرست وربما إذا رأوا أحدًا من المشايخ يقرع باب الكريم ل ينال من فضله العميم سخروا واستخفوا بحقه يؤذونه أما علموا أن السادات الأقدمين بشر مثلنا لهم نفوس كنفوسنا وشهوات كشهواتنا لكن جاهدوا في الله حق جهاده حتى اجتباهم وجرعوا أنفسهم المرارة حتى تمتعوا بالحلاوة ولا يصيب الشفاء من لم يتجرع مرارة الدواء اهـ قال بعضهم رحمه الله لما علم الله تعالى من عباده ما علم من التكذيب بأهل هذه الطريق وعدم الصدق معهم أخافهم الله تعالى في خلقه وحجبهم عنهم سترًا منه عليهم ولطفًا منه تعالى بعباده لأن جميع الخلق يتوسلون إلى الله بأوليائه ويعتقدون أنهم موجودون في كل زمان لكن انطمست منهم الأبصار لأجل الخطايا والذنوب والأوزار كما قال الشيخ سيدي أبو الحسن على الحارثي ﷺ في قصيدته:

وبأهل وقتنا لقد حجبوا عنا ... لأجل انغماسنا في بحر الخطيئة

أيارب يا مولاي يا من له اللجا ... إليك شكايتي في دفع مصيبة

واعلم وفقني الله وإياك أن حجب الأولياء عن الخلق من أعظم المصائب والعقوبات لأن أولياء الله ﷺ لا ينقطعون أبدًا مادامت الدنيا فإذا كان منهم واحد ترقى لمقامه آخر وهذا اعتقاد سعداء الخلق ولذلك قال الشيخ سيدي أبو العباس المرسي في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ

مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] أي ما نذهب بولي إلا ونأت بخير منه أو مثله فمن أراد الله به خيرًا وفقه لصحبتهم وأعانه على طريقتهم ورزقه محبتهم هم القوم لا يشفى بهم جليسهم اهـ وكان الشيخ سيدي مكين الدين الأسمر ﷺ يقول كما أن للدنيا أبناء من استند إليهم كفاه كذلك للآخرة أولياء من أحبهم واستند عليهم أغناه ولا تقل طلبتهم فلم أجدهم فإنك لو طلبتهم بصدق ونية لوجدتهم وسبب عدم وجودك كثرة فجورك لأنك لو تركت الفجور وحسنت الظن بعباد الله لظهرت لك الأولياء بكثرة فتلوح عليك أنوارهم وتتجلى لك أسرارهم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون وقال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ إياك يا مسكين أن تعتقد أن أولياء الله لم يوجدوا فتحجب عن رؤيتهم وتفوتك صحبتهم ومحبتهم قال أبو المواهب التونسي ﷺ ذكر لي بعض الإخوان أنه قال لرجل من الصالحين بمصر يا سيدي تمنيت أن أرى وليًا من أولياء الله بهذا البلد فقال لي إذا لم تتلكم أنا أطلعك عليهم فقلت له نعم فأخذ بيدي ودخل من باب زويلة ولم يزل يشير لي بيده تارة لحمال وتارة لمكاري بالأجرة وتارة لدلال وتارة لتاجر وتارة لقاضي وتارة لحرفوش وتارة لشرطي ثم قال لي يا ولدي لا تظن أن نور الله يطفأ من هذه الأمة لأن نورها فياض ومددها قوي ألم تسمع قوله ﷺ أمتي كالمطر لا يدري أولها خير أم أخرها الحديث ذكره الثعالبي في رياض الصالحين اهـ ثم اعلم وفقني الله وإياك أن رجلاً كان من أهل الصلاح والدين فدخل ذات يوم بمجسد القرويين لصلاة الجمعة فنظر لما فيه من الخلائق وقال في باطنه يا ترى هل في هذا المسجد ولي من أولياء الله فما تم كلامه حتى جذبه رجل من خلفه وقال له والله ما في الصف الأول الذي أنت فيه إلا خمسون رجلاً لو سألوا الله في القيامة لقامت فالتفت من خلفه فلم يجد أحدًا فكان يدعوا الله في سجوده ويقول في دعائه اللهم انفعني ببركاتهم ونور قلبي حتى أرى منهم ولو رجلاً واحدًا نتوسل به إلى الله تعالى فلما قضيت الصلاة خرج على باب المسجد الذي يليه فإذا برجل رمى بنعله إلى الأرض وأدخل رجله اليمنى فيه وبقيت اليسرى مرفوعة فسمعه يقول سبحان الله طويت الأرض فعلم أنه ولي من أولياء لله فأتى إليه ليتبرك به ويطلب منه الدعاء الصالح فلم يجده بين الناس قال والله من ذلك اليوم لا أظن في جميع المسلمين إلا الولاية ولا فيهم عاص غيري اهـ وف بمعناه كان الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عطية ﷺ يقول:

فكل الذي لاقيت فالخضر أعتقد   وكل الليالي ليلة القدر فاجتهد

لقوله ﷺ لو حسن ظنك في حجر لاستفدت منه الحديث لأن المؤمن كله بخير على كل حال واعلم وفقني الله وإياك أن رجلين كانا متحابين في الله وعلى الله وبقيا على تلك الحالة ما يقرب من أربعين سنة فدخل رجل منهم مسجدًا يوم الجمعة قبل الآذان وجلس في الصف الأول يذكر الله ويقرأ القرآن فخطر في قلبه خاطر فسأل الله تعالى أن يريه أحدًا من أولياء الله تعالى حتى يشاهده عيانًا ويقبض بإبهام يده اليمنى ويكلمه قال فبينما هو كذلك وإذا بالرجل الذي هو في صحبته السنين المذكورة أقبل من خلفه وأدخل يده معه وقبض بإبهام يده اليمنى وقال له يا أخي حسن ظنك بالله واعمر قلبك بمحبة رسول الله

تكن أنت من أولياء الله ورمى بيده وانصرف عنه وتركه فلما قضيت الصلاة وانصرفوا دخل عليه في المكتب الذي كان يؤدب الصبيان فيه وسلم عليه وسأل منه الدعاء الصالح فأمر الصبيان بالقراءة فسمعه يقول في دعائه اللهم أكفناهم الدنيا وعذاب الآخرة فما زاده ذلك إلا محبة فيه نفعنا الله بهم جميعًا واعلم وفقني الله وإياك أن هذا الدعاء المبارك أول من دعا به أبو العباس المرسي ﷺ في زيارة سيدنا حمزة عم النبي ﷺ لأنه دعاء جامع لخير الدنيا والآخرة وسبب ذلك أنه لما حج أبو العباس المرسي مع شيخه سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ وقضى مناسك الحج والزيارة استأذن شيخه سيدي أبا الحسن الشاذلي على زيارة سيدنا حمزة ﷺ فأذن له فدعا بهذا الدعاء عند ضريحه وكان معه رجل آخر من تلاميذ الشيخ أيضًا فقال في دعائه اللهم ارزقني دينار أنستعين به في أثناء الطريق فلما دخلا على الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي قال له الشيخ يا فلان هلا سألت الله كما سأله أبو العباس المرسي حيث قال اللهم اكفني هم الدنيا وعذاب الآخرة وقد فعل وأنت سألت الله أن يرزقك دينارًا وقد فعل فخرج عن الشيخ فلقيه رجل وقال له خذ مني هذا الدينار لتستعين به على الطريق قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ فحصل لي من كلام الشيخ ثلاثة علوم العلم الأول أن الشيخ ﷺ مطلع على في جميع أحوالي وحركتي وسكوني والعلم الثاني أن هذا الدعاء جامع لخير الدنيا والآخرة والعلم الثالث أن الدعاء عند ضريح سيدنا حمزة مستجاب هكذا سمعت هذه الحكاية من الشيخ الفقيه العالم العلامة البركة السعيد المحقق المفيد ابن محمد سيدي عبد القادر الفاسي ﷺ أخذتها عنه حرفًا حرفًا نفعنا الله به وقد نقل الشيخ زروق في شرحه للمباحث الأصلية أن رأس مال المريد حسن الظن بالله وبعباد الله وذكر أيضًا في شرحه لحزب البحر أحاديث كلها تدل على حسن الظن بالله وبعباد الله منها قوله ﷺ خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وقال الشيخ الشاذلي ﷺ أحذركم من هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الطاعة والسداد فحسن يا مسكين ظنك بعباد الله وأكثر من محبة أوليائه تكن منهم وتحشر معهم لقوله ﷺ من أحب قومًا وما حشر معهم وكان الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي ﷺ ينشد ويقول:

وكـل الليـالي ليلـة القـدر أن دنـت ... كمـا كمـل أيام اللقـاء يـوم جمعـة

اه كلام السلسلة وفي الفيوضات الإحسانية فتأمل يا أخي قول الله تعالى في الحديث القدسي من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ولا تقل لو علمته وليًا لاعتقدت فيه فإن الأولياء عرائس والعروس لا تتجلى إلا على من طهر ظاهره من الانتقاد ونطق باطنه من سوء الظن ونوره بالاعتقاد ثم قال ومن كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي من حرم احترام أصحاب الوقت فقد استوجب الطرد والمقت وذكر الشيخ محيي الدين ﷺ أن معاداة الأولياء والعلماء العاملين كفر ومن عادى أحدًا منهم فقد عادى إيمانه وقال الشيخ أبو محمد اليافعي عليك بالاعتقاد في أهل عصرك من أولياء وعلماء وإياك أن تكون ممن يصدق بأن لله

أولياء وعلماء عاملين ولكن لا يصدق بأحد معين فإن هذا محروم من الإمداد لأن من لم يسلم لأحد معين لم ينتفع بأحد أبدًا اهـ أنظر مقدمة لطائف المنن لابن عطاء الله والبال الثامن منها تظفر بما يسرك بفضل الله وفي منيل المآرب للشيخ الأكبر الغوث الأشهر مولانا محمد مصطفى ماء العينين نفعنا الله به ما نصه وبالجملة فأنواع الأولياء كثيرون وأصنافهم منهم الحاملون ومنهم المشتهرون وإياك ثم إياك يا أخي إن تظن أنهم محصورون أو أنهم في بلد متميزون بل كلما سمعته من عددهم فاعلم أنه إنما قيل تقريبًا للأذهان وأيضًا مفهوم المدد ليس بمعتبر عند أكثر أهل الأصول مثال ذلك أنك إذا قلت مثلاً إن الفلانيين فيهم ثلاثون فتى لهم من الأوصاف كيت وكيت لا يدل ذلك على أنهم ليس فيهم غيرهم ولذلك إذا قال لك أحد أو لم يكن فيهم كذا وكذا فتقول نعم وما نفيته إنما أثبت كذا وكذا ولم أتعرض لغيرهم فكذلك الأولياء لا تظن أنهم اليوم محصورون ولله الحمد أو أنهم معدودون وقد وقعت لي ليلة قضية اعتبرت منها غاية الاعتبار وعلمت أنهم لا يحصيهم إلا ربهم الغفار وهي إني كنت يومًا من الأيام أطالع بعض الكتب الذين يقولون عدد الأولياء كذا وكذا فالوصف الفلاني كذا وكذا والوصف الفلاني كذا وكذا ويتجلى عليهم الحق كذا وكذا من التجلي فق لت في نفسي سبحان الله ومن أين لأحد يقدر أن يتحكم على الله في حصر أولياء أمة سيدنا محمد ﷺ علماؤها كأنبياء بني إسرائيل ومن أين يحصر نجل من تجليه في كل لحظة أكثر من كل لحظة فكان من قدر الله أني لما جن علي الليل خطر على قلبي أني أعد من ظهر لي في البلاد التي أنا بها وما قاربها وما سمعت به من غير ذلك فلم أشعر بشيء إلا وإذا أنا بمن يقول وأنا وأنا وأنا من الجهات الأربع حتى تحير عقلي من قريب وبعيد وعلمت يقينًا أنهم لا يحصيهم إلا ربهم العليم المجيد إلا أن منهم من ظهر ظهور النجوم فوق السماء ومنهم من أخفى خفاء تحت الأرض لحكمة بالغة ومن تفضل الله عليه بظهور شمس الحقيقة على قلبه يعلم ما قلته بفضل ربه ومن لا فلا وفي ذلك المعنى قلت:

ظهـرت نجـوم في السـماء وأخفيـت   تحـت الأراض فحكمـة مـا أبـديت
بـل أخفيـت عنـد الظهـور وأبـديت   عنـد الخفـاء فحكمـة مـا أخفيـت
لكنهــا لمــا بــدت قــد غطيــت   بجمالهــا عــن غيرهــا بــل أعليــت
حــتى إذا شمــس الحقيقــة أعليــت   تجــد الليــالي كالنهــار وأجليــت
فهنـاك تشـهد حكمـة قـد أجليـت   قد أبديت قد أظهرت ما أسجيت
يا ربنــا أظهــر لنــا مــا ألفيــت   مـن حكمـة في كـل شـيء أسـريت
بمحمــــد وبجاهـــــه إذ أســــديت   منـك الصـلاة عليـه حـتى أجريـت

ومما قلته أيضًا في هذا المعنى وهو المعنى الذي لا يكون معه عنا:

ولمــا بــدا وجههــا في الصـــباح   بـــد بالمحيـــا صـــباح الصـــباح

ولاح لنـــا جســـمها في البيـــوت فقلـــت لقلـــبي فـــلاح فـــلاح

وراحـــت تهـــادي لصـــوب الفـــتى فقلــــت لــــه الــــروح راح وراح

فإذا وقع المرء في هذا تبين له أن لله تبارك وتعالى سرًا في الدهر وأهله لا تدرك حقائقه ولا تظهر دقائقه فيبقى لا يقول إلا يا رب كن لي وفي ذلك قلت:

أرى كــل ليــل في الــدهور لــه ســر وحيــث بــدا يومًــا بــدا أبــدا ســر

فسبحان ذي الأسرار في الدهر كله ويا ربنـا كـن لي لـك الخلـق والأمـر

واعلم أن الأكوان كلها آثار لتقدير قدرة القهار فقوم انحجبوا عمن له الأثر وقوم حكموا بانعدام الأثر لوجود عين من له القدر وقوم شهدوا الأثر ومن له الأثر ولم يروا بينهما فصل كما أنهما ليس بينهما وصل فعشقوا الأثر وعلموا لا إدراك بالبصر وفي هذا المعنى قلت:

لمـــا بـــدا أن حـــبي خـــالق أثـــرًا ولـــيس يـــدرك وهـــو يـــدرك البصـــرا

عشـــقت للأثـــر الـــذي لـــذاتهم وعاشــق الــذات ذاك يعشــق الأثــرا

لاســيما إذ تــرى عــين علــى أثــر أن الحبيــب ولــو يغيــب قــد حضــرا

ولا تقـــل مـــنهم فـــرق بأثـــرهم إن لم يك الوصل ليس الفضل مشتهرا

ولا تقــل وجــدت عــين ولا فقــدت ولا تقـــل ســـفر لتقطـــع الســـفرا

اهـ كلام منيل المآرب وقال مولانا الوالد قدس سره في الفتوحات القدسية لدى قول الناظم:

لـو كنت تـدري وجود العبـد كنت تـرى فيـــه الكمـــال كمـــا النقصـــان تنفيـــه

يقول والله أعلم لو كنت أيها المريد تدري وجود الشيخ وهو المراد بالعبد لكنت تشاهد فيه الكمال كما أنك تنزهه عن النقصان لكنك محجوب بحجاب نفسك ومقهور بحيطة عرشها على جثمانيتك فلم تدرك سر حقيقته الأصلية لانسدال حجاب البشرية سبحان من ستر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية فلا يطلع على حقيقته إلا محبوب الحضرة الإلهية فالذي أراد الحق قربه قاده إلى ولي من أوليائه وصفي من أصفيائه وكشف له عن سر خصوصيته بعد أن طوى عنه شهود بشريته فيلقي إليه زمام نفسه ويصبر على جهادها في الله حق جهاده حتى تهب عليه نسمات قربه وأنسه قال ابن عطاء الله في حكمه سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم من أراد أن يوصله إليه وفي بعض الإشارات عنه سبحانه أوليائي تحت فنائي لا يعرفهم أحد غيري وهذا من غيرة الحق على أهل حضرته من أن يظهرهم إلى من لا يعرفهم فلم يجعل لأحد دليلاً عليهم إلا من حيث الدليل عليه لأنه يلبسهم لباس التلبيس بين الأنام ويظهرهم بما يحقرهم في أعين العوام قال في لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الإيواء فقل من يعرفهم قال سمعته يعني شيخه أبا العباس ﵁ يقول معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوقًا مثلك يأكل كما

تأكل ويشرب كما تشرب ثم قيل فيه وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته وقال أبو يزيد ﷺ أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس إلا من كان محرمًا لهم وأما غيرهم فلا وهم محذرون عنده في جمال الإنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة وفي بعض الإشارات إنما سميت الولي وليًا لأنه يلبسني دون ما سواي وقال سهل بن عبد الله ﷺ وقد سأله بعض تلامذته كيف يعرف أولياء الله فقال إن الله لا يعرفهم إلا لإشكالهم أو من أراد أن ينفعه بهم ولو ظهروا حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم فقد كفر ومن قعد عنهم كذلك ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية أمورهم رحمة منه بخلقه ورأفة ولكن الله أخبر بكرامتهم فقال ﷻ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فأفردهم به اهـ إلى أخر كلام سهل وهو صريح في أمرين خفائه يعني الولي وسببه وقد علل ابن عباد خفاء بمثل ذلك وهذا كله بحسب ما تدركه العقول وأما من حيث التحقيق فاعلم يا أخي أن سبب ظهور الولي وخفائه هو أن من أدركته حقيقته أي وجوده أي ذات البارئ سبحانه وتعالى المتعينة بالوجود الإلهي القائم هو أي صاحب الحقيقة به وهي حظه منه سبحانه وتعالى وحصته من ذاته ونسبته منها قبل أن يدركها أي قبل أن يرى نفسه ويعرفها فيقطع أوصافها ويعبر مراتب وجودها حسًا ومثالاً وروحًا ومعنى وأدركت أي حقيقته منه غايتها فإن الحكم يكون لها وإدراك غايتها منه باستيلائها عليه واستهلاكه فيها بحيث لم تبق فيه بقية فتكون لها السلطنة والقوة ويظهر عليه حكمها وهو الخفاء وعدم الظهور فلا تظهر له عين في الحس ولا يؤمر بالخروج للخلق غالبًا من هذا الاعتبار ويكون الغالب عليه الخفاء وعدم التصدر للمشيخة وتربية الخلق عامة ونصب الزوايا وإطعام الطعام فيها للوفود والنهي للواردين عليه والاشتغال بالوساطة بين العبد وربه وقضاء حوائج الناس فيما بينهم وأخذ حقهم من ذي سلطان لا يطيقون التوصل إليه والشفاعة له في ذلك وغير ذلك من أحكام الظاهر وأما من أدرك حقيقته أي حصته من ذات البارئ سبحانه المتعينة بوجوده الإلهي كما ذكر بأن عرف نفسه أولاً وقطع مسافتها بالسير في عوالمها حتى وصل الغاية منها التي هي قطع المراتب الوجودية وحصل على الحقيقة المذكورة بعد مروره على كل مرتبة وعالم فإن الحكم يكون له لاستيلائه عليها بإدراكه غايته منها فيكون له الظهور ويؤمر بالخروج للخلق وغير ذلك مما ذكر ويكون أمره بذلك على سبيل الوجوب لا يمكنه أن يتخلف عنه فإن التقيا في الوسط بأن أدرك غايته منها وقت إدراكها غايتها منه فحصل الاستيلاء منهما معًا فكل استولى على الآخر من جهة أي أدركته قبل أن يقطع جميع مراتب وجوده وبعد أن حصل له السير في جملة منها فإن صاحب هذا يخير بين الخفاء والظهور وهذا ما تقتضيه الصور الإلهية المحذوة عليها الصورة الآدمية وقد يتخلف ذلك ويعكس فإن علم الحق سبحانه وتعالى مطلق لا يتقيدوا نظر قوله ﷺ لما سئل من أين يكون الشبه إذا غلب ماء الرجل المرأة الخ فافهم فإذا تقرر في عقلك ما قررناه وشرح الله صدرك لفهم ما أبديناه تحقق عندك ذوقًا ونظرًا أن الولي لا يحجبه شيء من الجدرات والأستار وغير ذلك وهو ظاهر من طريق النظر ومن طريق الكشف وذلك لأنه قد غلب

نوره وروحه على نفسه وظلمته إذ النفس ظل الروح والظل متحيز بصاحبه الذي قام به كظل القامة في الشمس فإنه متحيز بها في كون امتداده له جهات محدودة بخلاف الشمس الظاهر بها الظل القائم بقامته فإنها غير متحيزة بل منتشرة في جميع أقطار الأفق فكذلك الروح الذي هو النور لا يحيزه شيء بل به يحصل التحيز لعدم تساوي الظلمة معه في المرتبة بل لا مرتبة لها معه وإنما هي خيال وظل له فإذا ذهب ظل النفس بغلبة نور الروح فإن صاحبه يخرق بصره الجدرات والأستار ويدخل ويخرج منها من غير أبواب ولو أدير عليه جدار وحيط عليه به وضيق عليه فيه وألزق فيه فإنه لا يضره ذلك ويخرقه بنوره ومن هذا المعنى أيضًا العيا الحاصل بالمشي على الأرجل لاسيما عند طول الأسفار فإن ذلك من ظل النفس وظلمتها المتحيزة في هيكل الجسم ولو غلب نور الروح وشعر به صاحبه فإنه يحصل له العيا أبدًا ولو مشى على رجليه سنين ومن هنا ما يقال من طي الأرض فإن الشمس إذا انتشرت على الأفق فإنها تطوي الأرض أي تعمها فصاحب هذا الحال لا يحصل له العيا وإذا لم يحصل له فقد طويت له الأرض وقد يطويها إن أراد فيسير في الزمن القصير ما يسير غيره في الزمن الطويل إذا أنزل همته على ذلك فافهم اهـ كلام مولانا الوالد قدس سره وفي ضياء النهار نصرة الشيخ الإمام سيدي علي بن خجور ﷺ ما نصه فصل فإن قلت متصوفة هذا الزمان ليسوا كمتصوفة الصدر الأول ومن هنا جاء الطعن والشنآن قلت فقهاء الزمان ليسوا كفقهاء الصدر الأول ونحاة الزمان ليسوا كنحاة الصدر الأول وخطباء الزمان ليسوا كخطباء الصدر الأول وقضاة الزمان ليسوا كقضاة الصدر الأول وقراء الزمان ليسوا كقراء الصدر الأول وفرسان الزمان ليسوا كفرسان الصدر الأول وملوك الزمان ليسوا كملوك الصدر الأول ووزراء الزمان ليسوا كوزراء الصدر الأول وعمال الزمان ليسوا كعمال الصدر الأول ونصحاء الزمان ليسوا كنصحاء الصدر الأول وتدريس الزمان ليس كتدريس الصدر الأول فما بالنا لم نر نقصًا ولا حدوثًا ولا تغيرًا في شيء من ذلك سوى فيمن انتمى إلى الله وآثر ذكر الله على ما سواه وألقى همته في تعظيم رسول الله والحض على إتباع سنته والذب عنها قلت وما سلطنا عليه وامتحناه وقذفناه إلا بإغراء الشيطان الذي عاداه وتحصن منه بذكر الرحمن فصار يغري عليه وعلى جنسه إخوانه في كل مكان فإذا تقرر هذا وعلمنا أن كل طائفة من العالمين ليست كمن انتمت إليه في الصدر الأول غير أنها قد حازت رتبة من قد نسبت إليه بقدر استطاعتها وأفرغت مجهودها بقدر استطاعتها فيما انتحلته ولا حول ولا قوة لها فلا يخفى على كل منصف أن من انتمى إلى أهل رتبة شريفة قد نال بمجرد انتمائه إليهم شرفًا فأحرى أن انتحل مما انتحلوه وتعاطى ما تعاطوه اهـ

وأما مسئلة الختمية التحقيق فيها كما أشار إليه الشيخ الأكبر سيدي ابن عربي الحاتمي قدس سره الأظهر في الفتوحات والفصوص ونقله صاحب السلوة في ترجمة أبي العباس سيدي أحمد الشاوي المدعو سيدي الحاج الشعير نفعنا الله به ونصه والختم كما أشار إليه ابن عربي في الفتوحات ختمان ختم الولاية العامة وختم الولاية المحمدية فالأول يكون على يد عيسى عليه السلام لا يوجد بعده ولي والثاني يكون في كل زمان

يختم الله به الولاية التي تحصل من الإرث المحمدي فلا يكون في الأولياء المحمديين أعلا مقامًا منه وإليه الإشارة بقوله في الفصوص وخاتم الأولياء الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ اهـ المراد منه ونحوه في الإنسان الكامل اهـ واعلم أن أعظم ما يستعين به الإنسان على كشف حجاب الغيرة عن أولياء الله وأقوى ما يستجلب به عطفة أكابر أهل الله الدالين على الله التوبة إلى الله تعالى من سائر الذنوب وإضمار طاعة الله ونية صدق التوجه دائمًا وأبدا إلى حضرة علام الغيوب وهجران قرناء السوء الذين هم أصل كل قطيعة وبلية بإجماع خواص البرية وفي سلسلة الأنوار ما نصه بالوصف المتقدم اعلم وفقني الله وإياك إنك إذا أردت أن يكون لك نصيب من الأولياء فعليك برفض الناس جملة إلا من يدلك على الله إما بإشارة صادقة أو بأعمال ثابتة وإلا فارفع همتك لمولاك واشتغل به دون غيره قال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ سمعت شيخنا أبا العباس المرسي يقول والله ما رأيت العز الدائم إلا في رفع الهمة عن الخلق إلى الخالق وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] فمن العز الذي أعز الله به المؤمنين رفع همتهم إلى مولاهم قال الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي ﷺ اعلم أن الهمم على ثلاثة أقسام همة أبناء الدنيا دنياهم وهمة أهل الآخرة آخرتهم وهمة العارفين بالله مولاهم لأن خديم الدنيا أسير وخديم الآخرة أجير وخديم الحق تعالى أمير ثم اعلم وفقني الله وإياك أن رجلاً كان من تلامذة الشيخ سيدي عبد المجيد نفعنا الله به وكان صاحبه وترك صحبته واشتغل باللهو والباطل وشرب الخمر وغير ذلك من أنواع المعاصي فبينما هو ذات يوم جالس بباب الجيشة أحد أبواب فاس وإذا بالشيخ خارج على الباب فنظر إليه وقال مشيرًا له يا فرحين بالمعاصي عند خلواتها أما تعلمون أن الله تعالى رقيب شاهد فوقع ذلك الكلام في قلب المريد فصاح صحية عظيمة وقال له يا سيدي أنا تائب إلى الله من جميع المعاصي ولازم الشيخ من حينه حتى انتفع به اهـ وذكر الشيخ سيدي أحمد بن يوسف ﷺ في بعض تآليفه ما نصه قال صاحبني أخ في الله تعالى فأطلعني الله عليه من باب المكاشفة أنه فعل معصية فهجرته حتى أظن أني لا أرومه أبدًا فخرجت وأنا أتأمل في معصيته فسمعت مناديًا من قبل الله تعالى يقول يا أحمد أنت خلقته فاهده أم أنت بليته فاشقه جعلتك دليلاً تدل على ما جعلتك رقيبًا عني في قضائي وقدري فغشى علي وتبت إلى الله سبحانه وطلبته حتى وجدته وعدت إلى محبته وصحبته كما كنت أو أكثر اهـ فانظر رحمك الله لهذا الرب الكريم ما أكرمه على عباده يرحم من شاء كيف شاء ولو كان عاصيًا لأن المعاصي ظلمة ونار ودخان في القلب مثالها كمن أوقد النار في بيت سبعين سنة ألا تراه يسود فكذلك القلب يسود بالمعصية فلا يطهره إلا التوبة والندامة والإقلاع وقد جمع الله الخير كله في بيت وجعل مفتاحه التوبة ومتابعة السنة فأول مقام التوبة ولا يقبل ما بعدها إلا بها قال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ مثل المعصية في القلب كالقدر الجديد توقد النار تحتها ساعة فتسود فإن بادرت إلى غسلها بالقرب انغسلت من ذلك السواد وإن تركتها ثبت السواد فيها ولا يفيد غسلها ولو بكسرها فبادروا إخواني بالتوبة إلى الله ومتابعة سنة رسول

الله ﷺ وصحبة الصالحين ومحبتهم لأنها شفاء ونور في القلب اهـ حكي أنه لما قدم الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ إلى الشيخ القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش ﷺ ونفعنا به اغتسل في العين التي هنالك وسأل الله تعالى في إقبال الخلق عليه ثم صعد الجبل حتى وصل إلى الشيخ فوجده جالسًا بالخلوة التي هنالك وهو يقول في دعائه اللهم إنه قومًا سألوك إقبال الخلق عليهم فسخرت لهم خلقك ورضوا منك بذلك وأنا أسألك اللهم اعوجاجهم عني حتى لا يكون لي ملجأ منك إلا إليك فلما سمع دعاء الشيخ رجع إلى العين واغتسل أيضًا وقال اللهم إنس اغتسلت من علمي وعملي لهذا الشيخ في جميع أحوالي وأتى إليه فرضى عنه وقبله ولذلك قال ﷺ حرام عليك أن تتصل بالمحبوب ولك في العالمين مصحوب وقال ﷺ حقيقة المعرفة بالله الغنى عن جميع الأنام قال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ إذا أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر والفاقة والعبودية لديك قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ [التوبة: ٦٠] الآية فمن وفقه الله تعالى ورفع همته إليه أغناه عن غيره وكفاه عن كل ما سواه قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ العارف بالله تعالى لا دنيا له ولا آخرة له لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى هذا كان السلف الصالح ﷺ لأنهم كانوا كلما دخلوا فيه من أسباب الدنيا فهم بذلك إلى الله متقربون وإلى رضاه طالبون وفي رحمته طامعون وعلى بابه سائلون إقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ وبهذا وصفهم الحق سبحانه قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الفتح: ٢٩] اهـ وبانتهائه كمل ما تيسر جمعه في هذا التقييد المبارك بمحض الكرم والجود وعطفة سيد الوجود وكمل ورثته أهل العيان والشهود والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتحسن المقاصد والنيات في الماضي والآت نسأل الله العظيم المولى الرءوف الرحيم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وينفع به كل من رآه ووقف عليه النفع العميم ويعينني وإياه على طاعته تعالى وخدمته ويطهرنا جميعًا تطهيرًا نصلح به لحضرته ولقي نبيه ﷺ ويزيدنا فيه تحيرًا وبه افتتانًا ويغيبنًا فيه عمن سواه حتى لا نكون إلا به وله ويحفظنا فيه سائر يومنا وبقية عمرنا حتى يتوفانا وهو عنا راض ونحن عنه غير مفتونين آمين آمين آمين اللهم صل وسلم على إنسان عين الحضرة الإطلاقية ومرآة مجلاها وخطيب حضرة قاب قوسين وإمام صلاها ترجمان الحق ورابطة الربوبية والمربوبية والحجاب المسدول عن إدراك السبحات لكل من اتصف بالعبودية سفير حضرة الوجوب وحضرة الإمكان وسر جوهرة التكوين المنطوية في صدفة الأكوان عين الرحمة الربانية وينبوع مجراها القائل إنما أنا قاسم والله هو المعطي أي كل نفس ما فيه مناها من به عرفت المعارف في ميادين التعريف وفي سلم علومه الذاتية عرجت أرواح المحبين إلى حضرة التشريف سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم برزخ الحضرتين والمفتاح لدائرة الدوائر والخاتم صلاة تنفي بها عن قلوب

المحبين له الشكوك والأوهام وتحمل بها من انتسب عليه في محامل الرعاية إلى معاطن علوم الكشف والإلهام وعلى آله وأصحابه شموس الهدى وأقمار الهداية الدالين على الله تعالى بالقول والفعل والحال بسابق محض الفضل والعناية ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المرْسَلِينَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الصافات آية: ١٨٠-١٨٢] انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يقول مصححه الراجي عفو ربه الكريم ابن الشيخ حسن الفيومي إبراهيم بحمدك اللهم أن رفعت منار هذا الدين الحنيفي وشيدت معالمه وخفضت مخالفيه حتى وقعوا من الحيرة في العمه ونصبت الإدلاء الدالين الدالين عليك فضلاً منك وإحسانًا فكم هديت بهم من أكمه وأرشدت بهم حيرانًا ونصلي ونسلم على أفضل خليقة الله إنسانًا وأكمل العالمين بيانًا سيدنا محمد الداعي إلى الله سرًا وإعلانًا وآله المستمسكين بحبل الشرف المتين وأصحابه الباذلين نفوسهم ونفائسهم في مرضاة رب العالمين فقد تم طبع الكتاب الذي هو كاسمه أتحاف الجدير بأن يرسم على صفحات نحور المحور من غير خلاف كيف ومؤلفه شيخ الطريق على الإطلاق ومعدن الحق والحقيقة على الوفاق الإمام الصمداني سيدي فتح الله البناني نفع الله به القاصي والداني آمين وقد حليت جياد طرره ووشيت حواشي غرره بتحفة الأصفياء في بيان معنى القول بعصمة الأنبياء للمؤلف المذكور ضاعف الله له الأجور آمين وحبا في الخير ورغبة في الثواب الجزيل سعى بعض تلامذة هذا الإمام السعي الجميل الجليل وبذل في نشره خالص المال وادخره عند ذي الجلال وقد جاء بحمد الله في حسن التصحيح غاية وذلك بمشاركة الأستاذ الأوحد أحد تلامذة المؤلف الأمجد الشيخ أحمد بن الحاج وذلك بالمطبعة العامرة الشرفية الثابت محل إدارتها بشارع الحرنفش من مصر المحمية سنة ١٣٢٤ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك يا من بالفتح أتحف أهل عنايته ونشر لواء خصوصيتهم وكان لهم بمعونته وأمدهم بأنوار اليقين وجعلهم مرهمًا شافيًا في العالمين ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي انتشرت شريعته الغراء أي انتشار وتعددت مذاهب وطرق الحاملين لرايتها المنتصرين لها أي انتصار وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا أنفسهم في صيانتها خوفًا من طوارق الأغيار صلاة وسلاما ننال بهما الزلفى في دار القرار أما بعد فأقول وإن كنت لست أهلاً للمقال ولا ممن يحوم حول ميادين الرجال قد تقرر عند الإعلام إن علم التصوف من أشرف ما تحلت به الأفهام وأن الله تبارك وتعالى جعل في كل عصر من خاصة عبيده من يحي رسومه ويجدد معلومه ويشرح بلسان أهل الوقت من دقائقه كل جرثومة وكان من أنفس ما ألف في هذه الأعصار الجديدة هذا الإتحاف المشتمل على لطائف حميدة ودرر في بابها فريدة المنبعث من أفكار شيخنا الإمام وأستاذنا الهمام الغني بشهرته عن التنويه المحفوف بالفتح اللدني الذي لا يفتقر إلى تنبيه العارف الأكمل والطود الماجد الأفضل صاحب الكشوفات الغريبة والتحقيقات العجيبة المؤيد بفصل

الخطاب عند المذاكرة المنصور الجناب عند المناظرة من لازالت فيوضات إحسانه تعم القاضي والداني أبي المكارم مولانا الشيخ فتح الله ابن الشيخ سيدي أبي بكر البناني متعنا الله والمسلمين ببركاته وأعاد علينا من نفحات توجهاته آمين ولما رأيت شمس مجده في أفق المعالي قد بزغت وأقمار سره بالسعد والإقبال طلعت قرظته بقصيدة عسى أن أكون من جملة خدامه وأرخت تمام نسجه لأفوز بجزيل إنعامه فقلت وعلى فتح الله استندت:

إن رمـــت للفـــتح غايـــة   تـــزيح كـــل جنايـــة

فاســتعمل الفكـــر في ذا الـــ   اتحـــاف فهـــو وقايـــة

ونـــزه الطـــرف فيـــه   تفـــز بحســـن الرعايـــة

لقـــد تفـــرد حســـنا   وبهجـــة ونهايـــة

مـــنى الفـــريقين فيـــه   ذو النهـــي والبدايـــة

قـــام خطيبًـــا الأهـــل   مـــن منصـــف في الدرايـــة

يصـــدع بالحـــق مثلـــي   ويبـــدي في فـــنى رأيـــه

ويكشـــف الســـجف عـــن غـــا   مـــض بطـــرق النهايـــة

بألفـــــة واتحـــــاد   نســـجت هـــذى العبايـــة

فطالعنـــــه بقلـــــب   ففيـــه نفـــي الغوايـــة

حـــوى الصـــراحة لطفًـــا   وحـــاز لـــب الكنايـــة

وانصـــدعت بحـــلاه   مـــرآة أهـــل الإبايـــة

وكيـــف لا وهـــو ممـــن   في العصـــر شمـــس الهدايـــة

شـــيخ الشـــيوخ الـــذي قـــد   بـــرز في كـــل غايـــة

ســـندنا القـــرم فـــتح الله   وفيـــــه الكفايـــــة

مـــن عمـــه العلـــم فتحـــا   وخصصـــــته الولايـــــة

حـــبر الزمـــان وفيـــه   جعلـــــه الله آيـــــة

نعـــم الإمـــام أتـــى في   أهـــل الجحـــود نكايـــة

وفي الـــورى خـــير هـــاد   وحامـــــل أي رايـــــة

هـــدى بفـــتح ووهـــب   وســـــاعدته الروايـــــة

يرمـــي القلـــوب لـــوب بســـر   فيـــا لهـــا مـــن رمايـــة

حبـــاه مـــولاه فضـــلاً   ورفعـــــة وولايـــــة

بجـــاه طـــه الـــذي مـــن   حمـــاه كـــل حمايـــة

صـــــــلى الإلـــــه عليــــــه   مـــــا تليـــــت بــــــه آيـــــة

والآل والصـــــــحب طــــــــرا   مـــــا أعلنــــــوا بالوصـــــاية

وقــــــام يحــــــدوا بــــــدجن   أتحـــــاف أهــــــل العنايــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ترجمة المؤلف متعنا الله بمرضاته وأعاد علينا من بركاته مختصرة من الفتح الرباني لأخينا في الله سيدي محمد سباطة حفظه الله

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام نخبة الأعيان المكسو بأنوار المهابة والعرفان الجامع بين فتنة الجمال وسطوة الجلال الحائز قصب السبق في كل خلق نوراني محمدي بمنة الكريم المفضال الولي الصالح والكوكب الواضح شيخ الطريقة وإمام الطالبين للحقيقة محيي رسوم الطريق بعد دروسها ومظهر معالم التصوف بعد أفول شموسها مربي المريدين وعمدة السالكين قمر الدياجي المهتدى به في ظلمات المحسوسات والمعاني وشمس الضواحي الساترة لكل مضاد ومعاني عمدتي وملاذي ومن على الله وعليه اعتمادي العارف الرباني والولي الصمداني شيخنا ووسيلتنا إلى الله أبو الفضل سيدنا ومولانا فتح الله نجل شيخ الطريق ومعدن السلوك والتحقيق سيدنا أبي بكر ابن الفقيه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه العلامة القاضي الأمثل سيدي عبد الله ابن الفقيه العلامة أبي عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه العلامة سيدي عبد السلام بناني نفعنا الله والمسلمين ببركاته بجاه النبي العدناني صلى الله عليه وآله وسلم ولد حفظه الله وحماه في شهر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف برباط الفتح حيث هو الآن حرسه الله وأصله من فاس وكان جدهم سيدي عبد السلام المذكور أخر النسب قدم منها بأمر مولوي أسماه الله لنشر العلم بالبلدة المذكورة فبقي أولاده بها إلى الآن وبيتهم بيت علم ودين وولاية وصلاح خلفا عن سلف ﷺ ببركة محبتهم له عليه الصلاة والسلام ولآل بيته ﷺ وتوفي والده ﷺ وتركه ابن ثلاث سنين فنشأ وتربى في حجر ساداتنا أكابر أصحاب والده ﷺ أحسن نشأة وتربية في طاعة رب البرية وأحسنوا إليه وإلى إخوته غاية الإحسان وفاء بعهد والدهم ﷺ لما له عليهم من كمال الفضل والامتنان وقرأ القرآن العظيم على الأستاذ الفاضل الولي الكامل سيدي الهاشمي القصري أبقى الله بركته وقد سلب الإرادة إليه اليوم ومدحه بأبيات مذكورة في الفتح وأثناء القراءة عليه قرأ أيضًا جملة صالحة منه على الشريف الجليل مولانا علي ابن مولانا أحمد النجار نفعنا الله بهما المتوفى سنة ست وتسعين ومائتين وألف رحمه الله وكان يعظم سيدنا الشيخ ويحترمه ويكرمه كالشيخ قبله ولما كملت نجابته ﷺ وحفظ القرآن العظيم وبعض متون الأمهات اشتغل بق راءة العلم الشريف على مشايخ كثيرين في بلده رباط الفتح وغيرهم منهم أخوه وشقيقه الشيخ الإمام الدراكة الهمام الجامع بين عامي الشريعة والحقيقة سيدنا ومولانا زين العابدين جدد الله عليه سحائب الرحمات وأسكنه بمنه فسيح الجنات آمين ولد سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وتوفى يوم الثلاثاء ثامن وعشر جماد الثانية سنة عشر وثلاثمائة وألف ودفن بلصق والده بزاويته ﷺ وكان علامة

وقته وفريد نعته قرأ عليه شيئًا من النحو التصريف والبيان والفقه والحديث وغير ذلك وفتح عليه في علم الظاهر ببركته ﷺ وكان متأدبًا معه غاية الأدب وكان هو يعظم سيدنا الشيخ ويحترمه ويشهد له بالفضيلة ولما رجع سيدنا من حجه وزيارته أوائل سنة عشر طلب منه أن يجلس بجنبه في الدرس ولا يجلس أمامه لما شاهده فيه من النورانية الخاصة فامتنع سيدنا من ذلك تأدبًا معه ﷺ ونفعنا بهم أجمعين ومنهم شيخ الجماعة الإمام الأعظم والهمام الأفخم العلامة المشارك سيدي الحاج إبراهيم ابن سيدي محمد التادلي أجزل الله أجره وخلد في الصالحين ذكره وكان من العلماء العاملين قرأ عليه فنونا عديدة كالنحو والأصول والفقه والحديث والتوحيد وغير ذلك من الفنون وكان شاذلي الطريق ﷺ وكان يحب سيدنا الشيخ ﷺ ويعظمه ويطلب منه الدعاء الصالح وأجازه بقراءة مائتين من سورة الإخلاص في كل يوم وكذلك أجازه في العموم بجميع مروياته أجازتين إحداهما بواسطة أخيه المتقدم والثانية بواسطة شيخه سيدي الهاشمي الحجوي رحمه الله المتوفى عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف والإجازتان مثبتتان في طبقات سيدنا ﷺ المسماة بالمجد الشامخ فيمن اجتمع بهم من أعيان المشايخ المشتمل عليها الفتح الرباني في التعريف بالشيخ سيدي فتح الله ابن الشيخ سيدي أبي بكر بناني فراجعه تر ما يسرك ببركة النبي العدناني صلى الله عليه وآله وسلم توفي هذا الشيخ ﷺ ليلة الجمعة الثامنة عشرة من ذي الحجة الحرام عام أحد عشر وثلاثمائة وألف ومنهم الشيخ الإمام الفقيه العلامة الهمام سيدي الجيلاني بن إبراهيم حفظه الله ولازال بقيد الحياة وهو عالم خير دين فاضل شديد الشكيمة في دين الله قال سيدنا ﷺ في طبقاته وجل قراءتنا كانت على هؤلاء الأعلام الثلاثة المذكورين وبنظرتهم ونظرة الأكابر الذين قرأنا عليهم واجتمعنا بهم حصلت ما حصلت فإن السر في النظرة وبها تنقطع التقولات الموجبة للندامة والحسرة كما قال عالم الحضرة إمامنا مالك ﷺ ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يضعه الله في قلوب المحبوبين من عبيده ﷺ وجعلنا منهم آمين وقال ﷺ العلم نفور لا يأنس إلا بقلب تقي أكرمنا الله بالتقوى في السر والنجوى آمين انتهى وأما المشايخ الذين حضر دروسهم أو اجتمع بهم على سبيل التبرك في المشرق والفقيه العلامة الشريف الحسني سيدي محمد ابن سيدي جعفر الكتاني الفاسي حفظه الله والعلامة المحدث سيدي محمد بن خليفة المدني رحمه الله والفقيه العلامة شيخ الجماعة بالشام سيدي بكري العطار الدمشقي رحمه الله والفقيه العلامة المحقق سيدي يوسف بن إسماعيل النبهاني والعلامة الشهير سيدي عبد المجيد بن محمود الدرغوثي المغربي الطرابلسي الشامي والعلامة الشيخ إبراهيم السندروسي حفظهم الله إلى غير ذلك من الأئمة الأعلام الأجلة العظام الذين أخذ عنهم وانتفع بهم ﷺ وإجازاتهم مذكورة في طبقاته وقد قال فيها حفظه الله ما نصه من منن الله علي بفضله وكرمه أنني ما علمت أبدًا أن أحدًا من الكبراء والأعيان ساداتنا المشايخ الآتين وغيرهم بحول الملك الديان طلبت منه إجازة بشيء ما بإلهام رباني ووارد نوراني وامتنع بل منهم من يجيزني بفضل الله بدون طلب لساني فأتلقى ذلك بالقبول متمثلاً بقول بعض الفحول:

مــــا كنـــــت أهــــلاً فهــــم رأوني لـــــذاك أهــــلاً فصـــــرت أهــــلاً

انتهى وأخذ عنه جماعة من العلماء كالفقيه العلامة سيدي أحمد بناني حفظه الله قاضي رباط الفتح سابقًا والفقيه العلامة الشريف سيدي الحاج المكي البطاوري قاضي البلدة المذكورة حالاً حفظه الله والشريف العلامة سيدي أحمد بن محمد العلمي الفاسي وأخذ عنه أيضًا جمع من تلامذته وأهل زاويته منهم أخوه وشقيقه العالم الفاضل سيدي الماحي حفظه الله والشريف الأجل العلامة الصوفي الأكمل مولاي المأمون العلوي والفقيه سيدي عمر ملين وابن عمه سيدي العربي بن أحمد النسب والفقيه العالم سيديالحاج محمد عاشور والفقيه سيدي أحمد التادلي ابن سيدي إبراهيم المتقدم وولد أخته الفقيه النبيه سيدي العباس دنية والفقيه الخير سيدي محمد سباطة صاحب الفتح الرباني وغيرهم من الأكابر أشراف وعلماء وصلحاء حفظهم الله جميعًا بمنه وكرمه وجلهم له إجازة بخط يده المباركة نفعنا الله بهم نسأله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بما به أكرمهم بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإني لأرجو من حضرة سيدنا ومولانا الأستاذ أن يجيزني بما أجاز به هؤلاء الإخوان لأكون من المنخرطين في سلكهم بفضل الملك الديان وإن كنت لست أهلاً لذلك ولا ممن يحوم حول تلك المسالك والمؤمل منه زاد الله في معناه أن ينيلني ما طلبت ويسعفني بما رجوت وأملت فالله يحفظنا فيه ويبقي بركته بخير وعافية بجاه مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله إلى غير ذلك من المشايخ الذين أخذوا عنه وانتفعوا به ﵁ وأخذ حفظه الله طريقة والده العلية التي هي الطريقة الشاذلية الدرقوية الدباغية عن مشايخ من أصحابه أعني أصحاب والده القطب الرباني الولي الصمداني سيدنا أبي بكر البناني ﵁ ونفعنا به وقد ترك ﵁ ورحمه بعد وفاته جماعة وافرة في الرباط وغيره من المشايخ الواصلين إلى حضرة رب العالمين وكان له قدم كبير في معرفة الله تعالى ومعرفة الطريق الموصلة إليه وإن أردت بسط ترجمته وتراجم أصحابه لتعرف ما كانوا عليه من الجد والاجتهاد في طاعة الله تعالى فعليك بطبقات سيدنا الشيخ ﵁ رقد كبر سيدنا حفظه الله في حجرهم على حالة مرضية من كمال الأدب معهم والتوقير لكبيرهم وصغيرهم بحيث كان بين أيديهم تلميذًا خادمًا لا يعرف من بين الفقراء إلا بعد التنبيه والتعريف بفضل الكريم اللطيف ولا يتظاهر عليهم بأبهة ولا أنانية حسبما هو شأن غالب أولاد المشايخ مع مريدي والدهم إلا من أخذ الله بيدهم وكان يرى أصغر تلاميذ والده بالعين التي يرى بها والده ﵁ يحكى أن بعض المشايخ العارفين قال له بعض أصحابه متى أدرك مقامك يا سيدي فقال له إذا نظرت أصغر أصحابي بالعين التي تراني بها أي من كمال التعظيم والاحترام والتوقير أكرمنا الله بالحظ الأوفر من هذا المشهد العزيز وأول من أخذ عنه منهم صهره وتلميذ والده العارف الرباني الولي الصمداني الصوفي الأمجد الزاهد الأرشد ذو الأحوال الربانية والأخلاق المحمدية أبو عبد الله سيدي الحاج محمد الخلطي الرباطي نفعنا الله به كان إمامًا جليلاً دينًا فاضلاً جامعًا بين علمي الظاهر والباطن له باع طويل فيهما أما علم الظاهر فكان متقنًا للواجب عينًا منه وأما علم الباطن فكان فيه بحرًا لا ساحل له وكان يعجز الفحول عند المذاكرة حتى كانوا يقولون له يكفينا في مناقب شيخك

سيدي أبي بكر البناني كونك تلميذًا له وكان ﷺ على قدم التجريد ولبس المرقعة حتى لقي الله تعالى زاهدًا في الدنيا قانعًا باليسير منها حسن الأخلاق التي عليها مدار طريق الصوفية ﷺ وجعلنا منهم متواضعًا لا يأنف من مجالسة الدراويش ويرضى بالدون من المجلس ولا يتظاهر بأبهة ولا أنانية وهو أول مجيز لسيدنا الشيخ ﷺ بلبس الخرقة وغيرها من وظائف الطريق وكان إذا أجازه بشيء من ذلك يقول له إنما كان عندنا من سيدنا والدك على سبيل الأمانة لك ﷺ وكان يلازم سيدنا جدا خلوة وجلوة ليلاً ونهارًا إبان تربيته ويسيره تسييرًا عجيبًا بلطافة وسياسة عجيبة وبسببه فتح على سيدنا في طريق أهل الله ﷺ وجعلنا منهم في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه إنه جواد كريم وإليه ينتسب إذا سئل عن شيخه ولهذا الشيخ رسائل عجيبة مذكور بعضها في طبقات سيدنا الشيخ ﷺ توفي في صفر الخير عام اثنين وثلاثمائة وألف رحمه الله رحمة واسعة ومنهم تلميذ والده أيضًا الشيخ الإمام القدوة الهمام الصوفي الأرشد صاحب الأحوال الربانية سيدي عبد السلام بن محمد فتحا بناني ﷺ كان إمامًا جليلاً دائم الذكر والفكر كامل الاستغراق في شهود عظمة الله تعالى ناصحًا لعباد الله محرضًا ك لمن اجتمع به على الانتساب إلى جانب الله غائبًا عن شهود المزية لنفسه فارًا من الدعوى مقتصرًا من الدنيا على ما تدعوا إليه الضرورة معتزلاً عن الخلق لا يخالط أحدًا إلا لضرورة فبقدرها وقد أجاز سيدنا ﷺ بإعطاء الطريق الشاذلية الدرقوية قديمًا بلفظه وعند إرادته القدوم إلى حج بيت الله الحرام وزيارة حضرة نبينا ﷺ وذلك سنة تسع أمر رحمه الله ولده بكتابة ذلك خطًا لذهاب بصره إذ ذاك وإجازته مثبتة في طبقات سيدنا حفظه الله توفى رحمه الله بعد ظهر يوم الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة الحرام عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف ودفن بزاوية شيخه سيدي أبي بكر بناني ﷺ كالشيخ قبله ومنهم تلميذ والده أيضًا الشيخ الإمام الصوفي الهمام سيدي الحاج على الدكالي رحمه الله ونفعنا به آمين أصله من دكالة وكان إمامًا جليلاً مشتغلاً بما يعنيه تاركًا ما لا يعنيه صحيح القصد في حركاته وسكناته كامل الاستغراق في محبة شيخه متخليًا عن الدنيا على بساط التجريد منها ولما حانت وفاته ﷺ صار يؤكد على سادتنا الفقراء بشد اليد على طاعة الله واعتقاد سيدنا الشيخ ومحبته وتعظيمه وتوقيره لله في الله وتوفى بسلام عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف جدد الله عليه سحائب الرحمات وأسكنه بمنه فسيح الجنات آمين وهؤلاء المشايخ الثلاثة أخذوا الطريقة عن شيخهم العارف الكبير القطب الشهير سيدنا ومولانا أبي بكر البناني المتقدم الذكر ﷺ وهو عن شيخه الشريف الحسني سيدنا ومولانا العربي الدرقوي ﷺ إلى أخر السلسلة المنظومة في التوسلات العلية برجال الطائفة الشاذلية الدرقوية إلى غير ذلك من المشايخ الذين أخذ عنهم وأجازوه وانتفع بصحبتهم ﷺ ونفعنا بهم واجتمع أيضًا بعدد كثير منهم على سبيل الترقية والتبرك وله ﷺ إجازات بطرق عديدة كالناصرية والقادرية والتجانية والأحمدية الإدريسية والرفاعية والباعلوية اليمنية والعيسوية وغيرها بفضل الله وعطفة مولانا رسول الله عليه وآله سلام الله وصفته ﷺ مربوع القامة معتدل الجسم أبيض اللون بياضًا مشربًا بحمرة أسود الشعر كث اللحية أقنى الأنف أسيل الجسدين أدعج العينين يمشي الهوينا وأما سيرته

وأحواله وأقواله وأفعاله ﷺ فقد حاز نفعنا الله به من جميل الأخلاق وجليل الأذواق ودقائق المعارف ورقائق العوارف ما عز نظيره في غيره وقل مثيله في أبناء عصره متحققًا بالحقيقة في جميع الأحوال متوسمًا بالشريعة في الأقوال والأفعال بحيث لو عرضت جميع أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة المحمدية لوجدت لكل جليلة ودقيقة شمائله شواهد مرضية قد علاه نور الجمال وهيبة الجلال تلحظه الأعين بالتعظيم والإجلال من رآه بديهة هابه إرثا محمديا ﷺ دائم العكوف على حضرة الحق لا معول له إلا عليه ولا استناد منه إلا إليه لا يزيد فيه إقبال الخلق وتعظيمهم ولا ينقص منه إدبارهم وتقصيرهم لشدة فنائه في حضرة الله لا يتلكم في غير حاجة وإذا تكلم بكلام بين فصل يفهمه كل من سمعه يأخذ بمجامع قلوب الأحباب وتتقادله الألباب ويتكلم مع الفقراء على قدر أحوالهم ومقاماتهم ولا يحب التخليط في المقام المؤدي إلى المراء والجدال في الكلام ويكرر قول الشيخ مولاي العربي الدرقوي ﷺ من التقوى مناسبة الكلام للكلام ولا يتكلف ﷺ في كلامه تحسين عبارة ولا تنميق مذاكرة بل يتكلم بحسب ما سمح له الوقت والزمان وكذا إذا كان يؤلف كتابًا أو غيره إنما يصير يكتب كان ذلك محفوظًا عنده وينهي عن التكلف في جميع الأشياء كالتكلف في الملبوس والطعام وغير ذلك ويقول قال ﷺ أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف والتصوف ترك التكلف ولا يتقيد بزي مخصوص ولا بهيئة مخصوصة يأكل ما وجد ويلبس ما وجد ويقول الفقير قوته ما حضر ولباسه ما ستر ولا يتكلف في الملبوس إلا بقدر ما يحفظ به بشريته بحسب التيسير وربما يؤثر الثياب الرفيعة في بعض الأحيان وغير خفي أن حال المعرفة ليس كحال الورع ولكل في لبسه وهيئته نية صالحة وقصد صحيح كثير الصمت دائم الفكر كثير الجولان والاعتبار طليق الوجه دائم البشر حسن الخلق مع عباد الله حسن المداراة سهل الملاقاة لين الجانب ذا سكينة ووقار ومهابة وفخار حسن السياسة رقيقًا بالضعيف معظما للشريف رحيمًا بالمبتدى حليمًا عفيفًا صبورًا رءوفًا وغير خفي أن هذه الأخلاق الكريمة ناشئة عن سعة علم صاحبها وبسط معرفته وكمال ولايته كثير المواساة والإنفاق في سبيل لا يدخر شيئًا بحرًا واسعًا السخاء والجود يسمح في حقه ويعطيه لغيره كثير الصدقة لا يرد سائلاً وقاصدًا بفضل الله سريع الرضا لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ويكفي في مناقبه ﷺ ذكر حساده وأعداءه الذين يكرهونه ويؤذونه في جملة المشايخ الذين اجتمع بهم وتبرك وتعظيمهم وتوقيرهم وغيبته عما يصدر منهم وعدم التفاته إلى ذلك كثير الصبر على النوائب الوقتية والنوازل القهرية مع كمال الرضا يحذر من الطمع كثيرًا ومن تأميل غير الله آخذًا بالحظ الأوفر من الفهم عن الله في جميع التجليات جلالاً وجمالاً بسطًا وقبضًا شدة ورخاء ويحض ﷺ على القناعة بما يسر الله والشكر على ذلك وعلى ترك التدبير والاختيار وسلب الإرادة للفاعل المختار والاكتفاء بالله ومن عظيم أخلاقه نفعنا الله به تواضعه للكبير والصغير للجليل والحقير يبدأ من لقيه بالسلام بطلاقة وجه وبشر وابتسام ويختار مجالسة الفقراء ومرافقة الضعفاء ويحب المساكين ويكره صحبة الأغنياء ومخالطة الفراعنة وكان ﷺ في بدايته على قدم كبير من الزهد والتخلي مكتفيًا باليسير من الدنيا الدنية معرضًا عما يتشوف إليه أقرانه

وأبناء وقته من نيل المراتب الحسية كثير المجاهد في سائر القربات تاركًا للوقوف مع العوائد والشهوات وكان يجلس على الحصير وينام على ظهر الإهاب زهدًا في حلاوة رطوبته وتقويا بأعلى طاعة الله وعبادته لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يبالي بمن مدحه ولا بمن ذمه متجلببًا جلباب الفاقة والافتقار مؤثرًا في جميع أحواله الذلة والاحتقار معتكفًا في الزاوية ملازمًا لها آناء الليل وأطراف النهار بتوفيق الكريم الغفار كامل الاحتياط في تنظيم شعائرها وأمورها من تشطيب وتنظيف وغير ذلك حسبما هو شور من لطريق سالك حتى ربح بذلك الربح الخاص ونال ما ناله أهل الخصوصية والاختصاص متعرضًا لما ورد في ذلك من الفضل العظيم والثواب الجسيم مبالغًا جهده في التحافظ والاعتناء بنفائس الأوقات ولا يرضى لها أن تمر فارغة مشوبة بالغفلات وإذا رأى فقيرًا متسامحًا في ذلك يزجره ويقويه ويقول إن ذلك من علامات الشتات وعدم الذوق في جميع الحالات ويحض ﷺ إخوانه وتلاميذه على الصدق والإخلاص في سائر الأعمال ويقول قليل الأعمال يكفي مع الصدق مع الله تعالى وصفاء الباطن ويحض على المحافظة على الطهارة والمواظبة عليها يقول الوضوء سلاح المؤمن ويحض على مراعاة الآداب في ذلك وخصوصًا آداب دخول الخلاء ويحض على التحافظ على ركعتي الوضوء والاستعداد للصلاة وإيقاعها في وقتها وينهي عن إخراجها عن وقتها ويدل على الحضور والخشوع فيها والمحافظة على آدابها الظاهرة والباطنة شديد الاعتناء بالقيام بورد الليل الذي هو أعظم مطالب الأخيار المقربين الأحرار دائم الرغبة في التلاوة والاستغفار وذكر الله تعالى في السر والجهار مواظبًا على ذلك ويحض الفقراء على الاعتناء بإحياء ما تيسر من الليل ابتغاء رضا الكريم الغفار ويحرضهم على إيقاع صلاة الصبح في وقتها موزعًا نهاره على أنواع من الطاعات معمرًا أوقاته بما شرعه الله ورسوله في الآيات البينات وله أحسن الله إليه تآليف مفيدة منها هذان الكتابان المباركان ومنها مولده العجيب المسمى باسمه فتح الله في مولد خير خلق الله ﷺ وقد طبع بمصر بالشكل الكامل ومنها تحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق وبعض الآداب اللائقة بالمكرمين بصحبة أهل حضرة الإطلاق وقد طبع أيضًا بمصر بغاية التصحيح والإتقان وتطلب هذه الكتب من سائر المكاتب الشهيرة بمصر وغيرها ومنها تذكرة الإخوان في اكتفائنا بعموم إجازات من بعض مشايخنا الأعيان ومنها طبقاته الجامعة المشتمل عليها الفتح الرباني المسماة بالمجد الشامخ فيمن اجتمع بهم من أعيان المشايخ وهذان الكتابان سيطبعان إن شاء الله تعالى في هذه الأيام ويعم نفعهما الخاص والعام بفضل الملك السلام ومنها خلاصة الوفا في مقدمة فتح الشفا وتحفة الأحباب فيمن تكلم في المهد بالأمر العجاب ويسمى أيضًا طالع السعد فيمن تكلم في المهد وفتح الله في بعض ما يتعلق بأسماء الله والنصيحة الوافية الكافية لأهل الطريقة الشاذلية الدرقوية الدباغية البنانية وسائر طوائف أهل الله في الملة الإسلامية وهذه التآليف الثلاثة لازالت لم تكمل ومنها تعلق على جامع الشيخ خليل وشرحه للشيخ الناودي رضي الله عنهما وتعليق آخر على اختصار المواهب ولازالا لم يكملا ومنها رسائله العظيمة الشأن التي يكتبها الحضرات الإخوان بحسب وقائع الأزمان إلى غير ذلك

من النقاييد والتصانيف نفعنا الله وإياه بها وجزاه عنا أفضل الجزاء وأكمل مرادنا ومراده أنه كريم منان ويكفينا في فضيلته ﷺ انتفاء الوجود به وبأسراره ومعارفه ومجالسه العلمية وفتوحاته الربانية وإملاءاته الحديثية فتجد مجالسه ﷺ مشحونة بالمعارف والفوائد والإشارات والغوص في بحور المعاني مع الإتيان بواضح العبارات وذكر مشايخه وحكمهم ومعارفهم وأسرارهم ﷺ بدون كلفة ولا معاناة مشقة وكثرة مطالعة بل كثيرًا ما يستغرق الوقت في مقابلة الإخوان ومجالستهم وإعطائهم ما يليق بذلك من آداب الوقت وغير ذلك فإذا وصل وقت الدرس خرج إليه بدون مطالعة أصلاً ويظهر منه حينئذ في مجلسه ما يبهر العقول بفضل الله وعطفة النبي الرسول ﷺ وبركة مشايخه الفحول وقد حضر درسه أناس من أكابر سادتنا أهل فاس وغيرهم وحكموا وشهدوا بأن هذا شيء عزيز في الوقت جدا والمنة لله ولرسوله ﷺ ومدحه أكابر وعلماء بقصائد وأشعار تنبئ بسر ما ذكرناه بفضل الله ومدد النبي المختار وإن أردت الوقوف على شيء من ذلك مع زيادة البيان فعليك بالفتح الرباني فقد أتى فيه بنبذة شافية من أحواله وأقواله وأفعاله المرضية وأخلاقه ومناقبه ومآثره السنية ممزوجة بما يناسبها من المذاكرات ويعضدها من الاستشهادات الواضحات فراجعه تنل ما يقربك إلى الله في جميع الحالات ببركة سيد السادات صلى الله عليه وآله وسلم في الماضي والآت جزى الله مؤلفه خيرًا وجعله من الآمنين دنيا وأخرى وهنا انتهى ما قصدناه في هذه الترجمة على سبيل الاختصار والحمد لله أولاً وأخرًا وظاهرًا وباطنًا في السر والجهار المهم بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت وقفت وأنت أقدرت وأنت على كل شيء قدير اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا بحق مولانا رسول الله ﷺ وفرغ من كتابته يوم الأربعاء فاتح جمادى الثانية عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف مختصرها تلميذ المؤلف من هو إلى كمال عطفته في كل لمحة ونفس محتاج عبيد ربه تعالى أحمد بن الحاج غفر الله له ولوالديه ولإخوانه ولجميع المسلمين آمين

وللفقيه الكاتب الأجل العالم الأديب الأمثل الشريف الجليل البركة الأصيل أبي العباس سيدي أحمد بن محمد الزعيمي الرباطي في مدح جناب سيدنا الشيخ نفعنا الله به وكان قد حضر عنده في زاويته عمرها الله بدوام ذكره ختم المولد الشريف وموسمه المنيف الذي يعمله على عادته ﷺ ليلة مولده صلى الله عليه وآله وسلم خصوصًا وفي كل يوم اثنين على الدوام عمومًا كما أنه كان قبل حضر عنده أيضًا في الزاوية المذكورة عدة دروس له واغتنم بحضرته المباركة نفحات ربانية وأوقات خيرية ومواهب اختصاصية وفوائد سنية نفعنا الله وإياه بها ووفقنا جميعًا للعمل بمقتضاها وجزى المادح عنا وعن الأحباب والمسلمين خيرًا بهذه النصيحة العظمى إذ لا يخفى أن أعظم الأسباب في مدح جناب أهل الله ﷺ وإظهار فضائلهم ومزاياهم ومناقبهم هو نصيحة الواقف عليه لينتفع بوجود الممدوح ويغتنم بركته مادام يقيد الحياة ويوقره

ويحترمه في سائر الحالات في الظاهر والباطن في الماضي والآت في الحياة وبعد الانتقال إلى رحمة الله عالم الطويات وقد تقرر عند الأكابر الفحول إن توقير أهل الله ومحبتهم واحترامهم توقير لله والرسول ومحبة لهم واحترام لهم وما توفيقي إلا بالله وبه أصول وبه أحول ونصها بمقدمتها وخاتمتها الحمد لله وحده قال كاتبه عفا الله عنه لما حضرت ختم المولد الشريف مع الفقيه العلامة الشيخ الصالح الفهامة حامل راية التصوف بالصفاء ونخبة الأكابر من غير خفاء أبي المواهب سيدي فتح الله بناني أبقى المولى فضله نفعا للقاصي والداني وحصل لي حظ كبير من السرور وتحركت القريحة صبيحة العيد لإنشاء هذه الأبيات في مدح الشيخ المذكور نفع الله به ورتبتها على حروف ما نصه:

البحر سيدي فتح الله بناني

إن شئت أن تحظى بفتح الله	فاسلك سبيل الشيخ فتح الله
له في المعارف والعلوم تجارة	أرباحها نور وفتح الله
بحر تلاطم موجه بحقائق الـ	عرفان مسجورًا بفتح الله
حبر العلوم ممهد المثلى التي	قد شاد والده بفتح الله
رحب الجناب وباذل البشر الذي	هو خلقه أبدا بفتح الله
سر نحوحي حماه سيرا صادقا	تظفر بكل مني بفتح الله
يدنيك سر مقاله أو حاله	من حضرة المولى بفتح الله
دلت على الخيرات أرباب الهدى	همم له تسمو بفتح الله
يكفيك أن العلم من أسلافه	إرث له وكذاك بفتح الله
فوض إليه ينلك كل مؤمل	ويريك أذواقا بفتح الله
تعب المحاول شأوه أو ما درى	أ، المواهب تلك بفتح الله
حسب المريد من الإرادة عطفه	فبعطفه يرقى لفتح الله
الله أهله لإرشاد الورى	وحباه أسرارا بفتح الله
لو أبصرت عيناك ما يبديه للأفهام	من علم بفتح الله
لرأيت نورا ساطعا متلألئا	من وجهه يبدو بفتح الله
هي نعمة المولى يعم بها الورى	ويخصص الأفراد فتح الله
بالفضل هيأه الإله لذكره	فغدا بفضل الله فتح الله
ناهيك من قرم تأثل مجده	قدما وزاد سنا بفتح الله
أبشر بمفتاح السعادة والغنى	يأتيك بالبشرى وفتح الله
نلت المنى من كل ما تختاره	ورفلت في عز بفتح الله

يا رب صـــل علـــى النـــبي وآلـــه والصـــحب طـــرا أهـــل فـــتح الله

والحمد لله رب العالمين كتبه في ثالث عشر ربيع النبوي الأنور عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف أحمد بن محمد الزعيمي الحسني غفر الله له

تمت